أنيس منصور
القوى الخفية
سلسلة
جدران
المعرفة
2006

" بحثآ عن عالم أفضل " .

* يمكنكم التعرف على فهرس السلسلة الاولى فى اخر صفحة فى هذا الكتاب .
كما أننا ننصح بقراءة الكتاب بنظم full screen عن طريق الضغط على { ctrl + L }
وتقريب الصفحة zoom in
{ ctrl + m }
حتى لا تؤذى عينيك .

وقد ارفقنا فى كل كتاب فهرس للكتب bookmarks لتقليب الكتاب فى سهولة ويسر ..
انظر فى اعلى الشمال .

مع تحيات

J&m

Theknowledge_walls@yahoo.com

# فهرس

الموضـــوع | الصفحة


- مقدمة أول الطريق الطويل إلى شيء ما فى أعماقنا ... ... ٥ — ١٤
- القوى الخفية التى فى أعماقك وأنت لا تدرى ... ... ... ١٥ — ٣٠
- كم تدفع لى إذا ابتلعت نصف هذه العربة ... ... ... ٣١ — ٤٨
- كان ينظر فى طبق أبيض فيرى عالماً أوضح وأجمل ... ٤٩ — ٧٠
- هذا الذى يسمونه : السحر الأسود ! ... ... ... ... ... ٧١ — ٩٠
- وعليها الإجابة عن كل سؤال وكانت الأوراق تتساقط ... ٩١ — ١١٠
- أرانب الحاج ميرغنى ... ... ... ... ... ... ... ... ... ١١١ — ١٢٦
- راسبوتين الراهب الرهيب ... ... ... ... ... ... ... ... ١٢٧ — ١٤٤
- ظاهرة الاستحضار رؤية الماضى بوضوح تام ... ... ... ١٤٥ — ١٦٢
- من الذى يدق الباب ولا يراه أحد ؟ ! ... ... ... ... ... ١٦٣ — ١٧٦
- هؤلاء أناس عاشوا قبل ذلك ! ... ... ... ... ... ... ١٧٧ — ١٩٢
- ومن السقف تسقط الفاكهة طازجة ... ... ... ... ... ١٩٣ — ٢٢٠
- كيف حالك يا ولدى ؟ ! ... ... ... ... ... ... ٢٢١ — ٢٢٩

# مقدمة

## أول الطريق الطويل
## إلى شيء ما في أعماقنا !

إذا كان عندك وقت فاجلس فى غرفة مغلقة عليك . وحاول أن تغمض عينيك . لا لكى تنام ، ولكن لكى توفر لنفسك الهدوء ولعقلك الطاقة على أن تفكر . ولن أذهب بك بعيداً . فالمطلوب منك أن تفكر فى نفسك . . لا فى الذى حدث أمس أو أول أمس . . ولا فى الذى سوف يحدث غداً . ولا فى كيف تعاقب من أساء إليك أو تكافىء من أحسن إليك . . أو فى كيف تتخلص من الذين يضايقونك . أو تزداد ارتباطاً بالذين تحبهم ويحبونك . .

وليس الأمر سهلا . .

فهناك مدارس فى التأمل ، تطلب إليك أن تفعل ذلك مرة كل يوم ولمدة ثلاث دقائق . . فقط هذه الفترة القصيرة . أما الغرض من ذلك فهو أن تستريح عقلياً ونفسياً بعض الوقت . أى أن هذه المدارس التأملية تطلب إليك أن تكسر « الدائرة » اليومية التى يدور فيها عقلك وجسمك . . فنحن — إن لم نكن نعرف — نشبه إلى حد كبير الأرض التى نعيش عليها . . فهى تدور حول نفسها وتدور أيضاً حول الشمس . . وكذلك كل الكواكب الأخرى . . والشمس أيضاً تدور . . وكل المجموعة الشمسية تدور حول الشمس وكلها تدور ضمن ملايين الملايين من المجموعات حول نفسها وفى الكون حول مركز لا نعرفه . .

لماذا يدور كل شىء ؟ الله أعلم !

ولا أقول « الله أعلم » من باب التدين الشديد أو من باب الاختصار ، كأننى أعلم ولا أريد أن أدخل بك فى التفاصيل ، ولكن هذه هى الحقيقة . . فالله أعلم . والعقل الإنسانى لا يعلم إلا القليل جداً . .

وأنت تدور بعقلك حول عقلك أيضاً . .

ولكى أكون أوضح فى تصوير هذا المعنى ، نحن مثل ثور يدور فى ساقية . . ندور دون نهاية . . صحيح أن الثور لم يختر الساقية ليدور فيها أو حولهـــا . وإنما نحن الذين أرغمناه على ذلك . وكذلك العقل الإنسانى لم يختر أن يدور حول نفسه . ولكن من طبيعة العقل أن يدور ويلف حول شيء أو حول معنى لكى يفهمه . فالعقل لابد أن يدور . كما أن العين لابد أن ترى والأذن أن تسمع والأنف أن يشم واليد أن تمسك والساقين أن يتحركا . . فالعقل يدور بطبعه . . أو بتكوينه . أى أن الله جعله كذلك .

وكما أن العين لا تستطيع أن ترى نفسها . . فكذلك العقل لا يستطيع أن يفهم نفسه . ولكن لابد أن تنظر العين فى مرآة لترى نفسها ، والعقل لابد أن يدرك غيره ليعرف حدود قدرته . .

ما الذى أريدك أن تفعله ؟

أريدك أن تفكر فى نفسك . . أن تفكر فى عملية التفكير نفسها . كيف تتم ؟ كيف أنقل إليك معنى من المعانى ؟ وكيف تقبله أو ترفضه ؟ كيف يعجبك اللون والصوت ؟ وكيف تستطعم الطعـــام وتتذوق الموسيقى ؟ . . وكيف ترفض ذلك كله ؟ . . وكيف تخترع قصة لم تحدث ؟ . . وكيف ترسم لوحة من خيالك ؟ . . وكيف تؤلف موسيقى من وجـــدانك ؟ . . وكيف تؤثر

على إنسان فيحبك ؟ وكيف تؤثر عليه فيكرهك ؟ وكيف يستطيع زعيم أن يسحر الملايين وأن يجعلها تموت من أجله ؟ نابليون ؟ هتلر ؟

ما الذى يحدث فى داخلك . . وما الذى تفعله للتأثير فى أفكار الآخرين ؟ . . ما هذا الذى يجرى فى داخلك ؟

كيف يحدث أن تنطق كلمة واحدة فى نفس اللحظـــة التى ينطقها إنسان آخر ؟

كيف تحس وأنت نائم فى فراشك أن إبناً لك أو صديقاً فى حالة خطر ، فتنهض من فراشك وتتصل به فتجده كذلك . .

أو كيف تدرك الأم فجأة وهى مستغرقة فى النوم أن طفلها الصغير سوف يقع من الفراش . . ثم تنهض وتجرى إلى غرفته البعيـــدة عنه . . فتدركه قبل أن يسقط فعلا ؟

كيف ينهض الأب يشكو من وجع فى ضرسه عند منتصف الليل . . ثم يأخذ قرصاً من الأسبرين وينام وهو مندهش لهذا الصداع المفاجىء لضرسه السليم . . وبعـــد أيام يتلقى خطاباً من أحد أبنائه الذين يعيشون بعيداً عنه من أنه عند منتصف الليل شكا من صداع وأنه لم يسترح إلا عندما أخذ قرص اسبرين . ويقول الإبن فى رسالته أو مكالمته التليفونية أن ضرسه مسوس ولابد من خلعـــه ! .

كيف يروى رواد الفضـــاء أنهم كانوا يتخاطبون بغير اتصـــال بينهم . وإنما كان الواحـــد منهم يخيل إليه أنه يسمع صوت الآخر فتتجه أيديهم معاً إلى إقفال صمام من مئات الصمامات . ثم يسأل الواحد منهم زميله :

هل طلبت منى ذلك ؟

ويكود الرد : لم أفعل ذلك . .

ثم يسألون محطات المتابعة الأرضية : هل طلبتم منا أن نقفل صماماً معيناً ؟

ويكون الرد : لم نفعل ذلك !

إذن كيف سمع كل من رواد الفضاء صوتاً يطلب إليهم إغلاق صمام لو تركوه لأهلك السفينة ؟

كيف تفسر لنفسك إذا ذهبت إلى مدينـــة لأول مرة شعورك بأنك رأيتها قبل ذلك . . ما معنى هذا الشعور ؟

وما معنى أن تتصور وأنت فى هذه المدينة أنك إذا اتجهت يميناً سوف تجد محلا للعب الأطفال . ثم تتجه يميناً وتجد المحل . مع أنك لم تر هذه المدينة من قبل ؟

كيف تفسر أن واحداً من الناس يستطيع أن ينقل أفكاره كلها إلى واحد آخر يبعـــد عنه مئات الأميال . وكل ما حدث بينهما هو أنهما اتفقا على أن يفكر كل منهما فى الآخر فى لحظة واحدة . وفى هذه اللحظة يمسك واحد منهما ورقة مكتوبة ويقرأ ما فيها . فما كان من الثانى إلا أن كتبها على الورق . وبمقارنة ما كتبه هذا وما قرأه ذاك . نجد أن الكلام واحـــد تماماً ! كيف ؟ ولماذا يحدث ذلك لبعض الناس وليس لكل الناس ؟

كيف حدث أن عمر بن الخطاب كان يخطب على المنبر ثم خرج عن الخطبة ووجه حديثه إلى شخص ليس موجوداً . . ولما سألوه قال إنه رأى أحد قادة المسلمين فى خطر أمام قوات الكفار . .

ولما سألوا القائد العربى قال : إنه سمع صوت عمر . .

كيف رآه ؟ وكيف سمعه ؟

أذكر أنى ركبت القطار من الاسكندرية إلى القاهرة . وأغفيت لحظات وصحوت مفزوعاً فقد رأيت فى نومى أن حقيبة قد سقطت فوق رأسى . .

وبعد لحظات اهتز القطـــار فسقطت حقيبة أمامى ، وبعيدة عنى . كيف ؟

ماذا نقول عن قطـــة أخذوا منها صغارها . ووضعوا الأم فى غرفـــة من زجـــاج . وصغارها فى غرفة بعيدة عنها . ولكنهم راقبوا الأم والصغار فى وقت واحـــد . . وكلما وخزوا واحـــداً من صغارها بدبوس انتفضت الأم مع أنها لا تراه ولا تسمعه . . ولمـــا أبعدوا عنها صغارها ألوف الأمتار انتفضت الأم بعد كل المرات التى وخزوا فيها الصغار ؟

كيف نفسر تجربة قام بها بعض العلماء السوفيت عندما أخذوا صغار أنثى كلب البحر . . ونقلوها فى غواصة تبعد عن الشاطىء مئات الأميال ، وعن سطح الماء ألوف الأمتار . فكانوا كلما وخزوا واحداً من صغارها ارتعـــدت الأم . . فلما ذبحوا واحداً راحت الأم تصرخ وتبكى – رغم المسافة الهائلة بين الأم وصغيرها ؟

كيف نفسر ما يحدث إذا طلبنا إلى إنسان أن يتخيل أهرام الجيزة . ثم نطلب إليه أن يركز تفكيره فى ذلك وأن يفتح عينيه ثم نلتقط له صورة . وعندما يتم طبع هذه الصورة فإنك تجد هذه الأهرام قد ارتسمت فى عينيه ؟ كيف رسمها فى عينيه ثم كيف نقلها إلى الكاميرا . . إلى الصورة ؟

ما الذى يجعل النمل يهتدى إلى أوكاره ؟

ما الذى يجعل الطيور تهاجر دون أن تخطىء من قارة إلى قارة ، وكذلك الأسماك . . وتفعل ذلك ملايين السنين ؟ .

بأى شىء يهتدى حمام الزاجـــل . . بالنجوم . . بجاذبية الأرض . . بالرطوبة فى الهواء . . بماذا ؟

ما معنى أن ينظر أحد إلى ساعة فى يدك فيحطم زجاجها ؟ ما معنى أن تبدى سيدة إعجابها بفستان سيدة أخرى فيطير عود كبريت من أقصى الغرفة ليستقر على الفستان فيحرقه ؟ ما معنى هذا الحسد ؟ ما معنى أن ترغب فى الإساءة إلى إنسان فتحقق الإساءة بأن يتعثر فيقع ، وبأن ينكسر ما فى يده ؟

ما معنى أن يرفع إنسان يده فى الهواء ويشير إلى نجفة معلقة فإذا هى تتحرك عن بعد يميناً وشمالا ؟ . إنها نفس ظاهرة الحسد . . فالحسد تحريك أو « تحريق » للأشياء عن بعـــد ؟

ما هذا الذى فى داخلنا ؟ فى عقولنا ؟

ما الذى ينبغى من الإنسان بعـــد أن يموت ؟ وهل يموت الإنسان حقاً ؟ وإذا مات فأين يذهب ؟ فهل تحل روحه فى جسم إنسان آخر أو حيوان آخر ؟

ثم ما هى ( روحه ) ؟

ما معنى استحضار الأرواح . . ما معنى الملائكة والشياطين والعفاريت — كلها أرواح ؟

كيف تفسر أن يجىء طفل صغير ويقول لك : لقد عشت فى الاسكندرية من مائة سنة .

ولا يزال البيت الذى ولدت فيه موجوداً . وكنت أباً ومات أولادى وانتحرت زوجتى ؟

ثم تذهب أنت إلى الاسكندرية لتجد نفس البيت . وتسأل الذين يعرفون فيؤكدون لك : أن كل المعلومات التى لديك صحيحة !

فكيف عرف طفل صغير ؟ وكيف عاش وكيف مات . إن كان قد مات . وكيف انتقلت روحه إلى جسم إنسان آخر . .

ثم كيف تفسر ما تم فى جلسات استدعاء الأرواح . كيف يقول « الوسيط » وهو الإنسان ذو الشفافية الخاصة والاستعداد لأن ينقل إليك أشياء من عالم لا تعرفه . كيف تفسر أن يحدثك بلغات لا يعرفها هو . . وعن أشياء لا يعرفها هو . . وأن يشرح لك قضايا لا يعرفها ويستحيل أن يكون قد عرفها ؟ .

ما معنى ( الوسيط ) — وهل معناه أنه وسيط بيننا وبين آخرين . .

فمن هم الآخرون ؟ وكيف تتم هذه الوساطة ؟

كل ذلك فى داخلك وبسبب ما هو موجود فى داخلك . ولكنك لا تعرفه . فليس لديك وقت لأن تجلس إلى نفسك . وحتى لو جلست فليس من الضرورى أن تعرف ذلك . فالمسألة ليست مسألة وقت . وإنما هى مسألة « قدرة » خاصة

فأنا لو أعطيتك جهازاً خاصاً للتلفزيون وأغلقت عليك الباب مدى الحياة . فهل تعرف ماذا يفعله هذا الجهاز ؟ فلكى تعرف أسرار هذا الجهاز لابد أن تكون متخصصاً . ولكن إذا لم تكن كذلك . فالوقت والتأمل والتفرغ لا يكفى لأن تعرف أى شىء !

فهل أنت وأنا قد تخصصنا فى التفكير فى أعماقنا ؟ هل نحن نعرف كيف نفكر فى أفكارنا ؟ .

نحن نستطيع أن ننظر إلى شجرة . . ونقول : طويلة قصيرة خضراء . . برتقال أو توت . . فقط . ولكن عالم النبات يرى فيها أكثر مما نرى .

وكذلك إذا نظرنا إلى النجوم . نراها أجساماً لامعة بعيدة . ! ولكن عالم الفلك يرى أكثر وأعمق .

وإذا نظرنا إلى أجسامنا . فإننا لا نعرف كيف تتدفق عصاراتها وتفرز غددها ولا ما هو المرض والصحة . إلا إذا كنا أطباء . . فليس كل صاحب جسم قادر على فهمه أو علاجه .

وكذلك ليس كل صاحب عقل قادر على فهمه أو علاجه .

ولا كل صاحب عقل قادر على فهم عقله ولا معرفة هذه القوى التى تحركه وتتحرك فيه . وتنقل أفكاره إلى الآخرين . .

وكان أستاذنا العظيم سقراط يقول لنا : اعرف نفسك بنفسك !

وقد مات سقراط منذ ألوف السنين وهو يتصور أن نصيحته القليلة الكلمات هى أسهل وأبسط ما يمكن أن يقال لنا . والحقيقة أنها صعبة جداً وليس أصعب ما فيها أن يعرف الإنسان نفسه . ولكن الصعب جداً هو أن يعرف نفسه « بنفسه » . فمن السهل أن أعرف جسمى عن طريق ما يقوله الأطباء . وأن أعرف

الكواكب مما يكتبه الفلكيون . . وأن أعرف الأشجار والحيوانات من قراءة كتب النبات والحيوان . .

ولكن الصعب أن أعرف ذلك بنفسى .

فليس أصعب من أعرف أنا نفسى أنا . فلست مؤهلا لمعرفة عقلى بعقلى . لأن هذا يحتاج إلى تخصص . إلى علم .

حتى علماء النفس والفكر والمنطق والتاريخ لا يعرفون بالضبط ما هذا الذى يحدث فى داخل العقل الإنسانى . .

أنهم يفسرون التفكير الإنسانى فيقولون : أن الأفكار مثل الكهرباء .. أو المغناطيسية . . أو أن عملية التفكير تفاعلات كيماوية . .

وأن العقل به خاصية غريبة هى للتفكير والإبداع وبه ذاكرة تحفظ الأرقام والأحداث . . وقادرة على استرجاع كل شىء وتخيله . .

وإذا نحن كسرنا دماغ أى إنسان فإننا نجد المخ مجرد مادة رمادية اللون لا تختلف من أى إنسان إلى إنسان آخر . . ومع ذلك فعقول الناس مختلفة .

وقد ظن العالم الرياضى الكبير أينشتين أن شيئاً ما فى مخه يختلف عن سائر البشر . لأنه كان رجلا عبقرياً . وبعد وفاته فتحوا دماغه . وأخذوا مخه . ولم يجدوا أى فارق بين مخه وبين مخ خادمه الذى يعمل فى بيته . .

إذن ما هذا الذى يجعل إنساناً عبقرياً ويجعل إنساناً غبياً ما دام المخ واحداً فى لونه وحجمه ووزنه . . أى ما دام العقل واحداً ؟

إننا فى حيرة . والحيرة هى بداية الهداية . . وفى قلق والقلق هو بداية لاطمئنان . . والتساؤل بداية البحث عن إجابة . . والشك بداية المعرفـــة . .

والمعرفة هى بداية معرفة الإنسان لنفسه وبنفسه . .

إن العلوم الحديثة : علم النفس وعلم وظائف الأعضاء والكيمياء والفيزياء

والشريعة الدينية كلهاتحاول معاً وفرادى أن تجد تفسيراً لهذا السلوك الغريب من الإنسان . .

أو لهذه القدرات الخفية فى داخله . . والتى يفاجأ بها عندما يرى نوعيات غريبة من الناس . .

ويكون استنتاج الإنسان بعد ذلك : أن هذه القدرات الخفية موجودة عند كل الناس . ولكنها ظاهرة عند البعض وخافية عند البعض الآخر . ولكننا يجب أن نعرفها من أجل تنميتها والاستفادة منها عند الجميع . .

وقد حاول العلماء أن ينقلوا مخ إنسان إلى إنسان آخر . .

فقد جربوا ذلك فى الحيوانات . . فكانت تجاربهم على الفئران . نقلوا إليها خلايا فئران أكبر سناً . فكانت الفئران الصغيرة تخاف من أشياء لا تعرفها وإنما كانت الفئران الأكبر قد عرفتها . . ومعنى ذلك أن العلماء استطاعوا نقل ( تاريخ ) فأر إلى فأر آخر . . أى تجارب فأر إلى فأر آخر . .

وقفز العلماء إلى فكرة نقل مخ أينشتين إلى علماء آخرين . . وبذلك يوفرون على العلماء التعب ويمدونهم بعناصر العبقرية . . وبذلك لا ينقطع تاريخ الإنسان ولا تجاربه . ولم تفلح هذه التجربة . وبقى العقل لغزاً . وقواه الخفية أكثر خفاء !

ثم ما الذى يجعل إنساناً يرى أشياء ولا يراها غيره ؟ ما الذى يجعل إنسان يجتذب الأشباح . ولا يفعل ذلك إنسان آخر ؟ ثم ما هذه الأشباح ؟ هل أرواح أناس ماتوا . . أو هى أرواح تنتظر دورها لكى تدخل أجسام صغار البشر أو صغار الحيوانات ؟

كيف نفسر البيوت التى تحترق لمجرد أن يوجد فيها بعض الناس . كيف نفسر احتراق الملابس الملاصقة للجسم دون الملابس الخارجية ؟ كيف نفسر صوت الأطباق والسكاكين فى البيوت التى لا يسكنها أحد ؟

إن العلماء اليوم يؤكدون لنا أن النباتات أيضاً تشعر بالحيوانات . . وأن الأجهزة الالكترونية قد سجلت [illegible] عن قدوم العصافير أو

الفراشات ؟ كما أن الأجهزة الحديثة قد أكدت لنا أن النباتات إذا قطفنا منها زهرة أو قطفنا منها غصناً فإنها تبكى أو تنزف . وقد تم تسجيل ذلك ؟

وكيف أن الموسيقى تنعش النبات والحيوان ؟

وكيف أن حنان هواة الورود يجعل الورد أكثر نضارة . . وكيف أن « الشخط والنطر » فى الزهور يجعلها تذبل !

إن الرسول عليه السلام يؤكد فى أحاديثه الشريفة أن النخيل تبكى ! ولم نفهم ذلك . واليوم نصدقه .

ما هى هذه « اللغة » التى يتفاهم بها الكون كله . . ما هذه الموجات ما هذه الأصوات . ما هذه العطور ما هذه الإشارات التى تملأ الدنيا حولنا ولهـا معنى واحد . أن هناك عقلا وحكمة تستوعب الدنيا وتمسكها ؟

إن العقل الإنسانى لغز كبير . . وإننا نحاول أن نفهمه . .

ولكن الوسيلة التى نحاول بها أن ندرك معنى العقل وقواه الخفية . هذه الوسيلة ضعيفة . . فنحن الوسيلة . . فنحن نبحث عن شىء فى داخلنا لا نراه . . ولا نعرف كيف نستخرجه لنراه أو نسمعه أو نشمه . .

كأننا نحاول أن نرى وجوهنا فى غرف مظلمة تماماً تغطت جدرانها بالمرايا . . إننا نلمس المرايا . . وعلى يقين من وجودها . . ولكن لا يوجد لدينا شعاع ضوء يمكننا من ذلك !

فقط عندما يحدث لنا شىء غريب . . أو نرى إنساناً غريباً . . فقط ندرك أن هناك الكثير جداً الذى نعرفه ولسنا على يقين منه . . أو نحن على يقين منه . ولكننا لا نعرف كيف حـــدث . .

إننا فى أول الطريق الطويل إلى شىء مات فى أعمق أعماقنا !

مارس ١٩٧٩

القوى الخفية ..

التي في أعماقك وانت لا تدري

نحن نعرف العالم الذى نعيش فيه .. وقد اعتدنا عليه .
واعتدنا على أننا إذا أتينا بعود كبريت مشتعل ووضعنا تحته ورقة فإنها تحترق
واعتدنا على أننا إذا ألقينا الورقة فى الماء .. فإنها تنطفىء ..
واعتدنا على أن نسبح على الماء .. ولكن .. لم نتعود أن نمشى على سطح الماء !!

فإذا رأينا بعض الناس لهم قدرات غريبة أو خارقة قلنا : إن هذا سحر ..

أى أن هذا شيء غير مفهوم وغير مألوف ــ أى غير الذى اعتدنا عليه .

وإذا قابلنا شخصا ينظر إلى أعيننا فإذا هو يقرأ أفكارنا ويقول : أنت تريد أن تشترى كذا وكذا .. قلنا إن هذا شيء غير مقبول ــ أى أن العقل لا يقبل هذه القدرة الغريبة عند بعض الناس .

وهل هذه القدرة الخفية موجودة عندنا نحن أيضا ؟ . كيف نهتدى إلى ذلك ؟ . وكيف ننفخ فى هذه القدرة الخفية لتصبح قدرة ظاهرة .

ثم ما لذى يجعل الإنسان إذا لمس الحديد تحول إلى « بودرة » ؟ .. أو ما الذى يجعل إنسانا إذا لمس « البودرة » تحولت إلى بخار ؟ .

كيف استطاع موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه فينقسم البحر نصفين .. كيف ؟ ما هذه القدرة التى فى موسى وفى عصاه ؟ وكيف استسلم البحر ؟ .

ما الذى جعل موسى يمسك العصا فإذا هى أفعى تأكل الأفاعى الأخرى .. ثم يعود فيمسك الأفعى فتكون عصا من جديد ! .

كيف يضع الإنسان يده على ساعة يدك فتلعب عقاربها ؟ ثم ما هى هذه القوة التى لديه تجعل العقارب تلف كما يريد ؟ وأكثر من ذلك كيف يظهر إنسان فى التليفزيون ويطلب من المشاهدين أن ينظروا فى ساعاتهم .. ثم يطلب إليهم أن يضعوها فى جيوبهم .. ثم يطلب إليهم أن ينظروا فيها مرة أخرى .. فإذا فعلوا وجدوها تحركت مرة أخرى ؟ كيف ؟ .

هذا هو الكتاب الثانى للكاتب الإنجليزى كولن ويلسون . فقد كان كتابه الأول الضخم الفخم عن « القوة الخفية » . ثم هذا الكتاب عن « القوى الغريبة » والكاتب الإنجليزى كولن ويلسون قد هز العالم فى الخمسينات عندما أصدر كتابه الشهير الذى عنوانه « اللامنتمى » — وكان يحلل فى هذا الكتاب ظاهرة الضياع الفكرى والعاطفى فى أوروبا كلها .. أى عند جيل كامل من الشباب فى أوروبا وأمريكا .. فنى هذا الكتاب وضع أصابعه الرفيعة الطويلة الشائكة على كل مواجع الشباب فى العالم . واهتدى إلى معنى الضياع ، إلى معنى أن يكون الإنسان لنفسه وليس لأحد . لأنه لا يجد أحدا . أو لأن فى الدنيا مئات الملايين من « الآحاد » ولكن ليس فيها واحد يهمنى أو واحد يهتم بى .. فكان لابد من هذا الإحساس الملعون بأن الإنسان كانت له جذور واحدة .. وفجأة اشتبك هذا الفستان بمسار فى أحد المقاعد .. ولو بحثت فى هذا المعقد لوجدت أنه من المستحيل أن يكون به مسمار . فهو مقعد من الجلد ؟ .

أو كيف تفسر ما يحدث فى الريف عندنا من أن أهل القرية يعرفون أن رجلا حسودا يستطيع أن يصيب أى إنسان .. أو يصيب أى شيء يملكه أى إنسان بمجرد النظر إليه .. وأحياناً يكون الحسود أعمى .. أى أنه يحسد بمجرد أن يوجه شعوره ناحية أخرى .

وفى الريف المصرى قصة الحسود الأعمى الذى أخذوه لكى يحسد جواميس بعض أغنياء القرية .. وطلب الحسود أن يصحبه أحد إلى أطراف القرية ليواجه الجواميس عند عودتها .. وقال الحسود : إذا رأيت الجواميس تقترب فنبهنى إلى ذلك .

فقال له الرجل الذى يصحبه : إنها جاءت فسأله : أين هى ؟ ؟ قال : بالقرب من الترعة .. قال الحسود : ياه .. وهل تستطيع أن ترى الترعة من هنا ؟ ! .

وأصيب الرجل فى عينيه .

وقد سمعت من الأمير سلمان أمير الرياض أن فى البادية رجلا يستطيع أن يحسد أى إنسان مهما كانت المسافة بينهما . . وكل ما يطلبه الحسود هو : اعدلنى .

أى اجعلنى أتجه ناحية المدينة أو المسكن الذى يعيش فيه هذا الشخص .. ثم إن هذا الحسود يرفع صدره ويطلق زفيرا من أنفه .. ويكون هذا الهواء الذى خرج من أنفه مثل طلق نارى يصيب الضحية .. أو سيارة هذا الشخص ، أو أحدا من أولاده ! .

والعلم الحديث قد وجد تسمية لهذا الحسد . أما التسمية فهى : تحريك الأشياء عن بعد Telekensis أو التأثير فى الأشياء دون لمسها .

وقد تحدثت الصحف العالمية فى الأعوام الأخيرة عن شاب اسمه يورى جيلر .. هذا الشاب قد تخصص فى تحريك الأشياء عن بعد ، مستخدما قوته الخفية .

فهو مثلا يستطيع أن يضع يده على الشوك والسكاكين فإذا هى تتحطم بمجرد لمسها .. وأحياناً تنثنى بمجرد أن يشير إليها من بعيد .. وقد عرضه التليفزيون الفرنسى بين عدد من الصحفيين .. وأتى لهم بعدد من علماء الفزياء .. وبحثوه جيدا .. وجعلوه يخلع ملابسه ويستعرض هذه القوة الغريبة .. ولم يجدوا فى جسمه شيئا غير عادى .. ولكن هذا الشاب يقوم بعملية تركيز عقلية على هذه الأشياء ويلمسها .. أو يشير إليها من بعيد ، فإذا الملاعق والسكاكين تمشى وراء يده مع أن المسافة بين اليد وبين الشوك والسكاكين بضعة أمتار ! ثم قطعوه .. قطعوه هو ، وقطعوا جذوره .. فأصبح نباتا بلا جذور ، بلا أرض . لماذا ؟ .

لأن الإنسان اكتشف فجأة فى أعقاب الحروب العالمية المدمرة :

ان الإنسان بكامل قواه العقلية يهدم قواه العقلية . وأن الإنسان إذا كان له قلب . فإن قلبه هذا يدق فى رأسه .. أى أن عواطفه تتحول بسرعة إلى حسابات منطقية .. إلى أرقام .. إلى أشياء ميتة .. أى أن الطريق الدموى الحار الذى يبدأ بالقلب ينتهى بثلاجة نحملها على رؤسنا اسمها : العقل والمنطق والمصلحة ! .

وظهرت بعد هذا الكتاب عشرات من الكتب والروايات .. وكلها محاولة رائعة لمعرفة خبايا العقل والقلب .. أو أعماق الشعور الإنسانى .. الشعور الواعى .. والشعور الخفى .. أى البحث عن ضوء العقل ، وعن سبل القلب .. البحث عن القدرات المحسوبة ، والقدرات التى لا نعرف من أين تجىء .

إن الكاتب الإنجليزى كولن ويلسون ، قد انتقل فى هذين الكتابين إلى الحدود بين العقل والكون ، أو بين العقل والخرافة .. ولكنه ليس من دعاة الخرافة .. فهو يدعو إلى فهم كل شىء وأى شىء .

صحيح أن العقل الإنسانى محدود .. وقدراته موزونة ومحسوبة .. ولكن فى داخل الإنسان قدرات وقوى غريبة وعجيبة .. تظهر فى بعض الأحيان ، ولا نعرف كيف ! ثم تظهر هذه القدرات الخارقة عند بعض الناس ..فنصاب أمامها بالذهول : أى بالعجز عن التفسير والتدبير .. ولكن لا نستطيع أن نكذبها .

ولنضرب مثلا صغيرا يسهل تفسيره ، ونضرب مثلا آخر يصعب تفسيره .

المثل الأول أن أكون مصابا فى قدمى كأن يكون قد دخل فيها مسمار .. وبذلك أصبحت غير قادر على المشى . وفجأة وجدت أمامى ثعبانا .. وهاجمنى الثعبان .. ووجدت نفسى أجرى بسرعة هائلة .. وقد نسيت تماما هذا المسمار الذى أوجع قدمى .

فمن أين جاءت هذه القوة ؟

تفسيرها سهل :

وهو أن حالة الخوف هذه قد أدت إلى نشاط فى إفرازات الغدة الكظرية ــ أى الغدة فوق الكلية ــ وهذا الإفراز ملأنى حيوية ونشاطا هائلا .. وهذا هو التفسير الكميائى .. أى أن إفرازات هذه الغدة هى المصدر المعروف لنا ، عن القوة والإنطلاقة الهائلة من كل قيود الألم ! .

ولكن كيف تفسر أن واحدا قد نظر إلى ساعة فى يدك .. وفجأة إنكسر زجاجها أو كيف أن واحدة نظرت إلى فستان . . فتمزق

وفى استطاعته أن يقرأ أفكارك أى ينقل فكره إليك أو ينقل فكرك أنت .

وقد وجدوا لهذه الظاهرة اسما علميا هو « التلباثى » أى ظاهرة « التلبث » أو ظاهرة « التخاطر » ــ أى قرءاة الخواطر .

وقد أجريت معه تجربة بسيطة .. فقد جلس أمامه واحد راحيتخيل شيئا ، وطلب إلى الفتى يورى نقل هذه الصورة . فراح ينظـــر إلى الشخص أمامه . ثم أمسك قلماً وورقة ورسم الصورة أو نقل العبارة التى كانت تدور فى رأس الشخص الآخـــر . .

ثم جلس فى مكان ما شخص آخر يرسم حيواناً عجيباً . هذا الحيوان لا وجود له . وجلس يورى يركز تماماً . وأمسك القلم وقال : إن هذه الصورة خرافية . . لم أرها قبل ذلك . . ولكننى سوف أحاول !

ومضى يركز على الورقة والقلم ، ثم رسمها قريبة الشبه بها تماماً . .

ــ فمن أين يأتى بهذه القـــوة ؟

هناك رأى يقـــول : إن هذه القـــوة كانت فى اللاشعور . . فهو يستخرجها ويستخدمها وهذه قدرته الخاصة . فكل إنسان لديه مثل هذه القـــوة ولكنه لا يعرف كيف يستخدمها . . تماماً كما يكون لإنسان مبلغ كبير من المال ، ولكنه لا يعرف كيف يستفيد منه . لا يعرف كيف يستثمـــره !

وفى السنوات الأخيرة ظهـــرت نظريات جديدة وعجيبة تقول : إن هناك أشباحاً . وأن هذه الأشباح كائنات موجودة بشكل ما . ولكنها لا تستطيع أن يكون لها تأثير على أحد إلا إذا استمدت قدرة أو طاقـــة تجعلها مرئية . ولذلك فهذه الأشباح تستمد قوتها من الشبان المراهقين أو من بعض الشباب المريض . . ولابد لهذه الأشباح من الاستعانة بطاقة بشرية تجعلها ملموسة لنا . . أو لكى تجعلها قادرة على لمسنا : فنسمعها ولا نراها ، أو نراها ولا نسمعها . . أو . . لا نراها ولا نسمعها وإنما تملأ هى أجسامنا وتسيطر عليها . .

أى لابد من الاستعانة بالقـــوة البشرية الموجودة فينا ، لكى يكون الإنسان قادراً على القيام بشىء غير مألوف ، وقليلون هم أصحاب هذه المقـــدرة . .

وفى العـــالم كله أنـــاس لديهم القـــدرة وليسوا دائماً من الأوربيين أو الأمريكان . . وإنما من العـــرب والزنوج والمصريين والهنود والصينيين . . ولكننا لم نسجل هذه الخـــوارق ، ولم نبحثها . . فقد تأخرنا فى ذلك . . وسبقنا غيرنا إلى تسجيلها ودراستها والبحث فى أسبابها لعل أحداً يهتدى إلى المعنى أو إلى الحكمة من وراء كل ذلك .

وهناك معـــاهد لتدريب الناس على استخراج الكنوز المدفونة فى أعماقهم. هناك معاهـــد تعلم الناس كيف يسيطرون على أنفسهم وعلى غيرهم . وهذه المعاهد لا تعطى أحداً شيئاً وإنما تهديه فقط إلى ينابيع قوته وقـــدرته . .

ومن أشهر أصحاب هذه المعاهـــد المتصوف الروسى جورجيف . له « معهد الانسجام الإنسانى » بالقرب من باريس . . وفى هذا المعهـــد يقـــوم جورجيف بتدريب طلبته على الاعتماد على قدراتهم الذاتية فى العمـــل والصوم . فهو يطلب إلى الواحد أن يقف على ساق واحدة . . دقيقـــة . . وساعة . . ويوماً . إن رجلا فى الثمانين كان يمشى مكسور الظهـــر ، جعله جورجيف يقف ممدود الظهر وعلى ساق واحدة دون أن يهتز عشرين ساعة . وقد تبدو هذه حادثة بسيطة .

ولكن الذى ليس بسيطاً هو : كيف استطاع ذلك رجل قد تجاوز الثمانين ؟

وكان جورجيف يدرب تلامذته على أنواع من الرقص . ولم يكن يهدف من وراء الرقص أن يتعلموا شيئاً . وإنما فقط أن يصبحوا قادرين على الاحتمال . وبعد أن يقوم بتنبيه قواهم الخفية والسيطرة عليها . فإنه يتركهم يعملون .

إن واحداً منهم ظل يعمل من الصباح حتى ساعة متأخرة من الليل دون أن يشعر بالجوع أو العطش أو التعب . .

أما تفسير ذلك فهو أنه قد أيقظ قواه الخفية فراحت تعمل دون ملل أو دون تعب . .

– يقول جورجيف :

إن فى داخل كل إنسان طاقة احتياطية هائلة . إن فى داخل كل إنسان طاقات مدخرة . . ورسالتى أن أساعد الناس على أن يستخدموا قواهم . .

وكان جورجيف هذا يعتقد أن فى الكون كله طاقة هائلة . وليس فى مقدور كل إنسان أن يستعير منها ما يحتاج إليه . وكان يرى أنه شخصياً واحداً من القلائل القادرين على الاستفادة من « الاحتياطى الكونى » وأن ينقل هذه الطاقة إلى الآخرين . .

يروى جورجيف قصة مألوفة . .

وهى أن له جارة لم يفكر فى أن يراها . ولا أن ينظر إليها ولا أن يحبها . وفجأة أحس أن قلبه يتحرك كأنما كان قلبه ميتاً قبل ذلك . ووجد نفسه يتجه إلى الباب . ثم يضع يده على جرس شقة جارته . وفى اللحظة التى ذهب فيها ليدق الجرس . خرجت له هذه الجارة الجميلة . وفوجىء أنها ليست جارة . . وإنما هى إحدى قريباته . ولم يجد ما يقوله . ولكنها سبقته إلى الكلام فقالت له : أنا أعرف لماذا جئت . أنت جئت لكى تقول لى إنك تحبنى . . أليس كذلك ؟ دعنى

أفكر فى هـذا الأمـر . فإن قلبى لم يتحـرك ناحيتك . ولكن شعوراً خفياً سحبنى ودفعنى إلى الباب لأقول لك ما شعرت به نحـوك . .

ولكن الذى حدث هو أن هذا المتصوف الروسى قد اتجه إليها . ونقل أفكاره إلى عقلها . ثم دفعهـا ناحيته ، دون أن تفكر فى ذلك . ثم جعلها تفتح الباب وتقول له ما يريد أن يقـوله . . ثم أنها استجابت لكل مشاعره ؟ !

يقـول جورجيف : إننى فى ذلك اليوم لم أكن فى أحسن حالاتى النفسية . فأنا لم أنم منـذ أيام . . ولو كنت مستريحاً فى ذلك اليـوم لجعلتها تحبنى أيضاً ! .

ومن الرقصات التى كان جورجيف يعلمها لتلاميـذه فى باريس رقصة اسمهـا « رقصة الدراويش » . . هـذه الرقصة أقرب ما تكون إلى الذكـر أو الزار . . والغـرض منها : أن ينفض الإنسان التراب والصدأ عن جسمه ، وبعـدها يصبح الجسم قادراً على التلقى . . أى على استقبال قواه الخفيـة . . أو استقبال القـوى الخفية التى يبثها جورجيف فى تلامذته . . فإذا حدث هـذا الاستعداد من تلامذته فإنه يتركهم ينفقون من قدراتهم . . وكل الذى فعله جورجيف هو أنه أعطاهم الشرارة الأولى وتركهم يتحـركون مستعينين بقدراتهم الفـردية على عمل أى شىء !

ولو نظـر الإنسان إلى حياته العادية لوجد أنه يعيش بصـورة « آلية » . . كأن الواحد منا إنسان آلى . . أو منـوم مغناطيسيـاً . . فحياتنا منتظمة . نتحرك بحكم العادة . ولذلك نأكل ونشرب ونعمل . فأنت تتحرك فى شوارع معـروفة لك كل يوم . ولا تنظـر إلى هذا الشارع . إنما تعودت على أن تتجاهل أكثر الأشياء المحيطـة بك . . وأكثر الأصوات التى تجىء إليك من النـوافذ . . وأكثر الروائـح التى تتسرب إليك من كل اتجـاه .

فنحن قد اعتدنا على أن نتجاهل أكثر الأشياء والناس والعلاقات والانفعالات والأفكار .

ونظل كذلك حتى نتنبه فجأة إلى شيء ما . .

أنظـــر لنفسك . . ما الذى يفعله الحب بك . . ما الذى يملأ به قلبك ورأسك . . وكيف أن هذا الحب يتجـــه إلى واحــــدة من الناس ، فتجد نفسك مشغولا مربوطاً بها ، وكيف إن دنياك كلها قد دارت والتفت حولك وحولها ؟

ثم انظـــر ما الذى تفعله بك الكراهية أو الحقد أو المرارة . . كيف تخنقك وكيف تجعلك لا ترى فى الدنيـــا شيئاً واحـــداً جميلا ؟ . .

— إن هذه الانفعالات العنيفة تنبه قواك الخفية . فإذا أنت أكثر يقظة وأكثر حساسيةوإذا بك ترى من دنياك ما لم تكن تراه من قبل .. ثم كيف يصحو الإنسان الآلى فى داخلك ، ويتحـــول إلى إنسان قوى جبـــار عنيف عملاق . . إن « العادة » أو العادات التى نتحـــرك بمقتضاها قد حبستنا فى هذا الكـــون . . ولا سبيل للخروج من هذا الكون الجامد إلا بتنبيه الطاقات الخفية المخـــزونة فى أعماقنـــا . .

والذين يتعاطـــون أقراص الهلوسة ، إنهم يفجـــرون هذه الحدود . . إنهم يوسعون المجال الحسى للانسان . . فإذا العالم يتسع ويتراجـــع ويتلـــون ويهتز . . إنه عالم آخـــر . قد حركته فينا هذه التفاعلات الكيماويـــة . . هذه التفاعلات قد أطلقت قوى خفيه فى أعماقنا . . تماماً كما تطلـــق مجمـــوعة من الحيوانات من أقفاصها ، فإذا هى تتحـــرك بعنف . . وتخيف كل شيء حولنا . ثم إذا هذه التفاعلات الكيماوية تفك قيود الجاذبية الأرضية والنفسية . . فإذا الإنسان يطير كأنما لا جاذبية أرضية . . وإذا بالإنسان يرى ما لم يره قط ، ويسمع ما لم يسمعه أبداً . . أى أننا خرجنا من كل شيء اعتدنا عليه ، أى أطلقنا سراحنا من هـــذه « العادات » التى عشناها . . ولم نخـــرج عنها . ومن عيوب العادات التى نكونها أنها تجعلنا أكثر كسلا . .

ولا تزال هذه الطاقة الخفية لغـــزاً ، ولا تزال طريقة إثارتها ونقلها إلى الآخرين لغـــزاً . ولكن هذا لا يمنعنا أن نسجلها وأن نصفها وأن نحددها . وأن نحاول تنشيطها . .

يروى د . كافيسكى وهو أحد العلماء الروس الكبار أنه فى يوم من الأيام صحا من نومه على صوت ملعقة تتحرك فى كوب من الزجاج . ونظر حوله فلم يجد شيئاً . وفى الصباح علم أن جاره توفى . وسأل زوجة الجار كيف مات . فقالت إنها صحت عند منتصف الليل تعطيه الدواء . وأخذه وتراجع ومات . .

فطلب إليها أن تعيد له ما فعلته بالضبط . فأتت بملعقة وكوب وراحت تقلب الدواء . وسمع نفس الصوت الذى أيقظه فى الليل .

ولم يكن د . كافيسكى هذا من المهتمين بظاهرة قراءة الأفكار عن بعد ، أو نقلها من بعيـــد . وإنما كل الذى اهتدى إليه : هو أن جاره هذا كان يفكر فيه عند منتصف الليل وهو يشرب الدواء . وأنه نقل إليه هذه الفكرة أو هذه الرغبة : وقد أيقظته هذه الرغبة . ثم مات . .

وهناك حادثة مشهورة جداً لرجل اسمه فولف مسنج . كان قادراً على نقل أفكاره إلى الآخرين فقد ذهب إلى أحد البنـــوك ومعه عدد من رجال الشرطة والعلمـــاء وقدم شيكاً إلى موظف الخـــزانة فإذا بالموظف يخرج مائة ألف روبل ويعطيها له . .

وذهل العلمـــاء ورجال الشرطة . فقد كان الشيك أبيض تماماً . ولكنه استطاع أن يوحى لموظف الخزانة بدفع هذا المبلغ . ثم عاد الرجل وأعاد المبلـــغ وسحب الشيك الذى وجده موظف الخـــزانة أبيض تماماً . . ثم سقط موظف الخزانة ميتاً من هذه الصدمة العنيفة . !

وكانت هذه التجـــربة بناء على طلب ستالين فقد أراد أن يعرف مدى صدق هذا الرجل ! .

– وفى استطاعة الإنسان أيضاً أن ينقل أفكاره ومشاعره إلى الحيوانـــات أيضاً . . فهناك مع يستطيع أن يوقظ كلبه النائم بمجـــرد أن يتوجه إليه بأفكاره ويطلب إليه أن ينهض . فإذا الكلب يتقلب ويصحـــو . . وكذلك بالنسبة لبقية الحيوانات والطيور المنزلية المدللة .

ولكن بين رجال السيرك والحيـــوانات المفترسة علاقات أقوى وأعمـــق ، لأنها علاقات تتم فى حالات الخطـــر القصوى . ولذلك من المألوف أن نجد أن الأسود – مثلا – تستريح إلى بعض المروضين دون البعض الآخـــر . . أو العكس . وتفسير ذلك سهولة التخاطب أو « التخاطر » بين الحيوان وبين الإنسان . .

فمروض الوحـــوش الألمانى العالمى كارل كلاوس كان بينه وبين أحد الأسود اتفاق . . أنه لا داعى للمـــداعبة العنيفة أمام الجمهـــور . وأن المداعبة فقط بعد نهاية العمـــل . . ولذلك كان الأســـد يطيع الأوامر فقط أمام الناس . ولكن إذا انفرد بصاحبه بدأ اللعب العنيف . وفى إحدى المرات نسى الأسد . . أو توقف « التخاطر » أى إصدار الأوامر المستمر إليه أن يحترس من ذلك ، فهجم الأسد على المروض . وظن الحراس أن الأسد سوف يقتل صاحبه ، فأطلقـــوا عليه الرصاص . . فما كان من الأســـد وهو ملقى على الأرض إلا أن ضرب صاحبه ضربة عنيفة كسرت ضلـــوعه ! .

وعندما مات كلاوس هذا كان ينام تحت سريره أسد صغير . وكان هذا الأسد الصغير حزيناً على سيده . . وكان مرتبطاً به . وكان مطيعاً لأوامره . . واعتدل كلاوس فى فراشه لينادى الأسد الصغير ويقـــول له : بعد موتى . . لن تعيش . . لن يطعمك أحد كما فعلت . . لن يدللك كما فعلت . . لا حيـــاة لك بعـــدى . .

– وبعدها بلحظات مات كلاوس ، والأسد الصغير أيضاً !

وأصحاب الكلاب المدللة يرددون نوادر غريبة عن فهـم هذه الحيوانات لهم . . كيف أنها تشعر بأحزانهم . . أو بسعادتهم . . وكيف تضرب عن الطعـام إذا مرض أصحابها . . أو كيف تمشى وراء نعوشهم حتى تموت هى أيضاً عند قبورهم !

– بل إن هناك نظـرية جديدة تؤكد أن علاقة ما موجودة بين الإنسـان والنباتات وخصوصاً الزهور . وأن طبيبة شهيرة فى أمريكا كانت تنقل أفكارها إلى إحـدى شجيرات الورد . . وكيف أنها كانت قادرة على أن تنقل خبرتها إلى أوراق الورد فتذبل ، وإلى أوراق الورد فتلمـع . . وكذلك بالنسبة لطيور الزينة فى البيت !

– إن هناك قدرة على أن ننقل أفكارنا إلى غيرنا من الإنسـان والحيوان والنبـات . .

وقد ذهب العلم الحديث خطوة أبعد من ذلك فصور بالأجهـزة الدقيقة حالات الحـزن والفـرح عند النباتات أيضاً ؟ !

إن طبيباً معـروفاً فى باريس كانت لديه هذه القدرة العجيبة فى التأثير على قطة صغيرة . لقد كان يوحى إليها بأن تتوقف عند بعض الأرقام المكتوبة على الأرض . . وأحياناً عند بعض الحروف . . وكان يعرض ذلك على الناس . .

وهناك تجارب كثيرة يقـوم بها الناس العاديون على سبيل التسلية ، كأن يقف أربعة أو خمسة حول شخص سادس . . ثم يشبكون أيديهم فوق رأسه . . وإذا بهذا الشخص يجد نفسه يتحرك بقوة لا إرادية إلى الناحية التى يريدون . . وهناك تجربة أخرى يأتون بشخص ويجلسونه على مقعـد . . ثم يلمسون بأصابعهـم أطراف هذا المقعد . . فإذا هو يرتفع فى الهواء . . أجريت مثل هذه التجارب وغيرها علناً . ولكن بشرط : أن يكون هؤلاء الأشخاص جميعاً قادرين على التركيز ونقـل أفكارهم . ويكون هذا الشخص الجالس قادراً على تلقى قـواهم الخفيـة والاستجابة لهـا . .

وهناك تجربة أخـــرى . . أن يأتى الإنسان بورقة . ويصنع منها ما يشبه الشمسية ثم يأتى بإبرة ويثبت هذه الشمسية فى غطاء من الفلين لإحدى الزجاجات . . ثم يضع يده عالية على هذه الورقة وينتظر بعض الوقت ويركز تفكيره فى تحريكها . . وسوف يجدها تتحرك . جربها كثيرون . والمعنى واحد : أن تركز تفكيرك . فيصبح هذا التفكير وسيلة لانطلاق طاقة مختزنة لتحريك الأشياء عن بعـــد !

إن التلفـــزيون الإنجليزى قد صور رجلا له قدرة على تبديد السحب بمجـــرد النظر المركز إليها . . وقد رأى الناس سحابة . . وهى تتحرك ثم وهى تبعد . . وأخيراً وهى تتبدد تماماً . . كل ذلك فى لحظات !

– إذن كيف نفسر أن بعض الحيـــوانات عندها هذا الاستعداد لتلقى الأفكار والخواطر أكثر من الإنسان . .

سبب ذلك أن الإنسان فى حياته العادية لم يعد يستخدم قدراته الخفية . . إنه حيـــوان كسول . . إنه يستخدم السكين بدلا من أصابعه ، يستخدم التلسكوب والميكروسكوب بدلا من عينيه . إنه يستخدم التليفـــون بدلا من حنجرته . . إن الإنسان قد ابتعد كثيراً جداً عن نفسه . . إنه لم يعـــد يعتمـــد على غرائزه . . لم يعد يقترب من نفسه . . ولم تعد لديه هذه الشفافية وهذا الصفاء الذى يجعله قادراً على أن يقـــرأ أفكار غيره أو ينقلها أو يتلقـــاها . . ولكن الإنسان البدائى أكثر صفاء وأقوى نفسياً . . أما الإنسان المتحضر فهـــو يعتمد على العقل أكثر من اعتماده على الغريزة . . يعتمد على الشعور أكثر من اعتماده على اللاشعور . . يعتمد على الظاهـــر أكثر من اعتماده على الباطن .

ولذلك فإننا نجد رجـــال الدين والصـــوفية والناس الطيبين . . الأولياء والقديسين فى كل دين ، لديهم هذه القـــوى الخفية وهذه القدرة على التأثير فى الأشياء والأشخاص وفى العلاقات الإنسانية .

ثم إن هناك تفسيراً جديداً للدعـوات واللعنات . أى عندما يدعو إنسان لإنسان أو يدعو « عليه » . . إنه ينقل رغبته بقـوة خفية نحو الأحسن أو نحو الأسوأ ! .

ومن الحوادث الغريبـة أن ناظر إحدى محطات السكك الحديديـة ينهض من نومه فى السادسة صباحاً وعنده صداع فى رأسه . أما تفسير ذلك فهـو أنه فى الساعة السادسة يصل قطـار ، ويقـوم ملاحظ المحطة بضرب الجرس لينبه السكان إلى أن قطـار البريد قد وصل . فيصحو الناس منزعجين ويصبون لعناتهم على ناظـر المحطـة . . يصبونها بغيظ وبتركيز وفى وقت واحـد . وهذا هو الذى يسبب له الصـداع .

ونفس الظاهـرة يمكن تفسيرها إذا كانت الدعوات لإنسان بالشفاء أو بالنجاح أو بالسلامة . .

— إنها نفس المعنى : تنبيه قوانـا الخفيـة وتوجيهها فتحرك الأشياء من بعيـد !

كم تدفع لي ..

إذا ابتلعت نصف هذه العربة ؟!

إن هؤلاء الذين لديهم هذه القدرة على التأثير فى الآخرين يريـــدون السيطرة . . يريدون أن يزدادوا قوة . ولا تزال القوة والسيطرة على الآخرين هدفاً جوهرياً عند الإنسان . فلا يوجد من لا يريد أن يكون أقـــوى . أو أن يستفيد من قوته فى الكسب الأدبى والمادى والجنسى . . حتى الحيوانات . . فإن أقـــواها هو أكثرها تحكماً فى الحيوانات الأخـــرى .

ومن المناظـــر التى تحير علماء الحيوان عندما يذهبون إلى « جبلاية القـــرود » أنهم يجـــدون شيئاً غريباً . . يجـــدون القرد الأقـــوى يعتلى القـــرود الأضعف من الذكور أو من الإناث . . بل إنهم يجدون أن القـــردة الأنثى الأقوى تعتلى القـــرود الأضعف من الذكور والإناث معاً . أما تفسير ذلك . . فإنه مظهـــر من مظاهـــر القوة أن تعتلى غيرها . . وأن يستسلم لها الغير . . لا لشىء إلا لأنها أقـــوى ، وإلا لأن الآخرين أو الأخـــريات أضعف جسمياً !

وقد ظن بعض العلماء أن ظاهرة القـــرود لها معنى واحد هـــو : الشراهة الجنسية !

ولكن هذا التفسير ليس صحيحاً . وإنما الصحيح أنها « وفـــرة قوة » أو « قوة بالغـــة » .

والذى يحـــدث فى عـــالم الحيوان ، يحدث أيضاً فى عالم الإنسان . . فهـــذا « الاعتلاء » أو « العلـــو » أو « التعالى » . . كلها بمعنى واحـــد : أن واحداً أقوى من الآخـــرين . . وكما أن من الناس من يريدون القـــوة بالغريزة ، فهناك من يستسلمون لذلك بالغريـــزة أيضاً .

ومن مظاهـــر هذه القوة أن بعض الناس عندهم القـــدرة على فرض أفكارهم على الآخـــرين . . فإذا فرضوها تسلطوا بها على غيرهم . .

والذين لديهم موهبة « نقـــل » الأفكار ودفعها إلى رءوس الآخـــرين ، يريدون السيطرة على الغير دون أن يكون هناك هدف آخـــر . .

ومن المألوف فى الريف فى أية دولة فى العالم أن تسمع أهل الريف يقولون: إن أحداً لا يستطيع أن ينظر فى عينى فلان . .

لأنه لو نظر فى عينيه فسوف يستسلم له مباشرة .

وإن واحداً لا يستطيع أن يرفع عينيه عن الأرض ، فى حضور فلان من الناس . .

ومن مظاهر الضعف أن يركز الإنسان عينيه فى الأرض . . ولا يرفعهما إلى وجه فلان أو يلتقى بعينيه . .

والمعنى هو: أن فلاناً هذا إذا نظر فى عينى أحد فإنه يستسلم ولكن هناك أناساً أقوى من ذلك . إنهم ينقلون أفكارهم إلى الآخرين . ويتسلطون بها على الآخرين ، فإذا هم يتحكمون فيهم . ويوجهونهم على النحو الذى يريدون ..

أذكر أنى رأيت فى « معهد الرازى » بالقرب من مدينة طهران عدداً هائلا من الأفاعى والعقارب والعناكب السامة . قد وضعت كلها فى حظائر من الزجاج الشفاف السميك ، لكى يتفرج عليها الناس من بعد . وقد اصطحبنى واحد من العلماء لرؤية أحد الثعابين الجبارة . وقال لى إن هذا الثعبان يطلق السم من فمه فيصيب عينى الفريسة . ولا يخطئ أبداً . فإذا أصاب عينها أصبحت عاجزة عن الرؤية . وبسرعة يتقدم لها ويفترسها . ومن المستحيل أن يخطئ .

وطلب منى أن أتشجع وأن أدخل فى تجربة مروعة . قال لى : قف وراء اللوح الزجاجى . واقترب بوجهك . وألصق خدك بحيث تكون إحدى عينيك فى مواجهة الثعبان وانتظر . وفجأة انطلقت من فم الثعبان قذيفة من السم لا تزيد على رأس الدبوس . وكانت بالضبط فوق عينى تماماً !

وقال لى العالم الذى رافقنى : إن هذا السم مركز جداً لدرجة أنه يصيب الحيوان بالعمى وفى نفس الوقت يصيبه بالدوخة والهذيان !

وفى كثير من الأحيان لا يحتاج هذا الثعبان إلى إطلاق قذيفة السم هذه . وإنما

يكتفى بالنظـــر إلى عينى الحيوان . فإذا التقت عينا الثعبان مع عينى الحيوان فإنه يستسلم ويسقط على الأرض كأنه ميت تماماً !

وهذا الذى تفعله الأفعى ليس إلا « أمراً » غير مسموع وغير مكتوب من الأفعى إلى الحيوان ، هذا نصـــه : أنت ضحيتى ، ولا تحاول أن تقاوم . وإذا قاومت فسوف تموت . فأنت ميت لا محالة !

هذه المعانى التى يكاد يقولها الثعبان تنتقل بهذه السرعة الخاطفة إلى الضحية . فإذا هى ميتة بالفعل !

ويفعل الأسد نفس الشيء إذا نظـــر إلى الضحية . . وكذلك النمـــر . .

فما الذى فى عيون بعض الوحوش إذا انتقل إلى عيون الضحايا استسلمت ؟ ما الذى يقال بلغة الحيوانات ، فإذا الضحايا جثث على الأرض بلا حركة ؟ !

أناس قليلـــون عندهم هذه القـــدرة أيضاً فى السيطرة على الناس والتحكم فيهم وتحريكهـــم على النحـــو الذى يريدون ! .

قيل الكثير من ذلك عن نابليـــون . .

وقيل أكثر من ذلك عن هتلـــر . ومن العجيب جداً أن هتلـــر كان ضعيف النظـــر . ولكن أحداً لم يعرف ذلك إلا فيما بعـــد . . وكان هذا البريق العجيب فى عينيه ليس قوة فى النظر ، وإنما تدقيق فى النظـــر لعله يرى . ومات هتلـــر والناس مختلفـــون فى لون عينيه : هل هى زرقـــاء هل هى خضراء هل هى رمادية . . هل تتغير من لون إلى لون . .

إن إيفا براون التى تزوجهـــا فى مخبأ تحت برلين أثناء الغارات كانت تقول لمن حولها : إننى أحار فيه . . فلا أعرف لعينيه لوناً . . فقط أعرف لونهما عندما ينام على صـــدرى !

وكان هتلـــر إذا نظـــر إلى أحد من الناس ، فإنه لا يستطيع أن يقاومه .

لا يستطيع أن يناقشه فما هذا الذى فى عينى هتلـــر ؟ أو ما هذه القـــوة الخفيـــة فى هتلـــر نفسه ؟

كانت لديه هذه القدرة العجيبة على أن يبث أفكاره ويدخلها فى رءوس الآخرين .. سواء كان هؤلاء عشرة أو عشرة ملايين . .

وفى كتب الرحلات إلى الغابات والجزر النائية نجد وصفاً مفصلا لرجال صناعتهم السحر . . وهؤلاء السحرة كانوا يفضون خلافات الناس عن طريق الإتيان بأطراف النزاع . فيلتقى الساحر بهم واحـــداً واحـــداً . ويطلب الساحر إلى كل من أطراف النزاع أن ينظـــر إلى عينيه فقط . وأن يردد بعض العبارات . وفجأة يخرج أطراف النزاع متعانقين . . وتدق الطبـــول وتتساقط الذبائح ابتهاجاً بعـــودة السلام بين القبائل . .

والذى فعله الساحر القديم هو الذى يفعله اليوم هذا الرجل الذى نسميه « المنوم المغناطيسى » — أى ذلك الرجل الذى « يأمر » واحداً من الناس أن ينام فإذا هو ينام . . ثم يضع فى رأسه عن طريق الإيحاء عدداً من الأفكار ، أو يمحـــو عدداً من الأفكار ويتحقق له ذلك . .

بل إن ساحر القبيلة الذى يسمونه « الشامان » باللهجة الأفريقيـــة البدائية كان يفعل أكثر من ذلك . .

وهو بالضبط ما نفعلـــه فى الريف المصرى . .

فساحر القبيلة الأفريقية أو الجزر النائية فى المحيط الهادى إذا سمع عن إنسان أنه مريض . قال : هاتوا المريض . .

ويأتون بالمريض . . فيصنع تمثالا من الطين لهذا المريض . ويمسك عوداً ملتهباً من الخشب . . ولا يزال يضع العود المشتعل فى أماكن مختلفة من تمثال الطين . ثم يقـــرأ بعض الكلمات ويطلـــق البخور . وبعد ذلك يقـــول لأهل المريض : إنه شفى الآن !

ويكون المريض قد شفي بالفعل !

وفى الريف المصرى نأتى بورقة ونجعلها على شكل إنسان . . ونأتى بإبرة ونقوم بوخز الورقة ونقول : من عين أمه وأبيه ، ومن عيون الذين رأوه ولم يصلوا على النبى . . ومن شر حاسد إذا حسد . . ومن شر النفاثات فى العقــد . .

ونحن نفعل ذلك فى الريف دفعاً للحسد عن أى إنسان ، أو إبطالا لمفعــول الحسد . .

والمعنى : هو أن بعض السحرة البدائيين يسلطون أفكارهم على شىء . وهذا الشىء ينقــل أفكارهم وقوتها وسطوتها إلى الإنسان الذى يرمز له . ويتم الشفاء !

بل إن مؤلفى كتب الرحلات إلى جزر هاواى يروون هذه القصــة التى تتكرر على مــدار السنة . .

فعندما يذهب أهل الجزيرة لصيد السمك ، فإنهم لا يجـدون السمك بالوفرة التى يتمنونها . وهنا يجب أن يذهبوا إلى ساحر القبيلة . والذى يفعله ساحر القبيلة هو قريب الشبه مما تفعله السيدات فى الريف المصرى للوقاية من الحسد .

إنه يأتى بقطعة من الطين . ويصنعها على شكل سمكة . ثم ينفرد بها ويصلى لها ويصلى عليها ، ويطلــق البخور والطبول والدعوات .

وفى هذه الأثناء يذهب الصيادون إلى شاطىء المحيط . وهناك يجـدون السمك قد اقترب من الشاطىء صيداً سهلا للجميع . كيف حدث ذلك ؟ كيف نقل الرجل أفكاره إلى الأسماك أن تجىء وأن تكــون ضحية . . وأن تموت فى شبــاك الصيــادين .

إن هناك أناساً لديهم هذه القدرة على نقل أفكارهم إلى الناس وإلى الحيوانات تماماً كما أشرنا فى الفصل السابق إلى الذى يفعله مروضو الوحوش مع الوحوش

نفسها . وما تفعله بعض السيدات مع الورود . . أى كيف ينقل بعض الناس أفكارهم ورغباتهم وأوامرهم إلى الحيوانات والنباتات . .

وبعض علماء الاجتماع يفسرون أن بعض القبائل البدائية قد حرمت الأوثان . . أى حرمت صناعة التماثيل وفى نفس الوقت حرمت عبادتها . لماذا ؟

خوفاً من أن يصنع أحد السحرة تمثالا لواحد آخر ، ويظل يتحكم فيه عن طريق التأثير على هذا التمثال .

وبعض القبائل البدائية تخاف من الصور أى من الكاميرات ومن الوقوف أمامها . لماذا ؟ لأن أهل هذه القبائل يؤمنون بأن الذى يملك صورة أو يملك تمثالا لأى واحد من الناس ، فإنه يملك السيطرة عليه والتحكم فيه . .

وقد انتشر هذا المعنى بشكل آخر عندنا – فى الشرق الأوسط – فهناك بيننا من تخاف من « الأثر » – أى أن تقع فى يد أى إنسان قطعة من قماش ترتديه . . أو منديل أو فستان أو بنطلون أو حذاء . . لأن وقوع « شىء ما » كنا نملكه أو نستخدمه سوف يكون وسيلة إلى الإضرار بنا !

وهناك تعبير التقطه علماء الاجتماع عندما درسوا الحياة فى جزيرة اسمها « جزيرة جلبرت » . فقد وجدوا أن ساحر القبيلة ينصح المواطنين بقوله : من التقطوا له صورة فقد التقطوا روحه أيضاً .

أى خطفوا روحه . ! !

وفى الكتب المقدسة : التوراة والقرآن نجد قصصاً كثيرة عن أولياء الله الصالحين ، وعن الأنبياء الذين أوتوا قدرة خارقة على فعل شىء غير مألوف . .
فموسى عليه السلام أمسك عصاه فإذا هى حية تسعى . كما قال لنا القرآن الكريم . . ثم إذا هذه الحية تأكل الأفاعى التى أطلقها السحرة المصريون . ثم إذا موسى عليه السلام يمسك الحية فإذا هى عصا فى يده . .

ثم إن موسى كان يضـــع يده فى جيبه فإذا هى تضىء . . ثم يخرجها فإذا هى يـــد عادية . .

والتوراة تحدثنا أن أحـــد الأنبيـــاء طلب إلى السحرة أن يشعلوا النار فى شىء من بعيد ، فلم يفلحـــوا . فأشار هو إلى الحطب أن يشتعل ، فاشتعل دون أن يلمسه ! ثم إن هذا النبى طلب إلى الناس أن يقتلـــوا الكهنـــة الذين خدعـــوهم ، فقتلـــوهم !

وإذا نظـــرنا إلى « السحرة » فى كل العصور فإننا نجدهم :

أولا :

يريدون السيطـــرة على الآخـــرين . وعن طـــريق ذلك يكون لهم وضع ممتاز بين الناس .

ثانياً :

يقاوم بعضهم البعض . وأيهم يتفـــوق على الآخـــرين فإنه يتخلص منهم .

ثالثـــاً :

هؤلاء السحرة لا يكسبون مادياً من وراء ذلك كلـــه . . وقد عاش السحرة جميعاً فقـــراء وماتـــوا فقـــراء أيضاً !

ومن أشهر السحرة فى كل العصور رجل جاء اسمه فى سفر « أعمـــال الرسل » واسمه سيمون ماجوس ، عاش فى القرن الأول الميلادى . وكان هذا الرجل فى خلاف عنيف مع القديس بطرس . وتقـــول الكتب المقدسة إن القديس بطـــرس قد انتصر عليه . ولا أحد يعرف مدى الصحة فى ذلك . فيقال أن سيمون ماجوس قد أطلق الكلاب الوحشية على القديس بطرس . فواجهها القديس برغيف فى يده ، فتبددت الكلاب وتبخرت على شكل سحب . . أما سيمون هـــذا فقد سقط على الأرض مغشياً عليه . ويقال مات متأثراً بجراحه .

ولا أحـــد يعرف مدى صحة هذا الدفاع عن عظمة القديس بطرس ، وأكاذيب الساحـــر ماجوس . .

ولكن من المعروف تاريخياً أن سيمون هذا كانت لديه القدرة على إخفاء نفسه عن العيون . يجلس بين الناس ثم لا يجدونه .

ولكن كيف استطاع ذلك . . ؟

يقال إنــه كان « يسحــر » الموجــودين معه . .

أو بعبــارة حديثــة كان « ينوم » الجالسين معــه . . ويوحى إليهم أنه اختفى ، فلا يجــدونه . .

ويروى أيضاً ، وعلى مشهد من مائة شخص ، أن الإمبراطــور نيرون قد استدعاه . وحكم الإمبراطور بقطع رقبة سيمون . وجاء رجل وأمسك السيف ونزل به على رأس سيمون . فطار رأسه فعلا . ولكن عندما سقط على الأرض وجدوه رأس خروف . أما سيمون نفسه فقد وجدوه جالساً تحت مقعــد الإمبراطــور نيرون . والشهود على ذلك مائة .

واختاره الإمبراطــور ساحراً للبلاط الإمبرطورى ، مكافأة له وخوفاً منه . وكان يطلب إليه أن يعــرض هذه اللعبــة أو هذه « الحيلــة » كلما زارته وفود من دول أخــرى . .

فما الذى حدث بالضبط ؟ وما تفسيره ؟ هل كان سيمون يوهم الإمبراطــور والذين معه بأنه لن يموت . . وأن الذى سوف يموت هو خــروف . . هل استطاع أن يوهم « الجــلاد » بأن يحرك يده بعيــداً عن رأس سيمون . . فلا يسقط رأس سيمون . . وإنما أى شىء آخــر . . وهــذا الشىء الآخــر هو رأس خروف ؟

هل سيمون هذا يشبه الرجل الذى تحدثنا عنه فى الفصل السابق الذى أقنع صراف البنك بأن الشيك الأبيض مكتوب عليه مائة ألف روبل . . فأعطاه هذا المبلغ دون أن تكون هناك كلمة واحــدة على الشيك المقدم إليه ؟

الشيء المؤكد أن سيمون كانت لديه هذه القدرة على إقناع الآخرين بما يريد هو . .

يقول لنا الشاعر الإنجليزى العظيم بيتس أحد شعراء القرن التاسع عشر ، إنه كان عضواً فى جمعية اسمها « الفجر الذهبى » وإن بعض أعضاء الجمعية كانت لديه القدرة أن يمشى فوق سطح الأرض . . أى يمشى على مدى نصف متر من سطح الأرض . . ومن الغريب أنه كان يحرك ساقيه ، كأنه يمشى فوق طبقة أخرى غير مرئية فوق سطح الأرض . ويروى أيضاً أن أحد أعضاء هذه الجمعية قال له مرة : سوف أجعل نفسى كبشاً . وانظر إلى قطعان الأغنام التى حولنا . .

وفجأة اتجهت كل قطعان الأغنام إلى السير وراء هذا الرجل . .

يقول الشاعر بيتس : إننى نظرت إلى صاحبى هذا فوجدته كما هو . . إنساناً بملابسه وملامحه . . وكنا نتحدث معاً فى السفر . . ولكن الأغنام كانت تمشى وراءه بسرعة . . وكان يوقفها فتدور حوله . . ثم يغير اتجاهه فتفعل نفس الشىء !

إنه يستطيع أن يوهم أو يؤثر فى كل هذه الأغنام أنه كبش كبير . . كيف ؟ . .

أما الأديب السويدى أوجست استرندبرج فكانت لديه قدرة عجيبة فى التأثير على الناس . ومن مظاهر هذه القوة أنه كان يستطيع أن يجعل أى إنسان يجلس معه : يقوم ويقعد ويخرج ويعود دون أن يدرى كيف يفعل ذلك !

يقول استرندبرج :

كنت أجلس فى أحد المطاعم . وكنت غارقاً فى التفكير . واقترب منى أحد الأصدقاء . ونظرت إليه . . فإذا هو يعود إلى مكانه . .

وسألت هذا الصـــديق بعـــد ذلك :

لمـــاذا عدت إلى مكانك ؟

قـــال :

نظرت إليك فوجـــدتك رجلا كبيراً نحيفاً تمسك سكيناً فى يدك فخفت . وأدركت أنك لست الشخص الذى أريد ، وأننى أخطأت . . ولذلك عدت إلى مكانى ! كيف ؟

وقد اشتغل الكاتب السويدى استرندبرج فى « السحر الأسود » أى فى الاتصال بالأرواح الشريرة واستخدامها فى السيطرة على الآخـــرين . . ويقال إنه مات ضحية لها . . أو هو انتحـــر بسببها . أو أن هذه الأرواح الشريرة هى التى قتلته .

لقد كان استرندبرج فى خلاف مع زوجته . . وكان من الصعب أن يزور أولاده . منعـــوه من ذلك .

ولكنه كان يلجأ إلى حيلـــة ، هى أن يوحى لأولاده بأنهم مرضى ، ويجعلهم يصرخـــون طول الليل يطلبـــون رؤية أبيهم . . وبذلك يجـــد الفـــرصة لرؤيتهم . .

واعترف الأديب استرندبرج : إن مشكلتى الحقيقية هى أننى حسود . وأننى لا أحسد إلا نفسى وإلا ما يخصنى . فأنا أحسد أولادى فيصابون بالمرض . وأحسد نفسى أيضاً . وأعتقد أنى سوف أقتل نفسى بمجـــرد النظـــر إلى وجهى فى المرآة . .

. وهذا ما حدث . فقد وجدوه ميتاً والمرآة على صدره فقد ظل ينظـــر إلى نفسه فى المرآة حتى تكسرت المـــرآة . . وحتى تحطمت الصورة التى كان يراهـــا أمام عينيه ــ ثم تحطم هو نفسه !

وفى سنة ١٩٣٦ وقعت أشهر جريمة فى أوربا ، ولم تكن هذه الجريمة مشهورة لأن رجلا ألمانيا يدعى صناعة الطب قد اغتصب إحدى مريضاته . فقد حدث ذلك كثيراً . . ولكن لأن الطبيب أوهم المريضة أنه طبيب . . وأنه قادر على علاجها . ولأنه استطاع أن يتسلط عليها تماماً . . كانت تطارده دون أن تدرى من مدينة إلى مدينة . . ثم إنه أقنعها بأن تشتغل فى الدعـــارة وأن تعطيه ما تكسبه من مال . وأكثر من ذلك أنه فرض عليها زوجاً . وطلب إليه أن تستمر فى الدعارة وأن تعطيه ما تكسبه !

كان ذلك فى ألمـــانيا . . وكان هناك رجـــل يعمـــل فى التنويم المغناطيسى اسمه فرانتس فالتر . . كان مسافراً بالقطار . . ووجد أمامه فتاة جميلـــة . دار بينهما حوار . فعرف أنها مريضة . وأخبرها بأنه طبيب . . وأنه قـــادر على شفائها وأنه متخصص فى علاج مثل أمراضها . . واقتنعت الفتاة واستطاع أن يشفيها . ولكنه قد تسلط عليها تماماً . وكان يطلب إليها أن تأتى إليه فى الوقت والمكان اللذين يحددهما . وراحت تجـــرى وراءه من مدينة إلى مدينـــة . والفتاة من عائلـــة محافظـــة متدينة جداً . ولكنه أقنعها بأن تعمل فى الدعـــارة وأن تتزوج . ولكن زوجها تنبه إلى هذه العلاقة الشاذة بين زوجته وبين هذا الطبيب . فأبلـــغ البوليس . وأمسكو الطبيب المزعـــوم واعترف . وحوكم واستمع الناس فى ألمانيا وأوربا إلى أغرب جرائم العصر . وتدخل رجل آخر يشتغل بالتنويم المغناطيسى . وراح يؤثر على الزوجـــة ويطـــرد الأفكار القديمة من رأسها ، حتى تحللت من الساحر القديم . . وحكمت المحكمة على الطبيب المزعوم بالسجن عشر سنوات . وأقفلت قصة جريمة . ولكن العلماء استأنفـــوا البحث فى كيفية تسلط إنسان على إنسان !

وفى العصر الحديث عرفنا ما يسمى بالتنويم المغناطيسى — أى إقناع إنسان بأن ينام بمجـــرد الإيحاء إليه بذلك . . أو بمجرد النظـــر فى عينيه . . أو بأن نجعله يتابع شيئاً معلقاً فى السقف يتحـــرك ذهاباً وإياباً . فإذا هو ينـــام .

وقد لوحظ أن هناك أناساً عندهم هذه القـــدرة ـ القدرة على أن يجعلـــوا واحداً ينام ، والقـــدرة على أن يناموا بمجرد أن يطلب واحداً إليهم ذلك .

وليس من الضرورى أن يتواجه الإثنان ، أو أن يكونا فى مكان واحـــد . فقد استطاع كثيرون أن يجعلـــوا شخصاً ينام إذا كان فى غـــرفة مجاورة . .

وقد يقال أن هناك تأثيراً كهربائياً يخرج من شخص إلى شخص . ولكن علماء من الأمريكان والروس قد استطاعوا أن يجعلوا واحداً ينام ، على الرغم من وجوده فى غـــرفة مبطنة بالرصاص الذى لا تنفذ منه الكهـــرباء أو المغناطيسية .

وأكثر من ذلك : فإن المكان لا يهم . . بل من الممكن أن يوحى الواحـــد منهم إلى شخص آخـــر يبعد عنه ألف كيلـــو متر أن ينـــام فينام .

وهناك تجـــربة مشهورة جـــداً قام بها أحـــد العلمـــاء الروس . فقد كان هذا العالم ، واسمه فاسيليف ، وهو لا يؤمن بالروح ولا بالله ولا بالـــدين ولا بالقيامة . لا يؤمن إلا بكل ما هو مادى ملمـــوس محســـوس . . هذا الرجـــل شاهـــد تجـــربة بنفسه وكتب عنها وسجل حيرته ، فقد أتوا له بأحد المنومين المغناطيسيين وجعلـــوه فى مدينة سباستبول وجعلـــوا الآخر فى مدينة لينينجـــراد . . والمسافة ألف ميل . . ثم جعلـــوه يرى الإثنين على شاشة تليفـــزيونية . . ورأى المنـــوم المغناطيسى يجلس إلى ترابيزة وقد ركز عينيه فى صورة للـــرجل الآخر . . وطلب إليـــه أن ينـــام الآن . . وإذا بالرجل هناك بعيـــداً يتراخى ويتساقط وينهـــار نائماً على الفـــراش . . !

ثم عاد المنوم المغناطيسى يوقظـــه بنفس الطـــريقة : بأن يطلب إليه أن يصحو . . فإذا الرجـــل يصحـــو !

وحتى لا يكون هناك أى شك . . فإن المنوم المغناطيسى طلب إلى العالم السوفيتى فاسيليف أن يختار هو الوقت والمكان للإيحاء بالنوم . . وأن يختار الوقت الذى يراه لإيقاظ الرجل الآخـــر !

إذن لا المكان يؤثر ولا المسافة ولا الزمان . .

فنحن أمام شخص أو أشخاص لديهم هذه القدرة الهائلة على التأثير فى الآخرين أيا كانت المسافة بينهم !

ومن أشهر الذين عملوا فى السحر رجل اسمه « فاوست » أو الدكتور فاوست أو الدكتور فاوستوس . هذا الرجل ظل أسطورة أوربا كلها أكثر من خمسة قرون . وقد اختاره عدد من الأدباء الكبار موضوعاً لأروع أعمالهم الأدبية .

فالشاعر الإنجليزى « مارلو » كتب عنه سنة ١٦٠٤ مسرحية « فاوست » .
وأمير الشعراء الألمانى جيته كتب عنه مسرحية « فاوست » سنة ١٨٠٨ .

والروائى الألمانى « توماس مان » كتب عنه « دكتور فاوستوس » سنة ١٩٤٧

وظهرت أعمال موسيقية كبيرة تحمل اسم فاوست هذا .

وأسطورة فاوست تبدأ بأن مؤلفاً ألمانياً أصدر كتاباً سنة ١٥٨٧م بعنوان « تاريخ فاوست » . المؤلف الألمانى اسمه يوهان أشبيس . وفى هذا الكتاب راح يروى عجائب هذا الرجل القادر على أشياء كثيرة مذهلة . فقال إنه ساحر . وقال إنه قادر على « التنويم المغناطيسى » وإن كان المؤلف الألمانى أشبيس هذا لم يستخدم كلمة « التنويم » لأنها كلمة ظهرت بعد ذلك بمئات السنين على أقلام الكتاب الأوربيين .

ومما يقوله هذا المؤلف الألمانى عن فاوستوس هذا . أنه فى إحدى المرات ذهب إلى رجل يهودى يقترض منه . وطلب إليه اليهودى رهنا . فما كان من فاوست إلا أن قطع ساقه وأعطاها له . وانزعج الرجل اليهودى وخاف فألقى بالساق فى النهر . وبعدها بيوم عاد فاوست يطلب ساقه واضطر اليهودى أن يدفع تعويضاً كبيراً . وبعد أن حصل فاوست على التعويض نظر إليه اليهودى فوجده يمشى على ساقيه !

ويروى المؤلف اشبيس أيضاً أن فاوست كان يمشى فى الحقــول فصادف عربة تحمل أعشاباً . فاستوقف صاحب العربة وقال : كم تدفع لكى آكل نصف هذه الأعشاب !

فقــال له الرجل : أى مبلــغ تطلبه .

وأكل نصف الأعشاب . وقال له الرجــل :

أدفع لك أى مبلــغ حتى لا تأكل النصف الباقى !

وقال المؤلف الألمانى أن فاوست هذا كان رجلا عالماً وباحثاً فى الكيمياء . وهو يتكلم لغات كثيرة من بينها اللغــة العربية التى قرأ بها كتب السحر العــربية والهنــدية القديمة . وقال إنه حصل على الدكتــوراه فى الشريعــة وفى الطب أيضاً . .

وقال إنه أراد أن يكون ساحراً ، ولذلك اشتغل بالسحر الأسود . وبعــد أن استغرقته دراسة السحر امتلأ حقــداً ومرارة وشراً .

ومن مظاهــر الشر عند فاوست تعطشه إلى السيطــرة على الناس وإيذائهم .

وقد دخل السجن . وفى داخل السجن قد حير رجــال الأمن . فأحياناً كانوا يجــدونه فى غــرفته . . وأحياناً يجدون أناساً آخــرين معه . . ويجدون حيوانات وطعاماً وفاكهة . وكان يداعب رجال الشرطة بأن يمر بأصابعــه على لحاهم فإذا الشعر يتساقط . وكذلك يفعــل برءوسهم بمجــرد أن ينفخ على رءوسهم !

وفى القرن السادس عشر فى أوروبا كان يكفى أن يقــال عن إنسان إنه يأتى أعمالا « غريبة » لكى يقتلــوه أو يغــرقوه أو يحــرقوه . . فقد كانت الدول كلها تطارد الذين يعملــون بالسحر الأسود . . لقد استطاع عدد قليل من الناس أن يخيفــوا أوروبا كلها . هذا الخوف العــام هو الذى جعــل الدول تتكاتف من أجل القضاء عليه .

فالناس قد « اعتـــادوا » على نوع من الحيـــاة والأفكار والقـــواعد والمبادىء .. قد استراحوا إلى ذلك . حتى ظهـــر أناس يشككونهم فى هذا كله . وهـــذا التشكيك قد أرهبهم . . وقد أفسد عليهم الهـــدوء والأمن والأمان . .

ولكن أحداً من الناس أو من العلمـــاء فى ذلك الوقت لم ينتهز هذه الفرصة ليسأل : صحيح أنهم يأتون أعمالا غريبة . . وقد رأيناها . . وتأكدنا منها . . ولكن كيف يحدث ذلك ؟ ولمـــاذا ؟

أى أنه على الرغم من الغـــرابة ومن الخوف ، فإن الأمـــر يقتضى أن نفكر وأن نسأل وأن نبحث . . علنا نهتـــدى إلى شيء . . أو لعلنا نستفيد من ذلك فى فهم الإنسان . . أو فى تعميق المعـــرفة الإنسانية . .

ولكن هذه التساؤلات قد ظهـــرت أخيراً ، وإن كان الخـــوف ما يزال قـــائماً . .

وبقيت المشكلة حية منتعشة كما هى : ما هذا الذى فى داخل بعض الناس ، ولابد أنه فى داخل كل الناس ، ولكننا لا نعرف ومن الواجب أن نعـــرف . .

- هذه صور للساحر كراولى فى مراحل مختلفة من عمره . . وفى أماكن متعددة من العالم : فى بريطانيا وفى مصر وفى الهند

كان ينظر في طبق أبيض ..
فيرى عالما أوضح وأجمل

– يقول ابن خلدون عن هذه العلوم :

إنها علوم بكيفية استعدادات تقتدر النفوس البشرية بها على التأثير فى عالم العناصر !

وهى عبارة صحيحة تماماً لولا أنها فى حاجة إلى شرح .

فعبارة ابن خلدون معناها : أن هذا العلم يهتم بالقوى الخاصة الموجودة فى النفس البشرية . وعن طريق هذه القوى تستطيع أن تؤثر فى الأشياء المادية . .

ويقول ابن خلدون أيضاً فى كتابه المعروف باسم « المقدمة » فى وصف أنواع السحرة :

« والنفوس الساحرة على مراتب ثلاث » :

– أولاها :

المؤثرة بالهمة فقط ، من غير آلة أو معين . وهذا ما يسميه الفلاسفة بالسحر .

– والثانية :

بمعين من مزاج الأفلاك أو العناصر أو خواص الأعداد ويسمونه الطلسمات وهو أضعف رتبة من الأول .

– والثالثة :

تأثير فى القوى المتخيلة . يعمد هذا التأثير إلى القوى المتخيلة فيتصرف فيها بنوع من التصرف ويلق فيها أنواعاً من الخيالات والمحاكاة وصوراً مما يقصده من ذلك . ثم ينزلها إلى الحس من الرائين بقوة نفسه المؤثرة . فينظر الراءون فيها كأنها فى الخارج وليس هناك شىء . كما يحكى عن بعضهم أنه يرى البساتين والأنهار والقصور وليس هناك شىء من ذلك . ويسمى هذا عند الفلاسفة : الشعوذة أو الشعبذة .

وهى جميعاً عبارات دقيقة وصحيحة وتدل على عظمة ابن خلدون فى فهمه للعلوم فى زمانه . لولا أن هذه العبارات جميعاً فى حاجة إلى شرح .

ومعنى ما يقول ابن خلـــدون : أن السحر والقـــدرة السحرية عند الناس لها ثلاث درجات :

– الأولى :

هى أن الساحر يستطيع أن يؤثر فى الآخـــرين بإرادتـــه . . أى بقـــدرته هو دون أن يستعين بالملائكـــة أو بالشياطين .

– الثانية :

أن الساحر يستعين بالكواكب وما لهـــا من تأثير على الناس . أو يستعين على التأثير فى الناس مستخدماً المواد كالنباتات أو الأزهـــار أو المعـــادن أو يستعين بالخواص السحرية للأرقام – لأن الأرقام لها دلالة ومعنى عند السحرة – وسوف أعرض لذلك فيما بعـــد . .

– والثالثـــة :

أن هؤلاء الناس الذين يملكون تلك القـــدرات الخفية يستطيعون أن يوحوا إلى الناس بأشياء لا وجـــود لها . . وذلك بإيهامهم أنهم فى حديقـــة أو فى بحـــر أو يأكلون أو يشربون ، والحقيقة أنهم لا يفعلـــون ذلك . . وإنما استطاع هؤلاء الناس أن يؤثروا فيهم وأن يؤثروا عليهم حتى يتصوروا ما يريدونـــه هم . .

والفلاسفة والناس العقـــلاء يرون أن هذا نوع من النصب والكذب عليهم !

ومهما كان رأى الناس العقـــلاء فى هذا الذى يحدث ، سواء وجدوا له سبباً أو لم يجـــدوا ، فالمشكلة التى أمامنا أن هذا كله يحدث أمام ألوف الناس . ومن بينهم عدد من كبار العلمـــاء . أى أننا أمام شىء غريب يحـــدث ، ولسنا نجد له تفسيراً علمياً حديثاً .

إن « الزكام » يحدث كل يـــوم . ولكن لا يوجد تفسير طبي واحـــد مقبول للإصابة بالزكام أو لانتقـــاله . .

إن الحساسية تصيب الملايين ، ونراها ولكن لا يوجد أى تفسير طبي لأن يصاب إنسان بالحساسية . .

وإذا كنا لا نجد له اليوم تفسيراً ، فهذا لا يدل على أنه بلا تفسير ، أو بلا معنى . . وإنما هو شيء يقنع ، ونحن ننتظر من العقل أو الوجدان أن يجد تفسيراً مقبولا !

إن الملايين يصابون بالروماتزم ، ولا يوجد تفسير طبي واحد مقنع أو نهائى للإصابة بأوجاع الروماتزم ، إن بعض الأطباء يرون أن الروماتزم مرض عصبي . وبعضهم يرى أنه مرض نفسي . . وبعضهم يرى أنه حساسية !

فإذا عدنا إلى أسباب الحساسية لم نجد لها سبباً . ومعنى ذلك أن الروماتزم أحد أسبابه الحساسية التى لا نعرف ما هى . ولا كيف هى ؟ ولماذا تصيب واحداً من الناس دون واحد آخر . .

وكذلك هذه القدرات الغريبة . . كيف تظهر عند الناس وكيف يمكن التحكم بها فى الآخرين ، نراها ونندهش لها . ويبقى بعد ذلك أننا لا نعرف ما هى ؟

وابن خلدون قد تحدث عن القدرات الخارقة عند الأنبياء والأولياء . ووصفها بأن هذا « الطراز » الفريد من الناس يدركون ما لا ندرك ويرون ما لا نرى بمدد إلهى . . أى بمساعدة من الله . . أى بقدرة من الله تضاعف قدراتهم : ومعنى ذلك أننا لا نعرف بالضبط . . كيف يستطيع الأنبياء والأولياء أو القديسون أن يحققوا مثل هذه المعجزات . فالله وحده أعلم ، ووحده أقدر ، وهو الذى يعطيهم وحدهم دون غيرهم من الناس : هذا الفيض أو هذا المدد القوى من القدرات الهائلة . .

وأهم ما يميز هذا الطراز من الناس أن لديهم « القــدرة النفسية على التأثير فى الأشياء المادية وفى الناس دون أن يلمسوا شيئاً أو أحداً » أى عندهم هذه القدرة على تحريك الأشياء والناس من بعيــد . .

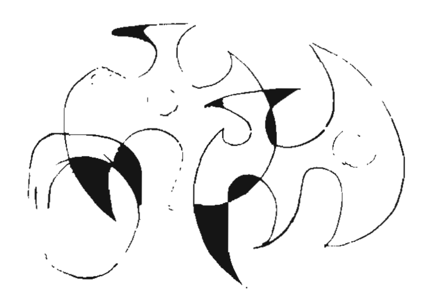

حدث فى سنة ١٨٦٠م أن ذهب أحد المحامين الفرنسيين إلى الهند . المحامى اسمه لوى جاكيو . وجاء فى كتابه الذى وصف فيه الحياة فى الهند وتعاليم الديانة البوذية : أنه رأى رجلا هنــدياً يأتى بأعواد سبعة ويغرسها فى الأرض . . ثم يأتى بسبع ورقات شجر ويغرسها فى هذه الأعواد . . ثم يرفع يديه أعلى هذه الأعــواد فإذا هى ترتفع عن الأرض . . ويشير إليها أن تنزل فإذا هى تهبط أيضاً .

ولم يصدق المحامى الفرنسى هذا الذى رآه . . فكان يضع يده بين يدى الساحــر وهــذه الأعــواد ثم يضع يديه تحت الأعواد بعد أن ارتفعت عن الأرض ، فلا يجد شيئاً . .

وطلب إلى الرجل الهندى أن يعيــد هذه التجــربة . . فأعادها عشرين مرة . . ولم يتغير شىء من حركة الأعواد السبعة وارتفاعها عن الأرض بإشارة من هــذا الساحــر الهندى . .

ولما وجد الساحــر الهنــدى أن الرجل الفرنسى لم يصــدقه . أو يبدو ذلك ارتفع الساحر الهندى عن الأرض . . ومد الرجــل الفرنسى يديه فى هــذه المسافة التى بين الساحــر الهندى والأرض ، فلم يجد شيئاً .

ثم طلب الساحر الهندى من المحامى الفرنسى أن يتذكر اسم أى إنسان ، ويكتب الحرف الأول من اسمه على الورق

وكتب المحامى الفرنسى الحرف الأول من اسم صديق له مات . . وطوى الورقة . ثم فتحها فوجد اسم صديقه الذى توفى منذ سنوات . وإلى جانب الاسم : تاريخ الوفاة والمكان والاسم كاملا !

ورأى المحامى الفرنسى ، وهو رجل لا يؤمن بالمسيحية ولا بأى دين ، ساحراً آخر . .

هذا الساحر أمسك بعض البذور ووضعها فى كومة من التراب . ثم غطاها بقماش ، وبعد لحظات من الصمت أو ما يشبه الإغماء ، مد الساحر يديه ورفع القماش فوجد البذور قد تحولت إلى نباتات يانعة !

ورفع القماش مرة أخرى ثم كومه فى يديه . ثم فتح قطعة القماش فسقطت منها زهرة عند قدمى المحامى الفرنسى !

ورأى ساحراً ثالثاً أطلق سحابة من فمه . . وظلت هذه السحابة تتكاثف وتلمع حتى خرجت منها يد تصافح المحامى . . ثم تختفى اليد والسحابة والساحر معاً . .

وكتب المحامى جاكيو فى كتابه « رأيت هذه الأحداث الغريبة والعجيبة . وأنا اعتقد أن هؤلاء الهنود يستخدمون العفاريت فى أن تحقق لهم مثل هذه الحيل » .

و معنى ذلك أن المؤلف جاكيو قد رأى ذلك بوضوح . ولكنه لم يجد له تفسيراً علمياً أو منطقياً . واستراح فى تفسيره إلى أن الهنود يستعينون بقوى خفية . . هذه القوى الخفية لها وجود خارج الجسم الإنسانى . .

ورأى المحامى جاكيو رجلا هندياً يلقى بحبل فى الهواء . . فإذا الحبل يظل واقفاً مشدوداً دون أن يرى أحد من الذى أمسكه وجعله مشدوداً هكذا . ثم يأتى طفل ويصعد هذا الحبل . ولا يزال يصعد ويصعد حتى يختفى عن العيون تماماً ثم يختفى

الحبل أيضاً ، كأن أحداً يسحبه من فوق . وفجأة يسقط الحبل ومن ورائه الطفل على الأرض جثة هامدة . !

ويأتى الساحر الهندى بقطعة من القماش يغطى بها الطفل . وبعد لحظات يتلو الساحر كلمات غير مفهومة ، ويصاب بما يشبه الإغماء . . يتحرك الطفل تحت القماش . . وينهض وفى يده الحبل كأن شيئاً قبل ذلك لم يحدث !

ويقول جاكيو فى كتابه : رأيت ذلك أكثر من مرة . وحاولت أن أفهم من الرجل معنى هذا الذى رأيت . ولكنه هز رأسه بما معناه : لا أعرف . . وأن الأشياء تجرى أحداثها هكذا .

ويقول جاكيو : لابد أنها العفاريت تساعد هؤلاء الناس على ذلك !

ومعنى كلام جاكيو : أنه لم يجد تفسيراً عقلياً أو منطقياً لهذا الذى رآه . .

وفى الكتب الهندية القديمة مئات من الحوادث المشابهة . .

وخاصة فى كتاب « القيدا » . .

وفى كتاب « الأوبانيشاد » . .

وفى كتاب « باجاهاد جيتا » .

وهذه الكتب الهندية القديمة تتحدث عن القوى الروحية الخفية عند عدد كبير من الناس . .

والهنود كانوا أول الناس فى فهم هذه القدرات الخفية . ولذلك كانوا أول الناس فى الدعوة إلى البحث عنها والتنقيب تحت جلودنا . . أى أن هذه القوى الخفية موجودة فينا . ولكننا يجب ألا نقف عند هذا الحد . . وإنما أن نتعمق

ما تحت جلـودنا . . تماماً كما نحفـر الأرض ونتعمقها بحثاً عن ينابيـع المـاء أو البترول أو كنـوز الذهب . . أو عن اللؤلؤ فى أعـماق المـاء . .

فهذه القوى الخفيـة موجـودة تحت . . تحت . . تحت هـذه الإحساسات التافهـة التى نشعر بها كل يوم . . إنها أعمـق من مجرد اشتهاء الطعـام أو الجنس أو المـال أو السلطة . ولذلك لكى نحصل عليها يجب أن ندرب النفس على أن تتجاهل هذه المشاعر . . وأن تذهب إلى ما تحتها . .

ومن هنا كانت تعـاليم اليـوجا . .

فاليـوجا ليست إلا تدريباً على تحكم الإنسان فى جسمه . . أى تحكم العقـل فى الشهوات ، أو الرغبات اليومية العابـرة .

واليوجا : هى علم التأمل . . من أجل أن يصبح الإنسان قادراً على « سيادة نفسه » أو السيطرة على حواسه وعواطفـه . . فإذا استطاع الإنسان ذلك كان قريبـاً جداً من ينابيع قواه الخفية . .

ومن مبادئ اليوجـا ضبط التنفس العميق . والتنفس هو النفس . والنفس هى الحيـاة .

ومطلـوب من الذين يمارسون اليوجا ، التركيز الشديد . التركيز العقلى على شئ . فإذا أفلحنا فى أن نركز تفكيرنا أو عقلنا ، أصبحنا قادرين على النفـاذ إلى ما وراء الأشياء . .

تماماً كما نمسك عدسة صغيرة ونضعها تحت أشعة الشمس . . فإن العدسة تركز أشعة الشمس وتجعلهـا حارقـة . . وفى الريف – عندنا – يشعلون سجائرهم عن طـريق هذه العدسات . . فيضعون العدسة بين الشمس وبين السيجارة . . فتخـرج الأشعة مركزة فتحـرق سجائرنا . . وكذلك هذا التركيز العقلى يقوى النفس ويجعلها نافذة – أى تنفذ إلى ما وراء الأشياء . إلى ما وراء الإحساسات اليـومية العـادية .

ومن أقوال اليوجا « إن النفس الإنسانية مثل مستنقع كبير وممارسة اليوجا تنقى مياه المستنقع وتجعله شفافاً . . تجعلنا نرى ما تحته بوضوح . وأهم من ذلك أن سطح المستنقع يصبح مرآة نرى فيها قرص الشمس » . .

ومعنى ذلك فى عبارة أخرى : أنه مطلوب من الذين يريدون أن يتعمقوا قواهم أن يقوموم يتنقيتها من الشوائب . والشوائب والرواسب هى مشاعرنا اليومية . . فإذا أفلحنا فى تصفية هذه النفس أو هذا المستنقع ، كنا قادرين على أن نرى أعمق وأوسع ، وأن تكون الرؤية واضحة جداً كأنها فى ضوء النهار . بدلا من أن تكون فى ضوء النجوم أو فى الظلام . .

أو بعبارة أبسط : إن النفس الإنسانية كزجاج النافذة تغطى بالتراب والضباب . . والتأمل يمسح عن الزجاج هذه القذارة ، فإذا صفا الزجاج . رأينا عن طريقه ومن ورائه عالماً أوضح وأروع !

— وغير « اليوجا » هناك طريقة « زن » اليابانية . .

و « زن » هى الصيغة اليابانية لليوجا الهندية . .

وأساس مذهب « زن » أن يصبح الإنسان قادراً على نوع من التكامل بين الجسم والنفس :

يروى الأستاذ هيلجــوت أستاذ الطبيعيات بجامعة برلين أنه ذهب إلى اليابان ليرى رهبان « زن » فوجد أن الواحد منهم يمسك القوس والسهم . وفى ثانية واحدة يطلــق القــوس فيصيب الهدف البعيد على الحائط . بمنتهى السهولة . حاول أن يفعل ذلك فوجد صعوبة شديدة فى شد القــوس . . ووجد استحالة فى إصابة الهدف على الحائط على مدى عشرة أمتار . .

ولما سأل قيل له : إن طريقة « زن » تحتاج إلى رياضة طويلة فى تنسيق العمــل اليدوى والقدرة العقليــة معاً . فإذا استطاع الإنسان أن ينسق الحركة اليــدوية والقــدرة على التركيز والإصابة ، فإن ذلك سوف يتم مستقبلا بمجهــود قليل !

وبعد سنة من ممارسة « زن » استطاع الأستاذ الألمانى أن يطلــق السهم وأن يصيب الهدف دون مجهــود يدوى أو عقلى . .

أما أنا فقــد وجدت فى مدينة كولمبو سنة ١٩٥٩م جماعة من الرهبان يمشون حفــاة على النار ، أما النار فهى عبارة عن مساحة من الفحم الملتهب تبلــغ أربعــة أمتار . . مساحتها أربعة أمتار وعمقها متران ودرجة الحرارة تصل إلى ٥٠٠ مئوية – وكان الترمومتر أمامنا يؤكد ذلك . . ونحن واقفــون لا نستطيع أن نقترب من هــذه النار . ثم جاء الرهبــان وعرضوا أقدامهم علينا . . وجاء طبيب سويسرى وفحص أقدامهم . . وبشرتهم وسيقانهم . . كل شىء عادى جــداً . ولا يختلفون عنا فى أى شىء . وجاء هؤلاء الرهبان ومعهم راهب سويدى وساروا على النار حفاة . . وببطء . . وعندما انتهوا من هذه الخطــوات المحرقة سارع الطبيب السويسرى ليكشف عن بطون أقدامهم . فلم يجــد أثراً للنــار ؟ !

كيف يقاومــون النار ؟ كيف لا تؤثر فيهم النار ؟

كيف يتحكمــون فى إحساساتهم . . كيف لا يحترقــون . . كأنه من الممكن أن يــؤثر الإنسان بقدراتــه الخفية بتغيير طبيعة الأشياء أو منطق الأشياء . أما منطــق الأشياء فهــو : أن كل جسم يدخــل النار ترتفع درجة حرارته أو يحترق !

كيف منعــوا الأشياء من أن تكون طبيعيــة ؟

هناك نظــرية جديدة تقــول : إن كل ما يشعر الإنسان بأنه يعلمــه ، هذا الشعور يفسد قــدرته على إنجــاز هذا الشيء بصورة رائعــة !

هذه العبارة تحتاج إلى شرح ، فنحن عندما نطلب من إنسان أن يتعلم ركوب « البسكليت » فإننا نقــول له : أنظر أمامك ، لا تنظــر إلى قدميك . . أي يجب ألا تشعر بأنك تتعلم وأنك تحــرك قدميك . . فإذا انصرفت عن النظــر إلى قدميك فسوف تتعلم بسهولة . .

وهذا يفسر لنا أيضــاً : أن الواحــد منا عندما يرتدي ثوباً جديداً ، ويشعر أن الثوب جــديد ، وأن الناس تنظــر إليه فإنه يرتبك في خطــواته . .

والإنسان عندما يواجه الناس ويتحدث ويشعر أنه في مواجهــة الناس . . وأنه يريد أن يقــول أحسن الكلام . . هذا الشعور نفسه يجعله يرتبك . .

ولذلك فأهم تعاليم « يوجا » و « زن » هو ألا تشعر بما تفعله . . وإنما أن تستغرق في تأملاتك أو في أعمالك ، حتى لا تدري بما حولك شيئاً ، هذا التركيز الذي يؤدي إلى الاستغراق ، يشبه أشعة الشمس التي تركزها العدسات : هذا وحده هو الذي يجعلك قادراً على النجــاح في أي شيء . .

وهذه القــدرة على الاستغــراق موجودة عند نوعين من الناس : الأطفــال والعبــاقرة .

فالطفل عندما يلعب فإن أتفه الأشياء تستغرقه وتستولى عليه . . وكذلك العباقرة يستغرقهم التفكير كأن الدنيا خلت حولهم من كل شيء ومن كل أحــد من الناس !

وحرص العلماء والرهبان على العــزلة والاعتزال : إنما سبب ذلك رغبتهم في الاستغراق أو ضرورة الاستغراق لاستخدام كل قدراتهم في عمل شيء . .

– وهناك مذهب جديد اسمه : « ت . م » أى « تأمع متعـال » أو التأمل المتعالى . هذا التأمل المتعالى هو نوع من الاستغراق الذاتى ، أى استغراق الإنسان فى نفسه . هذا التأمل المتعـالى من أجل إطلاق قوانا الخفية . .

فقد ظهـر فى الهنـد رجل فيلسوف اسمه « راما كرشنا » وكان ذلك فى القرن التاسع عشر . . وفلسفته سهلة جداً . هو يقول إن حياتنا العادية مليئة بالأشياء التافهـة . وهذه الأشياء تشغلنى تماماً عن فهم الحقيقة . وعن الشعور بالمعانى النبيلـة . وهذه الحياة اليومية مملة . ولابد أن نبدد الملل بالعمـل . ولابد أن يكون العمـل عظيما .

ويضرب لذلك مثلا : لنفرض أن رجلا يملك فيلا . . وهذا الفيل قادر على حمل الأشياء الثقيلة جداً . ولكن صاحب الفيل يضع على ظهره أو على خرطومه بعض علب من الصفيح الفارغ . . أو علب الكبريت . . ثم يتحرك بالفيل ذهاباً وإياباً عشرين مرة فى اليوم الواحد . فما الذى نراه أمامنا ؟

إننا نرى رجلا يستخدم قوة هائلة ويرهقها فى أعمال تافهة . . وكذلك نفعل نفس الشىء بعقولنا ووجداننا نستخدمها فى أمور يومية تافهة !

يقول راما كرشنا أيضاً : إننى أعرف رجلا ضعيف البنية . ويعـرفه كثيرون فى الهند أيضاً ، إنه يجر وراءه على الأرض كميات من الخشب أضعاف ما يستطيعه فيل قوى .

فكيف حدث ذلك ؟ الجواب أن هذا الرجل قد درب نفسه على العمـل الشاق . وأطلـق قواه الخفيـة التى لا حدود لها . . فإذا هو قوى كالفيل . . وإذا الفيـل نفسه ضعيف كهـذا الرجـل الضعيف الهـزيل !

وكان من تلامذة راما كرشنا هذا رجل يأتى بالسيف ويضعه فى بطن . . ثم إذا بطفـل يقف على السيف دون أن يقـع به السيف ، ودون أن يتمزق بطن الرجل . كيف ذلك ؟

لقد أمكن ذلك كثيراً . ولكن بعد « رياضات نفسية » عنيفة .

فالوقوف على السيف كالمشى على النار ، فلا السيف يمزق بطن الرجل ، ولا النار تحرق أقدام الرهبان .

وبعض الصوفية كانوا يمشون على الماء أيضاً ، دون أن يبلل الماء أقدامهم . . ودون أن يغوص بهم الماء أيضاً !

والمتصوفون المسلمون قد أتوا بالعجب . . ولكن — كأشياء كثيرة فى حياتنا العقلية والوجدانية — فإننا لم نسجلها ولم ننشرها بين الناس . . ولا عندنا صور أو تماثيل لرجال مثل الحلاج وجلال الدين الرومى البسطامى وابن الفارض ومئات غيرهم . ولكن الأعمال الخارقة التى أتوا بها لم تلق ما تستحقه من الدراسة العلمية . . وإنما دخلت التاريخ على أنها أعمال خارقة غير مفهومة . .

ولا مانع من أن توصف بأنها خارقة . . لأن هذا صحيح . . ولكن أن يقال إنها غير مفهومة ، ثم نقف عند ذلك ، هذا هو الخطأ . وإنما الصحيح أن نقول إنها غير مفهومة ، وهى لذلك فى حاجة إلى فهم — وهذا ما حدث فى أوروبا وأمريكا . .

وفى القرن الخامس قبل الميلاد قال لنا الفيلسوف العظيم أفلاطون فى كتاب له اسمه « المأدبة » : نحن عندما نحب شخصاً فإننا نتجه أولا إلى جسمه أو ملامحه الجميلة . . ونتعلق بها . . وبعد ذلك نرتقى إلى مرحلة أسمى من ذلك فنحب صفاته الجميلة . . أى نحب روحه . وبعد ذلك نرتفع إلى مرحلة أسمى وأعظم هى أن نحب الجمال فى كل شىء . . جمال المرأة والزهرة والسماء والبحر . أن نحب الجمال عموماً . والجمال عموماً هو الله . .

ويقول فيلسوف آخر اسمه أفلوطين هذا المعنى كله فى عبارة مركزة هى : أننا فى الحب نبدأ بالواحد ونتجه إلى الواحد الأحد !

وهذا بالضبط ما يحدث عندما ننتقل بأحاسيسنا ومشاعرنا إلى أعمق

أعماقنا . . فنحن ننصرف عن الأشياء الصغيرة إلى المعانى الكبيرة . ثم إلى أكبر المعانى . ونثق فى صميم الدين والإيمان بقوة مطلقة هى الله . . ومن هذه القوة المطلقة نستمد – أى يكون لنا مدد – قوانا الخفية غير العادية !

شىء آخر هام . . هو أن هؤلاء الذين تتحقق عندهم هذه القدرات يكونون فى حالة أقرب إلى النوم . . أو إلى التجلى . . وهذه صفة نجدها عند الأنبياء وعند الأولياء . . فنجد الواحد منهم فى حالة نوم لكى يصبح بعدها فى حالة يقظة باهرة . . أو فى حالة النوم الذى يسبق اليقظة . .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يصاب بما يشبه الحمى عند نزول الوحى . . أى عندما تتصل روحه بروح أقوى . . هى روح جبريل . . وكان النبى « صلى الله عليه وسلم » يقطر وجهه عرقاً . . هذه هى « حالة التلقى » أى الحالة التى تتدفق فى جسمه المحدود قوى هائلة أو فيض نورانى من قوى هائلة . .

وبعض الأنبياء والأولياء والقديسين يعانون درجات مختلفة من هذه الحالة التى تجىء بعدها : اليقظة الباهرة . .

و « اليقظة الباهرة » تعبير صوفى معناه : أن الإنسان يكون نائماً ، أو كما لو كان نائماً ثم يضع عينه على عالم مضىء مشرق مريح يراه لأول مرة . تماماً كما تتبدد السحب مرة واحدة وتشرق الشمس فتملأ الدنيا ، وتكشف الدنيا لنا !

– ولا يختلف ما يقوله الصوفيون المسلمون عن الذى يقوله الصوفيون فى أى دين آخر . .

مثلا : الصوفى الألمانى يعقوب بيمه الذى عاش فى القرن السابع عشر كان صانعاً للأحذية . ولكنه لمس فى نفسه رغبة فى أن يفعل شيئاً غريباً كيف اهتدى إلى ذلك ؟ هو نفسه لا يجد سبباً معقولا أو واضحاً .

أما الذى كان يعلمه فهو أن يأتى بطبق أبيض . ويضعه أمامه بالساعات يحملق فيه . . وفجأة يتسع هذا الطبق وكأنه سماء . . أو كأنه « طاقة » كبيرة فى جدار ولا تزال هذه الطاقة تتسع وتتسع حتى يرى من ورائها عالماً ساطعاً واضحاً جميلا . . لم يره من قبل .

وأغرب من ذلك أنه كان يستطيع وهو يحملق فى الطبق ساعات أن يرى الناس فى مدينته يروحون ويجيئون . وكان يقابلهم ويقول لهم : أنت سافرت وأنت عدت . . وأنت تشاجرت . . وأنت سكرت . . وأنت سرقت . . وأنت خنت زوجتك . .

وكان الناس يؤكدون أن هذا الذى قاله لهم صحيح .

وبعد ذلك انتقل الصوفى الألمانى بيمه إلى حالة أخرى . . فهو عندما كان يمشي فى الغابات كان يرى كل شيء شفافاً . . فالأشجار لا تحجب ما وراءها . . بل إنه كان يرى العصارة فى أغصان الأشجار . . وكان يرى الطعام فى بطون الناس . . ويرى ما فى جيوب الناس . .

وسجل الصوفى بيمه كل الذى رآه هذا فى كتاب . وثار عليه رجال الدين . واتهموه بالسحر والاتصال بالشياطين . ولكن الرجل كان طيباً . وكانت النظرة إلى وجهه تقول :

إن هذا الوجه لا يكذب !

وكانت وفاته غامضة . .

وقد تأثر به الشاعر الإنجليزى وليم بليك . فجاءت قصائده ولوحاته أيضاً غامضة ساحرة . أو فيها الكثير من الصوفية وفى إحدى قصائد بليك تقرأ أبياتاً معناها :

ومشيت فى طـــريق . .
وكانت كل الدنيـــا عيوناً تنظـــر
وكل الأوراق ألسنة تقـــول
وكل النجـــوم دعوات أن أصلى
ولم أعرف ما الذى أفعله أولا . .
وكل ما استطعت أن أعملـــه ، هـــو
أن ألقى بنفسى على الأشيـــاء
زورقـــاً تلهـــو به وتلعب . .
– ويقـــول :
هل أنـــا الذى اكتشفت هـــذه الدنيـــا
هل هى التى كشفتنى واكتشفتنى . .
إننى قادر على أن أحـــرك كل الذى حولى
لماذا ؟ لا أعرف لمـــاذا ؟

وهـــذا المعنى حاول أن يعبر عنه ( أنظـــر الغلاف ) **الفنان الكبير صـــلاح طاهـــر** . بهذه اللوحة ولهـــا معنى واحد : أن هناك قوة هائلـــة باهـــرة وراء كل شىء . .

وفى سنة ١٦٠٣م ولد رجل طيب فى إيطاليا اسمة جيسبى ديزا . . ودخل الدير . ولكن الرهبـــان لاحظـــوا عليه أشياء غريبة من بينها : أنه قليل الكلام ، قليل الطعـــام . . ومن بينها أيضاً : أنه كثير العـــزلة . .

وفى أحد الأيام وجـــدوا هذا الرجل طائراً فى داخل الكنيسة . . وظل يرتفع حتى وقف بقـــدميه فـــوق الشموع وكانت الشموع تحت قدميه مباشرة. فلا انطفأت الشموع ولا أحرقت قدميـــه !

وقد رأى ذلك أعظم فلاسفة أوروبا فى ذلك الوقت : الفيلسوف الألمانى ليبنتس ، وهو رجل لا يؤمن إلا بالعلم وإلا بالمنطق وهو الذى اكتشف حساب التفاضل والتكامل . يقول ليبنتس : طبيعى جداً ألا أصدق شيئاً من ذلك حتى رأيت الرجل يرتفع تدريجاً فى الهواء أمامنا . . ثم يهبط تدريجاً . رأيت ذلك عشرين مرة . ولم أفهم سر هذه القدرة العجيبة !

وبعد وفاة هذا الراهب نصبته الكنيسة قديساً باسم القديس يوسف الكوبرتينو .

فى سنة ١٦٨٨م ولد فى السويد رجل اسمه إيمانويل سويدنبرج . وأصبح الرجل مهندساً وموسيقياً ومدرساً للرياضيات . وأصدر عدداً من الكتب تكلم فيها عن رحلاته إلى الكواكب الأخرى . . ووصف هذه الرحلات لا على أنها خيال ، ولكن على أنها حدثت له أثناء النوم . . أو فى حالة تشبه النوم . . ولم يتقبل الناس شيئاً من ذلك !

ولكن ما كان يفعله أمام عيون الناس هو الذى جعلهم يصدقونه .

ففى إحدى المرات كان يتناول طعامه . فى حفلة عامة . وفجأة سقط الكوب من يده ، وسألوه : ماذا ؟

قال : حريق شب بالقرب من بيتى . . حريق هائل . .

ثم عاد وقد أشرق وجهه بالفرحة وقال : الحمد لله . . ابتعدت النار عن بيتى . . لقد أخمدوها . .

وكان بيته بعيداً عن المكان الذى يتناول فيه طعامه بحوالى ٥٠٠ كيلو متر . .

ثم كتب وصفاً كاملا شاملا لما حدث . وبعد أيام جاءت التقارير تؤكد كل ما قاله هذا الرجل !

وفى إحدى مآدب ملك السويد طلبت الملكة إلى الرجل أن يحمل رسالة إلى أخيها الذى توفى من سنة . . فقال الرجل سويدنبرج : عندما أراه فسوف أخبره برغبتك !

وفى اليـــوم التالى لقى الملكة فقال لهـــا : إنه لم يتمكن من الرد على رسالتك الأخيرة . لأن الموت قد نقله إلى العالم الآخر . . وأما مضمون رسالتك إليه فهو كذا وكذا : :

ولم يكن أحـــد يعرف غيرها ما الذى جاء فى رسالتها إلى أخيها قبل أن يموت بيـــوم واحـــد !

وطلبت إليه زوجة السفير الهولنـــدى أن يحل لها مشكلتها . أما مشكلتها فهى أن تاجـــر مجوهرات جاء يطلب منها ثمن المجوهـــرات . وقالت له زوجة السفير : إن زوجهـــا قد دفع ثمنها قبل أن يمـــوت .

وأكد بائع المجوهرات : أنه لم يشأ أن يدفع ثمنها . وإلا فلتقدم له الفاتورة التى تسلمها الزوج قبـــل الوفـــاة !

وفى اليـــوم التالى جاءها سويدنبرج يقـــول لها : إن زوجك قد دفـــع الثمن . . والفاتـــورة موجودة فى أحـــد أدراج مكتبـــه .

وردت زوجه السفير بأنها فتشت فى كل مكان . وفى هذه الأدراج بالذات .

وفى اليوم التالى جاءها الرجل يقـــول : سألت زوجك مرة أخرى . . فقال إن هناك درجاً سرياً ، وفى هذا الدرج توجـــد الفاتورة .

ووجدتها الزوجـــة فى المكان الذى حدده الرجل !

* * *

فى سنة ١٨١٨م انشغلت أوروبا برجل اسمه « فيانى » كان يضع يـــده فى الأطباق الخالية فتمتلىء بالطعـــام . . وكان هذا الرجل راهباً قديساً . وقد شكت قريتـــه من الجوع فكان يصلى طول الليل . وفى الصباح يقف أهل القرية أمام مخازن الغلال الخاوية تماماً ، فإذا هى قد امتلأت بالغلال . . ولا يكاد أهل القرية يفتحـــون الأبواب حتى تتدافع الغلال بقـــوة ووفرة !

* * *

وعندنا فى الشرق العربى والإسلامى الكثير من هذه الحوادث العجيبة ، ولكنها لم تلق التسجيل أو الدراسة التى تستحقها !

وقد تعرضت لهذه الكنوز الخفية فى النفس البشرية فى ثلاثة من كتبى صدرت على التوالى :

* الذين هبطوا من السماء !
* أرواح وأشباح !
* الذين عادوا إلى السماء !

وكلها عبارة عن مفاتيح ومطارق تدق الأبواب الخفية للنفس الإنسانية ومحاولات للاجتهاد فى الفهم . لأن الإنسان لا يعرف كل شىء . . لا عن نفسه ولا عن غيره ، وأن العلم الإنسانى ما يزال قاصراً عن معرفة أشياء كثيرة .

• وأن العلم الإنسانى كما قلت كثيراً لا يزيد فى قدرته عن كف الإنسان . . وهذه الكف صغيرة . ولأنها صغيرة فهى عاجزة عن الإحاطة بالكون . .

وقلت كثيراً أيضاً : إذا استطاع الإنسان أن يقيس السماء بالشبر ، استطاع أن يعرف الله . . أو الحقيقة المطلقة . . أو حقيقة أى شىء صغير . بما فى ذلك نفسه وعقله وقدرته . .

والآن أعود مرة أخرى إلى المعنى الذى رددته كثيراً وسوف أردده ، حتى يصبح أكثر وضوحاً . . وهو أننا نستغرب هذا كله . لأنه ليس مألوفاً . أى لا نجده فى حياتنا العادية اليومية .

وهذه الحياة العادية اليومية أصبحت هى الصورة أو « النموذج » الذى تسير عليه الأحداث . . فإذا وجدنا شيئاً يخالف هذه الصورة أو هذا النموذج ، اندهشنا لذلك ورفضناه . .

وبمعنى آخر : نفرض أن أحداً من الناس لم ير إلا القمر ، فلو قلنا له أن الأشعة من الممكن أن تحرق الأشياء ، فإنه لا يصدق . . لأنه لم ير الشمس . .

ولم يعـــرف كيف أنها خارقة وإنها تقـــوم بتبخير المـــاء وإشعال النيران فى الغابات . .

ولو أن أحداً لم ير إلا الزنـــوج ، وإلا الغابات وإلا الأكواخ ، وقلنا له إن هناك أناساً بيضاً وشقراً وإن هناك عمارات وناطحات سحاب ، فإنه لن يصدقنا . : وسوف يرى ما نقـــوله نوعاً من الخـــرافة !

ولو أن أحـــداً من الناس لم ير إلا القنـــوات والترع . وإلا إذا وقف على شاطىء ، رأى الشاطىء الآخر ، وحدثناه عن محيطات عميقة إذا وقفنا على شاطىء فإننا لا نرى الآخـــر ، فمن المؤكد أنه لن يصدقنـــا . ويجب أن نرى أنه معـــذور لمـــاذا ؟ .

لأن الذى نقـــوله ونحاول أن نقنعه به غير مألوف ، غير عادى ، وأنه ليس كالصورة التى أمامه ، والنمـــوذج الذى ترسب فى عقلـــه عن سير الأحـــداث اليـــومية !

فنحن – إذن – ضحايـــا عاداتنا اليـــومية . . ولذلك فكل ما ليس عادياً ، ليس خـــرافياً . . وإنما هو غير مألوف فقط .

هذا الذي يسمونه :

السحر الأسود !

نوعان من السحر :
واحد : يستمده النبي أو الولى أو القديس من الله . .
واحد : يستمده الساحر من نفسه أو من الآخرين لإيذاء الآخرين . .
وهذه هى القوة السوداء

— القرآن الكريم يحدثنا عن كيف تحولت العصا إلى ثعبان . .

مرة تحولت العصا إلى ثعبان فى يد كل ساحر فرعونى . ثم تحولت إلى ثعبان فى يد موسى عليه السلام فأكلت الثعابين التى خرجت من أيدى السحرة .

ويرى القرآن الكريم أن الذى حدث لموسى كان بإرادة الله وقدرته التى حلت فى موسى وفى عصاه .

أما الذى فعله السحرة الفراعنة فكان نوعاً من الإيهام . وكان خداعاً . . وقد هيأ الله موسى لهذه المعجزة قبل أن يواجه السحرة الفراعنة . يقول القرآن الكريم :

« وما تلك بيمينك يا موسى ؟

قال : هى عصاى . أتوكأ عليها ، وأهش بها على غنمى ، ولى فيها مآرب أخرى .

قال : ألقها يا موسى . .

فألقاها . فإذا هى حية تسعى .

قال : خذها ولا تخف . سنعيدها سيرتها الأولى . واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء : آية أخرى . »

ثم أمر الله موسى وأخاه هارون أن يذهبا إلى فرعون . يطلبان إليه خروج اليهود من مصر . وأن يعلنا له أن هذا تكليف من الله .

وأكبر دليل على ذلك . أنه يستطيع أن يبطـــل ما يقـــوم به سحرة فرعون الذين يلقـــون العصا فإذا هي ثعبـــان . ولكن ثعبـــان موسى يأكل ثعابينهم وبذلك يبطـــل سحرهم .

ويرويها القـــرآن الكريم أروع وأجمل :

« قالوا . يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى .

قال : بل ألقـــوا .

فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم ، أنها تسعى

فأوجس فى نفسه خيفة : موسى .

قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى . وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا . إنما صنعوا كيد ساحر . ولا يفلح الساحر حيث أتى » .

وقصة حياة هؤلاء السحرة فى كل العصور لها نهاية غامضة حـــزينة . فمن يقـــرأ عن المشتغلين بالسحر يجد أنهم ارتفعوا بالسلطة والحيلـــة ، وامتلأت جيوبهم بالمـــال . وفجأة يتساقطون فى الطـــرقات أو فى السجون . وفى أسوأ وأحقـــر حـــال . .

وقصـــة موسى هذه تؤكد : أن هناك نوعين من القدرة أو القـــوة . .

ـــ قوة يستمدها الإنسان من نفسه ومن الآخرين . وذلك بأن يؤثر عليهم أو يوهمهم بأنه يفعل شيئاً ما ، ويصدقه الناس .

ـــ وقوة ثانية بمدد إلهى . . وذلك بأن يتصل إنسان ما ، نبى مثلا أو أحد عبـــاد الله الصالحين بالقـــدرة الإلهية . . فإذا هذه القدرة تجعلـــه يصنع ما يعجز أى أحـــد عن صنعه . . حتى لو كان ساحراً . أى حتى لو كان قادراً على أن يسحر كل الناس . . أو يبهرهم . فإنه يستطيع ذلك معهـــم ، ولبس مع الأنبيـــاء أو الأولياء . كما تؤكد لنا ذلك قصـــة موسى عليه السلام . .

ولدى الشعـــوب كلها قصص عن سحرة أتوا بأشياء خارقة . . ولا يوجد سبب واضح يفسر هذه القدرة الخفية عند بعض الناس ، وكيف يستطيع هؤلاء الناس أن يؤثروا فى الآخـــرين . . ثم كيف يهدى هؤلاء السحـــرة إلى « نوعيات » من الناس يمكن التأثير فيها وعليها .

مثلا فى مارس سنة ١٩٦٥م فوجئت فتاة صغيرة برجل قبيـــح الوجـــه يدق الباب

– من أنت ؟

– أنا كاستيـــلان !

– ماذا تريد ؟

– طعـــامـــاً ؟

– فقـــط ؟

– وبعض المـــاء .

– هل تعمـــل شيئاً ؟

– لا أجيـــد أى عمـــل . .

– تفضل أدخـــل

وبعـــد أيام خرج هـــذا الرجـــل ووراءه الفتاة تمشى فى كل بلـــد ، ولا تقوى على أن تفـــارقه . ولا تعـــرف كيف سحرها . هى جميلة وهـــو دميم . هى ذكية . وهو أبله . عاطل . ولكنه تسلط عليها تماماً ثم اعتدى عليها . وحاولت الفتاة أن تهـــرب منه ، فكان يكتشف ذلك دائماً . وحاولت أن تستعين بالآخرين . ونجحت . وحوكم بالسجن ١٥ عامـــاً .

أما قـــدرة هذا الرجل فإنه كان يستطيع أن يحول أى شىء إلى طعام . وأى ماء إلى نبيـــذ . وأية كومة من القش إلى لحم أو فاكهـــة .

وهـــذا الرجل « كاستيلان » استطاع أن يهتدى إلى الفتاة التى يمكن أن تتأثر به . . عرفهـــا بسهولة . وتسلط عليها . ثم استولى عليها .

ـ وهذا هو ما يسمى « بالسحر الأسود » ـ أى بالسحر الذى يستخـــدمه بعض الناس للمنفعة الخاصة . . فهو يستخدم قدراته لنفسه . مهما كانت ضارة بالآخرين !

وعادة فإن هؤلاء السحرة يلقـــون نهاية سوداء أيضاً .

والذين رأوا كاستيلان عندما خرج من السجن . ساروا وراءه . وإذا به يقف فى ميـــدان عام . ثم يسقط كومة من اللحم الأسود وتنبعث منه رائحة كريهة فهـــرب الناس . وعندما عادوا ليروا ماذا حدث لبقايا كاستيلان وجـــدوا كلبـــاً ميتـــاً ؟ !

* * *

ولدى كل الشعوب كتب قديمة تتحـــدث عن السحر . . أو عن تاريخ السحر .

وفى أوروبا فى العصور الوسطى اشتهر كتابان قديمان : أحدهما أسسمه « كتاب الخلـــق » وقد ظهـــر فى القـــرن الثانى بعد الميـــلاد .

والآخر اسمه : « الجلال » وقد كتب باللغة الآرامية ، كتبه موسى بن ليون فى القرن الثالث عشر .

والكتابان يتحـــدثان عن مذهب « الكبالا » القـــديم . . و « الكبالا » مذهب دينى يروى قصـــة آدم منذ كان فى الجنة حتى هبط إلى الأرض . وعندما كان فى الجنة كان على مقـــربة من الله . . أو كان فى حضرة الله ،. . وعنـــدما هبط إلى الأرض ابتعـــد عن الله . ولابد أن يبحث الآدميـــون عن سبيل ليعـــودوا إلى الله . . والطـــريق إلى الله شاق وصعب .

ولابد من عقبات يجب أن يجتازها الإنسان حتى يرتفع من الأرض إلى السماء، أو من الآدمية إلى القدسية ، أو من الخطيئة إلى الطهـــارة . .

– ومذهب « الكبالا » يؤكد لنا أن الإنسان يشبه ذبابة وقعت فى خيوط العنكبوت . . وخيوط العنكبوت هى ملذات الدنيا ومخاوفها . وهى معقدة . متشابكة . ولا يستطيع الإنسان أن يفلت منها إلا بأن يتسامى إلى الله ، وإلا بأن يجيء العنكبوت – وهو الموت – فيقضى عليه !

* * *

ومن أشهر السحرة الذين قرأوا الكبالا ومارسوها وأضافوا إليها من قراءة فى العلوم والفلسفة رجلان :

أحدهما اسمه : أجريبا والآخر اسمه : باراسيلسوس . .

وكلاهما من الذين درسوا العلوم المعاصرة والفلسفة وكانت لهما كتب . ولعل دراستهما الفلسفية والعلمية هى التى جعلت الناس يقبلون عليهما وينظرون إليهما بشيء من الجدية . . ومن الدهشة أيضاً .

أما « أجريبا » هذا فقد ولد فى مدينة كولونيا بألمانيا سنة ١٤٨٦م . وكان تلميذاً متفوقاً فى الجامعة . قرأ وتأمل . وكتب لنفسه . ثم نشر كتباً بعد ذلك أزعجت رجال الدين ورجال الجامعة أيضاً .

واهتدى إلى « الكبالا » وأصبح ساحراً فى العشرين عن عمره .

وعمل سكرتيراً للامبراطور . ولكن الوظيفة لم تسعده . لأنه يريد القوة . ويريد المال والمال قوة . وهرب من القصر الإمبراطورى . وراح يتنقل فى أوروبا وأصبح رجلا شهيراً .

ثم عاد إلى الإمبراطور . وترك قصره واتجه إلى قصر ملكة النمسا . وثار عليه الكهنة وتآمروا ضده . وتمكنوا من الإيقاع به حتى طردته الملكة .

ولكن أجــريبا هذا قد أصدر كتاباً بعنــوان « الفلسفة الخفية » يعتبر من أعمق وأوفى الكتب التى صدرت عن السحر حتى الآن . وعلى الرغم من أن هــذا الكتاب لم يلــق العنــاية التى يستحقها فى ذلك الوقت فقد أصبح بعد قرون من وفــاة مؤلفه من أهم المراجــع التاريخية . .

وهذا الكتاب قد فرغ من تأليفه وهــوفى الثالثة والعشرين من عمــره وهذا الكتاب قد أغضب الناس جميعاً لأنه يقــول : لا فائدة من العلم . ولا قيمة للعلماء . والسياسة كذب . ورجال الدين نصــابون . والأباطــرة جبنــاء . ولو كان الأمــر فى يدى لدفنتهم جميعاً وأرحت العالم منهم .

ورغم هذه العبارات الغاضبة التى لا يعرف أحد لماذا كتبها ، ولا فى أى حالة نفسية ، فإنه من المراجع فى فن السحر . .

وكان أجريبا طويل اللسان شريراً ولم يمسك لسانه لا عن الملك ولا عن الملكة ، فأدخلاه السجن . وخرج من السجن وهو فى التاسعة والأربعين .

وأما قدرة أجريبــا هذه فكانت واضحة : فى التنبؤ . فهو يستطيع أن يتنبأ بما سوف يحدث للناس لدرجة أنه كان يندهش مما يقــول . ولا يعرف كيف يرى الأشياء قبل وقــوعها ، ولا كيف يسمع الحوار والكلمــات قبل أن ينطقها أصحابها . .

ومن الحوادث المشهورة أنه فى مجلس الملك قال : حمداً لله أنك لست على سريرك الآن يا مولاى . فسأله الملك : لمــاذا !

قال : لأصابك الشمعــدان فى رأسك .

قال المــلك : كيف ؟

قال أجــريبا : لأنه سوف يسقط على السرير بعد خمس دقائــق !

وبعـــد خمس دقائق ذهبوا جميعاً ليروا أن الشمعدان قد سقط على السرير . .

ثم التفت إلى الملك ليقـــول له : والحمـــد لله أن الملكة لم تكن هناك وإلا ضحكت كثيراً لهـــذه الإصابة وقالت : إن الملك قد توفى كالشياطين الذين تحرقهـــم نجـــوم السماء !

وبعد لحظات جاءت الملكة وروى لها الملك ما حدث وكيف أن أجـــريبا قد تنبأ بما حدث . . وهنا ضحكت الملكة وقالت : هكذا تمـــوت الشياطين يا مـــولاى . .

إن نجوم السماء تسقط عليهم وتحـــرقهم !

– ومن أعماله الشهيرة أنه كان يضع « سلة » بين عدد من المتّهمين بالسرقة ويطلب إليهم أن ينظـــروا إليها . ثم يطلب من كل واحد أن يمد يده ناحيتها . . وإذا تحركت السلة عندما تمتد واحـــدة من الأيدى كانت هى يد اللص !

– أو كان يأتى بالسلة ثم يطلب إلى أحد أن يذكر أسماء المتّهمين . . فإذا اهتّزت السلة عند نطق واحـــد من الأسماء كان ذلك هو اللص !

أما فلسفة أجـــريبا كما جاءت فى كتابه فهى :

– أن الإنسان أقـــوى بكثير مما يتصور وأن عمـــر الإنسان قصير . وهذا هو الذى يدفع الإنسان إلى أن يستعجل فى كل شىء حتّى لا يفـــوته شىء . . وهذا هو الذى يدفع الإنسان إلى السرقة وإلى الغش وإلى القتل . . فهو يريد أن يحصل على المـــال أو على السلطة بسرعة . . وليس السحر إلا نوعاً من استعجال وقوع الأحداث . . وفى نفس الوقت فإن السحر هو استخدام القـــوة الكامنة فى الإنسان وتحـــريك القوى الكامنة فى نفـــوس الآخـــرين . . ومن هاتين القـــوتين معاً يستطيع الإنسان أن يحقق شيئاً خارقاً وهو يحقق هذا الشىء الخارق مستخدماً عقله وخياله ، ثم الحيـــوية الخاملـــة النائمة البليـــدة الموجودة عند الآخـــرين . .

فالساحر ليس إلا رجلا أمسك عوداً من الحديد الساخن يقلب به النيران الخامـــدة فى عقـــول وخيال الآخرين . . وأحياناً تحرقهم ، وأكثر الأحيان يحـــرق نفسه !

ولو كان أجريبا يقـــول كلماته هذه بالعقل لاستمع إليه الناس . . ولو كان يقولهـــا بهدوء لالتف حوله الناس . . ولكنه كان ينطقهـــا وهو يلعـــن العلماء ورجال الدين والساسة تماماً كما تقـــول أنت لأحـــد من الناس : هل تعلم أيها المغفل الحمـــار أن ٢ × ٢ = ٤ . .

ورغم أن هذه عملية حسابية صحيحة فإن الأسلوب الذى قيلت به لا يشجع أحداً على أن يسمعك حتى تكمل كلامك ، أو لا يجعلـــه قادراً على احتمال الحقائق الأخـــرى ، مهما كانت رائعـــة . .

وكذلك كان أسلوب أجـــريبا منفـــراً وهو يعلن على النـــاس اكتشافاته النفسية والسحرية !

ــ أما الساحر الثانى فهو باراسيلسوس ولد فى سنة ١٤٩٣ . أبوه من علمـــاء سويسرا . وقد درس الطب . وتفـــوق فى دراساته الجامعية . وكان يعالج كل الأمـــراض . حتى الشلل النصفى استطاع أن يعالجه بمجرد لمس المريض . أو اخراج بعض الدم من جسمه .

وكان عصبياً . وكان كثير الصراخ . وفى بعض الأحيان كان إذا زار مريضاً صرخ فى أهله وفى بعض الأحيان يسقط هو على الأرض من شدة العصبية . ولو دخل أحد غرفة المريض لوجد اثنين ممددين أحدهما على السرير والآخر على الأرض . . أما الذى لا حراك فيه على الأرض فيكون الطبيب عادة !

وفى بعض الأحيان لم يدفع له أحد المرضى تكاليف العلاج فقدمه للمحكمة . . وفى المحكمة شتم القضاة ، فأفرج القضاة عن المريض ، وحبسوا الطبيب .

وضاق بالحياة فى ألمانيا وسويسرا ، فراح يتجول فى كل أوروبا .

وعندما كان يلقى محاضراته فى جامعة بال بسويسرا قاد مظاهرة من الطلبة فى يد كل منهم كتاب لابن سينا الفيلسوف العربى . وفى أحد الميادين طلب أن يحرقوا كل كتب ابن سينا !

وكان إلى جانب أنه عصبى ، سكيراً مسرفاً . كان يجمع المال ويبدده فى نفس اللحظة . وقد شاهدوه فى إحدى المرات يخرج المال من جيوبه ومن حقيبة فى يده ، ثم يلقى به فى النهر وهو يهمس بعبارات غير مفهومة . . ثم تتغير معالم وجهه . وعندما تختفى الفلوس تحت الماء يشرق وجهه من جديد . . وبعد ذلك يبحث عن المرضى ليعالجهم مجاناً . . أو بالفلوس ، حسب حالته النفسية العصبية الغريبة !

وظل يتجول فى أوروبا ١٤ عاماً .

ولكن لأسباب غير معروفة ، قرر أن يرتق أحد الجبال ماشياً على قدميه . . ومن أعلى الجبال سقط . . أو ألقى بنفسه . . وظل يتدحرج حتى مات !

والذى يبعث على الدهشة حقاً أن هذا الرجل الذى كان يملك قدرة هائلة ، كان نحيفاً هزيلا شاحباً وكان إذا صافح إنساناً أيا كانت قوته ، فإنه يصرخ من قبضته العنيفة . . أو كان إذا سحبه فإنه لابد أن يسقطه على الأرض . . وكان

يستطيع أن يرفـــع منضدة ضخمة مهما كانت كمية الأطباق أو الطعـــام أو الأدوات الفضية الموضـــوعة عليها . فكان يقترب من هذه المائدة ثم يضع أصبعاً واحداً عليها ويدفعها إلى الأمام مرة واحدة فإذا هى تنتقـــل من مكانها وتنكسر كل الآنية التى فوقهـــا !

وكان باراسيلسوس هذا يقـــول فى كتبـــه :

لست أجد إلا تفسيراً واحـــداً لكل ذلك . .

أما التفسير فهـــو : انظـــر إلى النافورات . . إنها تندفع إلى أعلى وبشدة . لماذا ؟ لأن هناك ضغطاً قوياً من المـــاء تحت الأرض . . فتحت الأرض خزانات من المياه لا أول لها ولا آخـــر . . وهذه المياه تجد ثقباً فى الأرض فتنـــدفع إلى أعلى . . أما الخـــزانات التى فى الإنسان فهى القـــوة الخفية . . ولا يخـــرج من هذه القـــوة الخفية إلا القليـــل . ونحن لا نعـــرف كيف نخرج هذه القـــوة . ولا متى . . ولا من هو الإنسان السعيد أو الشقى الذى ينفـــرد بهذه القـــوة المتـــدفقـــة !

– وظلت هذه العبـــارات غامضة أكثر من أربعة قـــرون . حتى جاء مواطن سويسرى عظيم اسمه كارل يونج . هذا العالم النفسى هو الذى حدثنا بعـــد ذلك عن قوة اللاشعور . . أو قوة العقـــل الباطن . وهذا العقل الباطن هو « الخـــزان » الحقيقى لكل قوى الإنسان . . من هذا الخزان تندفـــع نافورات السلوك الإنسانى . .

وكارل يونج هو الذى قال : إننا نستخدم جانباً قليلا من قـــوانا الظـــاهرة والباطنـــة أو قـــدراتنا الشعـــورية واللاشعـــورية . . ولكن وعلى الرغم منا ستندفـــع قوانا اللاشعورية تفعـــل لنا كل شىء ، دون أن نـــدرى !

وجاءت على أوروبا سنوات طويلة كانوا يطاردون السحرة ويحرقونهم مع كتبهم . وكانوا يحرقون ويغرقون كل إنسان له سلوك غريب لا يفهمه الناس . .

ولذلك مات كثيرون ظلماً ، وأحرقت كتب كثيرة . واختفى ، بسبب الخوف ، أناس كانوا يعملون فى السحر . .

والقرن السادس عشر فى أوروبا من أسود العصور فى تاريخ « القوى الخفية » ولذلك لم يصلنا من أعمال السحرة ومن تاريخهم إلا القليل جدا . . حتى الذى وصلنا كان غامضاً . لأن السحرة قد خافوا على أنفسهم ، فأصدروا كتباً غامضة .

— ومن بين هؤلاء الساحر الفرنسى الشهير « نوستردا داموس » . وكان من أشهر الذين تنبأوا بمستقبل البشرية ، ولمئات السنين بعد وفاته . وقد ذهب الكثيرون من حماسهم لنوستردا داموس أنهم وجدوا فى قصائده الغامضة تاريخ الثورة الفرنسية والحرب العالمية الأولى والثانية ورحلات الفضاء وموت الملوك والرؤساء حتى القرن العشرين . .

ونوستردا داموس هذا كان قد قرأ فى كتب السحر القديمة . وفى لغات كثيرة . وكان يعرف العربية والعبرية والهندية ولغات أخرى عديدة . ولا أحد يعرف بالضبط كيف ومتى وأين درس كل هذه اللغات . وعندما نظم نبوءاته جعلها شعراً وباللغة اللاتينية ، إمعانا فى إخفائها . .

ولكن رغم هذه التنبؤات الغامضة المكتوبة ، فإنه قد تنبأ لأناس كثيرين حوله بأشياء كثيرة صادقة مائة فى المائة .

— فقد قابل واحداً وقال له : أما تزال حياً ؟ شىء عجيب . كان من المفروض أن تموت منذ خمس دقائق .

وبعد خمس دقائق بالضبط أصابه طلق نارى فمات !

— قابل سيدة يوم زفافها ونظر إليها طويلا : هل زوجك اسمه شارل ؟ .

فقالت : لا ياسيدى .

قال : شيء عجيب . . أليس اسمك جوليت ؟ .

قالت اسمى جوليت

قال : إذن زوجك يجب أن يكون اسمه شارل .

وعرفت الزوجة لأول مرة . أن زوجها اسمه الحقيق شارل ، ولكنه اضطر لتغييره لأسباب تتعلق بهربه من رجال الشرطة فى مدينة أخرى ! .

وفى القرنين الـ١٧ والـ١٨ ظهر العلماء العظام مثل نيوتن : الذى اكتشف قانون الجاذبية الأرضية . . وفى هذين القرنين ازدهرت العلوم وأنارت الدنيا بضوء العقل . . واختفى الظلام النفسى وتوارت كلمات « السر » و « والسحر » و « القوة الخفية » .

ولكن نيوتن نفسه قد درس القوة الخفية ودار رأسه حول رقبته وهو يقول : إن الجاذبية نفسها ليست إلا قوة خفية . . ولكننا لا نعرف إلا آثارها . . أما هى بالضبط فلا أحد يعرف . . أنا شخصياً لا أعرف ولا أظننى سوف أعرف ذلك . فإن عمراً واحدا لا يكفى أحدا ليعرف مثل هذا السر الكبير .

— وفى سنة ١٧٣٤ ولد رجل اسمه « مسمر » . هذا الرجل قد أدخل اسمه فى القاموس . وأصبحنا نشتق من هذا الاسم : أفعالا . . فنقول إن فلانا تسمر . وأنه أصيب بحالة « المسمرة » — وهى فى اللغات الأوروبية كلها لها معنى واحد هو : أنه فى حالة تنويم مغناطيسى .

هذا الرجل « مسمر » طبيب سويسرى وكانت رسالة الدكتوراه عن موضوع غريب : أثر الكواكب على صحة الإنسان — القمر بصفة خاصة ! .

وكانت لهذا الرجل اجتهادات فى العلاج . . فهو مؤمن بأن لديه قدرة غريبة . . هذه القدرة الخفية تساعد على شفاء المرض .

مثلا جاءته سيدة عندها تقلص معوى . وكان يطلب إليها أن تنام . ثم يمر بيديه على أمعائها . . بعض الوقت فيذهب المغص والتقلص .

وكان يعالج الشلل أيضا بالتدليك بيديه .

وله نظرية تقول : إن الجسم الإنسانى ليس إلا مجموعة من الأوعية . هذه الأوعية مليئة بالسوائل . هذه السوائل تتوقف أحياناً . لأن شيئاً ما قد سد الطريق أمامها . . وهو يقوم بإعادة الحركة فى داخل الأوعية والأنابيب . . أو يقوم بتنشيط العصارة فى داخل هذه الأنابيب .

أو بعبارة أخرى يقوم بتسليك هذه عن طريق القوة الخفية الموجودة فى داخله . . أو عن طريق « تنويم » المريض لكى يستسلم للطبيب . فإذا استسلم راح الطبيب ، دون تدخل من المريض ، يحرك العصارات الموجودة فى أحشائه .

وكان يلاحظ أيضا أنه إذا اقترب من المريض راح الدم ينزف . وإذا ابتعد عنه فإن الدم يتوقف .. أو العكس على حسب الأقوال .

وله تفسير آخر يقول فيه : فى داخل الإنسان « حياة » أو حيوية أو « مغناطيسية حية » . . وإن الذى يفعله هو تحريك ذلك كله . . أو إعادة الحركة إلى الجسم الإنسانى .

وله رأى آخر : أن الجسم الإنسانى له « إيقاع » وأن المرض اختلال فى هذا الإيقاع . . وأن الصحة هى « انضباط الإيقاع » . . والذى يفعله مع أى مريض هو إعادة ضبط الإيقاع .

— لم يستخدم هذه الكلمات وإنما قال هذا المعنى . وأصبح هذا المعنى نظرية علمية نفسية بيولوجية بعد ذلك فى القرن العشرين .

وعندما فشل فى علاج بعض الأمراض الصعبة لم يقبل منه ذلك . فطردوه . وهرب إلى باريس . وفى باريس لجأ إلى نوع من العلاج الجماعى وذلك بأن يأتى بالمرضى معا .

ويتحدث إليهم . ويؤثر فيهم . ويعالجهم معا . وكان يطلب إلى المرضى أن يرقصوا على إيقاع موسيقى يختارها . . وكان يطلب إليهم أيضا أن تتلامس مؤخراتهم أثناء الرقص – هذا التلامس وعن طريق الموسيقى ينظم « الإيقاع الحيوى » فى الأجساد ويكون العلاج .

ولما ضاق بالناس اعتزل فى بيت فى سويسرا حتى مات فى ظروف غامضة .

ولكن الذى لم يتنبه إليه معاصروه هو أن الإيحاء قوة حقيقية أى أنه كانت لديه القدرة على الإيحاء ، وأن لدى الناس الاستعداد لأن يوحى إليهم .

ولكن أحد تلامذته واسمه الماركيز بيسجور قد استخدم الإيحاء فى العلاج فكان يستخدم عودا من الخشب يدق به على رأس المريض فإذا هو ينام، ويستغرق فى النوم .

– أما العاشق الشهير كازانوفا الذى عاش فى نهاية القرن ١٩ فكانت لديه قدرة هائلة على إقناع الآخرين أو على الإيحاء للآخرين بأى شىء . . وكان محدثاً ممتازاً . هذا الرجل كان يقنع النساء ، أكثر من إقناعه للرجال وكانت ضحاياه من النساء بالألوف. ولم يكن جميلا. ولا غنيا ولا فحلا . وإنما كان شخصية نافذة ساحرة .

قابل فتاة جميلة فقال لها : أنت تعيشين هنا . . إن لك مكاناً فى باريس . سوف تكونين عشيقة الملك إذهبى إليه . لعله يراك .

ذهبت الفتاة إلى باريس . ورآها فكانت عشيقته – هل هى نبوءة ؟ هل هو إيحاء ؟

وفى إحدى المرات قال لعروس فى ليلة زفافها هذا الرجل لا يناسبك . ففيه عيوب كثيرة .

وسألته العروس : هل تعرفه ؟ .

– لم أره قبل اليوم .

– وما هى عيوبه ؟

– بعضها أقوله لك أمام أهل العروسين والبعض الآخر أقوله لك فى أذنك .

فانزعجت الفتاة . وجاء أهل العروسين . فقال : الذى أقوله لك أمام الجميع . . إنه عاجز جنسياً ! .

ثم سكت وقال : ولن أقول لك شيئاً فى أذنك . وإنما سأعلن ذلك أيضا . . إن زوجك متزوج من سيدة أخرى .

وسقط العريس منهارا . وكل الذى قاله كازانوفا كان صحيحاً . كيف كان ذلك ، مع أنه لم ير العروسين ، ولا جاء إلى هذه القرية الصغيرة على الحدود الإيطالية قط ؟ !

* * *

– وفى سنة ١٧٤٠ وصل إلى باريس رجل اسمه سان جرمان ( ٣٠ سنة ) وبسرعة أصبح صديقا للملك لويس الخامس عشر . وصديقاً لعشيقته مدام بومبادور . ولا أحد يعرف من أين جاء هذا الرجل ولا أين ولد ؟ ولم يره أحد قط يأكل أو يشرب . وكانت لدى هذا الرجل قدرة هائلة على معرفة التواريخ والأرقام . . ولم يستطع أحد فى زمانه أن يجاريه فى معرفة التاريخ ، ولا أكثر الناس تخصصاً . والذين يؤمنون بالسحر الحديث ، يعتقدون أنه لم يمت . . وأنه يعيش بشكل ما فى بلاد التبت ! .

هذا الرجل الغريب مات من الجوع فقد وقف شهراً كاملا فى مكان واحد لا يتحرك وهو يقوم بتحويل الأحجار إلى فاكهة . ولكن الذى ضايقه أن الأحجار تتحول فعلا إلى فاكهة ، ولكن بعد أن تتحول إلى فاكهة تعود من تلقاء نفسها فتصبح حجراً . . وقد ظل شهراً كاملا يحاول أن يوقف ذلك ، فلم يستطع فمات جوعا . . أو اختفى ليظهر فى مكان آخر – هـــذا ما يقوله تلامذته حتى اليوم ! .

– وظهر فى إيطاليا رجل اسمه كاليوسترو هذا الرجل كان على علم بالتاريخ الفرعونى . . وكان يقول إنه تعلم السحر من الفراعنة . وأن الحياة الخفية هى التى كان يعيشها المصرى القديم وأن الكهنة المصريين لم يبوحوا له بكل أسرارهم . ببعضها فقط . وحجتهم فى ذلك : أنه لا يحتاج إليها فى حياته . ثم إن جسمه لا يقوى على احتمال السحر الفرعونى القديم .

وكان يقرأ أوراقا فرعونية فى صلواته ! وأصبح مشهوراً فى أوروبا غنيا جدا .

وكانت تساعده زوجته فى أعماله السحرية . وخصوصا فى علاج الولادات العسيرة . وعندما يعجز الأطباء ، كان هو يتولى الولادة بصورة أسهل . وبدون ألم . فقد كان يقف إلى جوار الأم ويضع أصابعها على جنينها . . ثم يمر بيديه على بطنها . . وبعد دقائق تلد الأم بسهولة ! .

وفى فرنسا قابل أحد الكرادلة . وكان هذا الكاردينال يريد أن يصل إلى الملكة مارى انطوانيت . ولكنها لا تحبه . فخدعه كاليوستّرو وأرسل إليه عشيقته وقالت له إن الملكة تريد هدية من اللؤلؤ . . وذهب الكاردينال واشترى عقدا . وأخذته العشيقة . واكتشفت الملكة ذلك فأمرت بجلد العشيقة وسجن الكاردينال . وهرب الساحر كاليوستّرو .

وفى لندن تنبأ باليوم والساعة لقيام الثورة الفرنسية .

ولما دخل أحد السجون الإيطالية ذهبت القوات الفرنسية للإفراج عنه باعتباره أحد أبطال الثورة فوجدوه قد مات . ولم يعرف أحد متى ولا كيف مات . . وإنما وجدوا ورقة تقول : فى استطاعة أى إنسان أن يرانى لحظة واحدة ، لو أنه كشف الغطاء فى هذا الحائط .

ووجدوا على الحائط غطاء من خشب . . ورفعوا الغطاء بصعوبة . . ومن وراء الغطاء سقط كاليوستّرو حياً لحظة واحدة ، ثم إذا هو جثة ميتة ! .

أما قدرة كاليوستّرو هذا ، فتدخل تحت « السحر الأسود » فقد كانت عنده قدرة هائلة على التأثير فى الناس ، لصالحه هو . . مثلا : كان ينظر إلى أى إنسان فى عينيه .. فإذا هذا الإنسان يضع يده فى جيبه ويعطيه ما معه من فلوس ، كثيرون فعلوا ذلك ، دون سبب واضح . وعندما ذهبوا يطالبونه بفلوسهم رفض . واضطروه إلى أن يهرب .

وكانت من ضمن المشاكل التى تواجهه ، أن الكثير من الأزواج عندما لا يجدون زوجاتهم يذهبون إلى بيته .. فيجد كل واحد زوجته . . وقد جلست أمام الباب. أو نامت على الأرض . . فإذا أيقظها الزوج وسألها : ما الذى أتى بك إلى هنا ؟

فإنها لا تعرف ما الذى تقوله .

– وأمام هذا « السحر الأسود » كان لا بد أن يهرب كاليوستro من كل مكان . حتى فى السجن فقد دفع زملاءه فى السجن إلى هدم الجدران وقتل السجان . وهربوا جميعاً . وظل هو وحده سجيناً ؟ !

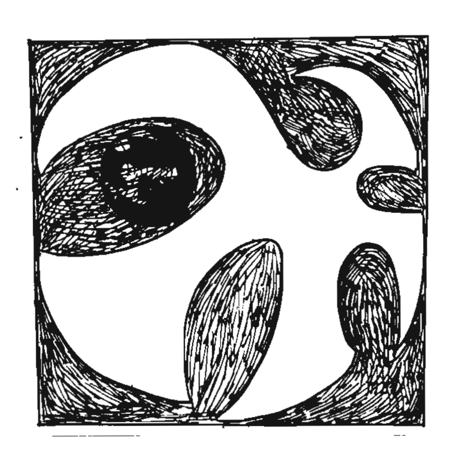

- هذا الرجل هو أنطون مسمر . وقد دخلت كلمة « مسمر » فى اللغات كلها بمعنى « ينوم تنويماً »

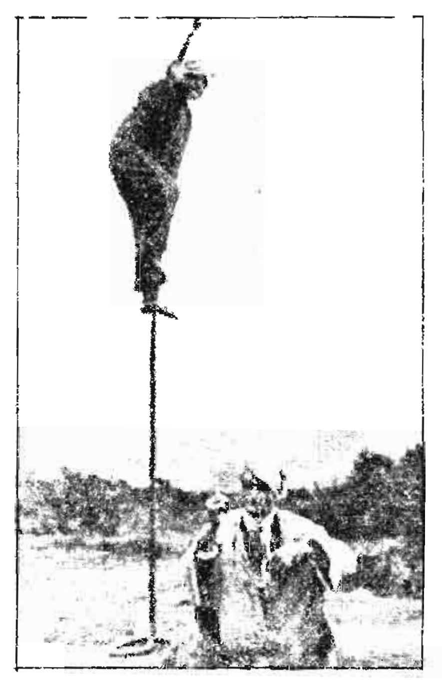

- وقد رأى المحامى الفرنسى جاكيو هذين الساحرين . . أحدهما يرمى بالحبل فى الهواء فيظل مرفوعاً مشدوداً . . والثانى يلقى البذور . . ثم يغطيها بالقماش فإذا هى تنبت بعد لحظات ! .

وكانت الأوراق تتساقط

وعليها الإجابة عن كل سؤال !

انت لم تجرب قدرتك على الجوع .. ولا قدرتك على احتمال العطش إن إرادة الإنسان أعظم مما يتصور ولكنه لم يجربها .. لأنه لم يمتحن نفسه كثيراً .

— رجلان يجلسان أمام أحد مساجد مدينة المنصورة من ٦٥ عاماً . خرج الرجلان من صلاة الفجر . وكل واحد منهما يريد أن يسأل الآخر عن حقيقة ما جرى بالأمس ولكن أحدهما لا يجرؤ. ثم وجد أحدهما أنه من الضرورى أن يتكلم .

قال : وتعتقد أن هذا حلام أو حرام .

— لا هو خلال ولا هو حرام .

— وكيف ! .

— نفرض أنك ارتديت ملابس قديمة . . ثم عدت فارتديت ملابس جديدة . . ثم ألقيت بنفسك فى الماء وتبللت . . ثم جففت جسدك . . لا هو حلال ولا هو حرام . . لا أنت أعطيت أحداً شيئاً ولا أنت سلبت أحدا شيئاً .

— هذا رأيك ؟

— نعم . . ولابد أن يكون رأيك أيضا . . ولو سمعهما رجل ثالث ، فإنه لن يفهم شيئاً . والرجلان لا يريدان أن يذكرا حقيقة ما جرى بالأمس . فقد دعى الرجلان إلى بيت أحد الأصدقاء . ورأيا رجلا طيبا . هذا الرجل يملأ المكان بخورا أبيض ؛ ثم هو يهمهم بكلمات غير مفهومة ؛ وفجأة يتحول البخور الأبيض إلى طيور تملأ الغرفة . . ثم تتحول الطيور إلى دواجن تمشى على الأرض . . ثم إذا هى ثعابين تزحف على الجدران . . وأخيراً تسقط على الأرض فاكهة . ويختفى . ويظل الرجل الساحر فى غيبوبة . ويتركونه ويخرجون إلى الشارع إلى الصلاة . . دون أن ينطق أحدهم بكلمة . لأنه فى حيرة عن كل ما حدث كل ليلة فى هذا البيت ومن عشرين عاماً . فهل هو حرام أو حلال ؟ إن الرجل الساحر قد عرض براعته فى فعل شىء دون أن يصيب أحداً بضرر . ودون أن يتقاضى أجرا على هذا « الإستعراض » . . ودون أن يشرح لأحد من الناس ما حقيقة هذا الذى جرى فى بيت الحاج عبد الرحمن

أبو العلا بشارع القاضي بالمنصورة . وجاءت هذه القصة فى كتاب بعنوان « عجائب الشيخ مسعود » من تأليف المستشار أحمد عبد الحليم الزهيرى

وفى نفس الوقت عند منتصف ليل يوم ٣١ ديسمبر ١٩٧٣ وفى إحدى غرف مدينة باريس . وقف رجل عريان تماماً . وفى يده سكين وكرباج وكوب من اللبن وكوب آخر من النبيذ . . وارتمى أمامه على الأرض واحد من تلامذته عريان تماماً ورفع الرجل السكين وهوى بها على ظهر التلميذ وتركها فى مكانها . ثم أمسك الكرباج وانهال على التلميذ العريان ضرباً . . ولم يسمع أحد صراخا لهذا التلميذ . وفجأة ومع البخور الذى يملأ الغرفة انفتحت النافذة ودخل هواء بارد . . تحول الهواء البارد إلى سحابة . . والسحابة تحولت إلى ثعبان والثعبان تكوم حول جسد التلميذ العريان . . ومازال الثعبان يلتف حول جسده حتى غطاه تماماً . . ثم أطل الثعبان برأسه من تحت ذقن هذا المسكين العريان ! .

هذا المشهد تكرر كثيراً جداً وأمام عشرات الألوف من الأطباء والمهندسين وفى بلاد معظم ملوك أوروبا فى ذلك الوقت . . أما الرجل الذى أمسك الخنجر والكرباج فهو الساحر البريطانى الشهير جدا : اليستر كرولى .

هذا الرجل جاء إلى مصر وقابل عدداً من أعضاء الأسرة المالكة ومن الباشوات وله حادثة مشهورة فى الفيوم . عندما أنزلوه فى أحد زوارق بحيرة قارون . . وخلع الرجل ملابسه . لا بد أن يخلع ملابسه تماماً . وألقى بالملابس فى الماء . ثم سحب هذه الملابس فوجد عشرات من الأسماك قد تعلقت بها . . ثم ملأ بها الزورق تماماً . .ولما رأى الناس ذلك تلفتوا يبحثون عن الساحر فوجدوه قد جلس إلى الشاطىء يأكل سمكا مشويا . حدث ذلك فى فبراير ١٩١٦ ! .

هل عند هذا الرجل تفسير لما حدث ؟ .

عنده كلام يقوله . ولكنه لا يدرى إن كان هذا الكلام يقنع أحداً . ولكن هذا هو كل ما يستطيع أن يقوله . يقول : إن البخار أخف من الماء . ولكن البخار

يستطيع أن يدفع قاطرة وباخرة . . والكهرباء غير منظورة . ولكنها قادرة على أن تضيء مدينة . . وكذلك إرادة الإنسان لا هي ملموسة ولا هي مرئية ، ولكن هذه الإرادة إذا أحسن استخدامها فإننا نغير الكون كله

– ومعنى ذلك : أن الإرادة والفكر والقدرة الخاصة في خفة البخار وقوته . وفي غموض الكهرباء وقوتها أيضا . . ولا يبقى بعد ذلك إلا أن يكون الإنسان قادراً على استخدام إرادته واستخدام فكره . . وفي حياتنا العادية وفي التاريخ الإنساني ، شرقاً وغرباً ، رجال أفراد استطاعوا أن يحركوا الملايين بالفكر والإقناع وبالإرادة . أي بسيطرة إرادة هؤلاء الأفراد على هؤلاء الملايين . دون أن يدعي واحد منهم أنه ساحر . مع أنه في الحقيقة كذلك ! .

وربما توقعنا أن يتغير شكل السحر وأسلوبه وأثره بتغيير السحرة أنفسهم . فكل ساحر له قدرة وله مزاج خاص . وهذا صحيح . ولكن من الملاحظ أن السحر لم يتغير من ألوف السنين . . من أيام موسى عليه السلام حتى يومنا هذا . . والذي يقرأ السحر في بلاد الهند والصين وسحر الصوفية وأصحاب « الحالات » والدراويش والغجر في أوروبا اليوم ، فإنه لا يجد خلافاً كبيراً

– فإذا قلنا إن السحر « نوع من التفكير المغرض » أو نوع من التأثير أو الضغط الفكري ، فإن هذا ما يزال صحيحاً حتى يومنا هذا .

وكل ساحر له إله يستدعيه أو يستنجد به . أو بعبارة أخرى : كل ساحر له مصدر من مصادر القوة أو الطاقة . . أو عنده « بنك » يتعامل معه . ويسحب منه مدخراته .

أو بعبارة أخرى : كل ساحر عنده ينبوع أكبر يستمد منه قوته وقدرته . . فهذا الساحر الإنجليزي كروالي يستمد قوته من الإله الفرعوني توت أو تحوت . ورجال السحر في مدينة الإسكندرية كانوا يؤمنون بأن تحوت هذا لم يكن واحداً من الآلهه .

وإنما كان ملكاً . وقد حكم مصر أكثر من ثلاثة آلاف سنة ! وألف مئات الكتب وأكثر هذه الكتب تحتاج إلى قدرات خفية لكى نهتدى إلى بعضها ، وإلى قدرات خارقة لكى نفهم ما بها . . وكروالى هذا كان يستدعى الإله الملك توت عند الشدائد . وكان توت يستجيب لدعائه . أما وسيلته إلى استدعاء الملك توت فعن طريق الطقوس والدعوات الفرعونية الخاصة التى اهتدى إليها كراولى وحده . ولم يشأ أن يكشف لنا كيف كان ذلك .

ولا يزال بعض الأوروبيين والأمريكان يجيئون إلى الهرم الأكبر كل سنة . ويدخلون غرفة الدفن . ويقيمون صلواتهم . وقد ارتدوا الملابس الفرعونية . أما طقوسهم فهى قريبة من الطقوس الفرعونية . أما كلماتهم ففرعونية . أما هدفهم فهو أن تحل عليهم روح الله توت . فتشفى مرضاهم وتخفف ويلاتهم . وتحل عقدهم . . ثم تهبهم طول العمر . . من هؤلاء جماعة الصليب الوردى .

ومن بينهم أيضاً أتباع الساحر الإنجليزى كراولى . . ولهم فلسفة خاصة . فلسفتهم تقول : كما أن القلب عضو فى جسم الإنسان . . وكما أن العين عضو فى وجه الإنسان . فالإنسان نفسه عضو فى هذا الكون العظيم . ويجرى على العين وعلى القلب ما يجرى على الجسم . . ويجرى على الإنسان ما يجرى على الكون كله . . وفى الدنيا قوة واحدة. كما أن لأرضنا شمسا واحدة . . هى مصدر القوة والحرارة . وكذلك القوة الكبرى بالنسبة للكون وللإنسان . . وكما أن الشمس تدخل من النافذة . . وكما أن النافذة تستطيع أن تحجز عنا الشمس . . فكذلك القوة الكبرى من الممكن أن تدخل الجسم الإنسانى ، ومن الممكن ألا تدخل . . ولكى تدخل لابد أن يكون عند الإنسان هذا الإستعداد لاستقبالها والترحيب بها والإحتفاظ بها أيضاً . . وكذلك هذه القوة الخفية الموجودة فى الكون والتى يمكن استدعاؤها لتحريك الجسم الإنسانى والأجسام الأخرى . . وتغييرها فى أعيننا ، أو تغييرها حقاً .

ولكن هل يمكن أن تؤدى قراءة بعض الكلمات أو ترتيلها أو ترنيمها إلى هذه الأعمال الخارقة ما هو سر الكلمات ؟ ما سحرها ؟ ما مصدر قوتها ؟ .

شيء واحد نلاحظه فى كل العصور : أن الكلمات سحراً .

وأن « ألف ليلة وليلة » عندما وضعت على لسان على بابا عبارة : افتح ياسمسم ، فينشق الجبل نصفين . كانت تعنى أن الكلمات سراً وأن السر قوة . كيف ؟ هـــذا ما لم تقله لنا ألف ليلة .

وفى القرآن الكريم يقول الله تعالى : « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقوله له : كن . . فيكون » ! .

مع أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ ليس فى حاجة إلى أن يقول . . وإنما أن يريد . . ولكن الله قال ويقول لأى شيء : ك . . ن .

هذان الحرفان كافيان جدا لأن يكون هذا الكون من الأزل إلى الأبد .

وفى ذلك إشارة إلى سحر الحرف أو قوة الكلمات .

ـ وفى كل العصور نجد أن هؤلاء السحرة يستخدمون كلمات خاصة من لغات غير معروفة . . أو كانوا يستخدمون اللغات المعروفة ولكن تركيب الكلمات وترتيبها لم يكن مألوفاً . وكان من الضرورى أن يستخدموا بعض الكلمات . وهذه الكلمات مضافة إلى البخور والهدوء والقوة الخفية عند الساحر يستمدها من نفسه أو من الآخرين . . كل ذلك يؤدى فى النهاية إلى أن يقع الشيء الغريب .

وكان كراولى يستعين بالكلمات الفرعونية . . لأنه يستدعى الإله تحوت . . والسحرة الآخرون كانوا يستعينون بآلهة الإغريق . ولذلك فكلماتهم يونانية الأصل . وبعضهم يستدعى آلهة أو شياطين من الهند، ولذلك كانت لغتهم هى اللغة الأردية . . وبعضهم استعان باللغة العبرية أو الآرامية أو الأكادية أو السريانية . . كل واحد حسب المصدر الخفى الذى يطلب منه المدد الروحى .

ولا أحد يعرف كم هو عدد السحرة فى الشرق أو الغرب .

وسوف نختار أربعة من أشهر الذين هزوا أوروبا فى العصور الوسطى والحديثة .

— واحد منهم اسمه د . دى ولد سنة ١٥٢٧ . أبوه موظف فى بلاط الملك هنرى الثامن فى بريطانيا . هذا الرجل درس فى الجامعة وعمل فيها مدرساً للهندسة . وألقى محاضراته فى لندن وباريس . وانتقل من تدريس الهندسة إلى تدريس الفلك والكيمياء . ثم أصبح أستاذا . . ولكنه عثر على كتاب اسمه « الفلسفة الخفية » الذى ألفه الساحر الشهير أجريبا . وهنا توقف د . دى عن الدراسة والتدريس . وأحس أن قوة خفية تناديه وتطلب إليه أن يتفرغ تماماً لهذا النوع من العلم أو الفن

وعرفت الملكة اليزابث الأولى بقصة هذا الرجل وقدرته على التنبؤ . فطلبت إليه أن يختار لها أحسن الأيام ليتم تتويجها فيه . واختار لها اليوم . وكانت هذه الملكة بخيلة فظل هذا الرجل فقيراً حتى الموت . ولم تكن تظهر شمس أو تغيب . إلا وهذا الساحر إلى جوارها يعرض عليها معنى الأيام ومستقبل الأحداث . وتزوج إحدى وصيفاتها التى أنجبت له ثمانية من الأولاد . تنبأ هو بميلادهم واختار لهم الأسماء قبل أن يولدوا .

وكان د . دى حريصاً جداً فى تعامله مع الملكة ومع الناس . فى ذلك الوقت كانوا ينظرون إلى الساحر على أنه رجل شرير وفى حالة استعداد دائم لإيذاء أى أحد من الناس .

هذا الرجل قرأ فى كتب السحر العربية القديمة قصة عنوانها « فاطمة بنت حسن المصرى » . ولا أحد يعرف حتى الآن كيف عثر عليها . . وكيف أن هذه القصة قد وجدوها بين أوراقه مكتوبة باللغة العربية . . وكان يعرف اللغة العربية . ولكن أحدا لا يدرى كيف ومتى وأين تعلمها ؟ .

ووجدوا رسالة موجهة إلى فاطمة المصرى التى تسكن دمشق يقول فيها : لا علاج لك إلا إذا جئت إلى لندن . . وإذا جئت إلى هنا فسوف يحبك رجل لم يكن فى حسابك . . ولا كنت أنت فى حسابه . . وفى هذا الحب علاج لكما معا . . ولكن هذا العلاج يجب أن يبقى سراً . فإذا افتضح أمره . . فالموت لكم جميعاً . . أنت وهو والحب .

يقول د . دى أن فاطمة هذه قد سافرت إلى لندن . . ولا نعرف بعد ذلك ما الذى حدث .

واهتم د . دى بالنظر فى الكرة الكريستال . . فقد كانت من عادة السحرة فى ذلك الوقت أن يأتوا بكرة من الزجاج ويضعون هذه الكرة أمام أى إنسان . ويطلبون إليه أن ينظر فيها . وأن يركز انتباهه . وعن طريق تركيز الإنتباه التام يستطيع الساحر أن يقرأ أفكار الآخرين . . أو ينقل إليهم أفكاره .

وفى مصر مارس هذا الفن كثيرون . وكان من بينهم الراهب الإيطالى الذى مازال حيا جيسبى فردى . ولكن فردى لم يعد يحتاج إلى الكرة الكريستال وإنما يكتفى بالنظر إلى الآخرين والنفاذ إلى أعماقهم . .

ومما يرويه د . دى فى « مذاكراته الخفية » أنه كان يعتمد على رجل وسيط . . أى رجل عنده هذه القدرة الخفية ويمكن عن طريقه الإتصال بقوى أخرى . . أو بأرواح طيبة أو شريرة . ولكن د . دى كان يستعد لذلك استعداداً روحياً خاصاً . فكان يصوم أسبوعين لا يذوق إلا الماء وإلا القليل من السكر . ولا يشرب الخمر . ولا يلمس زوجته . ويظل يصلى من الصباح حتى المساء . وفى نفس الوقت كان هذا الرجل « الوسيط » يطيل النظر فى الكرة الكريستال . وبعد أسبوعين يرى هذا الرجل أشباحاً ويسمع موسيقى .

– ويقول د . دى إنه لم ير شيئاً من ذلك . ولكن استطاع أن يجرى حوارا مع هذه الأرواح التى « تلبست » أو « تقمصت » أو « تجسدت » أو « تسللت » إلى جسد هذا الرجل الوسيط . . وكان الحوار فى الطب والفلك والرياضيات التى لا يعرف منها الوسيط شيئاً . . وكان الحوار يدور باللغات اليونانية واللاتينية والعبرية والعربية . . وكلها لغات لا يعرفها الوسيط .

و د . دى عاش سنوات طويلة على أمل واحد : أن تعاونه الأرواح على أن يكون غنيا . ولكنه عاش ومات فقيراً . وقد دخل التاريخ سابقاً لعصره بمائتى سنة . فقد كان أول رجل استطاع أن يجرى صلة بين الأرواح عن طريق وسيط . . أما هذا

الوسيط فقد دخل السجن بتهمة السرقة . وقطعوا أذنيه عقاباً على تزويره فى أوراق رسمية . . فقد كان يتعجل الثراء ، الذى لم يأت قط .

— وفى سنة ١٨٠١ ظهر فى لندن كتاب اسمه « الذكاء السماوى » من تأليف فرنسيس باريت . فى الصفحة الأولى هذه العبارة : نحن فى عصر النور . العقل سيد الكون . لم يعد أحد يصدق إلا ما تراه عيناه . وتلمسه يداه . وتتذوقه شفتاه . إلى هذه الدرجة أصبح الإنسان مادياً . . ولكن الإنسان بخياله وأحلامه وطموحه وعدم قناعته واقتناعه بما يراه ثم تعطشه إلى المجهول ، سيظل دائما يبحث عن الشيء الذى وراء الأشياء . . ولذلك سوف يكون السحر والأرواح شيئا منعشاً للعقل نفسه .

هذه العبارة لا يمكن أن يكون قد قرأها المستشار عبد المنعم الزهيرى . لأن هذا الرجل لا يعرف اللغات الأجنبية . . ثم إنه عاش معظم حياته أعمى . ولا يمكن أن يكون قد عرف شيئا عن هذا الكتاب الذى ألفه فرنسيس باريت . ولكن المستشار الزهيرى يقول هو أيضاً : لم يعد أحد يصدق قصص العفاريت والأشباح . ولكن أهل الريف يصدقون ذلك . ليس لأنهم جهلاء . ولكن لأن فطرتهم سليمة وشفافيتهم مؤكدة . . وقد سمعت من جدتى أنها كانت تقول : يجب أذهب إلى فلانة لأن لديها نزيفاً . . وكانت تذهب إليها فتجدها مريضة كما توقعت تماماً . . وكانت جدتى تقول : إن أمى كانت مثلى وكذلك خالاتى وعماتى . . وكنت أسمع من أبى أنه كان ينظر إلى الواحد فيقول له : خد يا ابنى هذا الجنيه . . ليس فى جيبك غير خمسة قروش . . وكان الناس يصرخون من الدهشة فقد كان أبى يعرف تماماً إن كان الذى أمامه يملك مالا أو لا يملك . . وكان يقول أيضاً : ليست هذه صفة خاصة عندى . . وإنما نحن جميعاً نشعر بما عند الآخرين من ضيق . .

ويقول المستشار الزهيرى : ولكن العقل الإنسانى مهما كان مسيطراً علينا ، فإنه لا يستطيع أن يفسر لنا لماذا يستريح الواحد إلى إنسان آخر بمجرد أن يراه . . أو لماذا يشعر بالضيق فى بيت من البيوت . . وإذا سأل عن هذا السبب وجد أن به قتيلا . . أو أنه ينام فوق مقبرة . .

ولا يستطيع العقل أن يفسر لنا كيف يمكن شفاء الإنسان بمجرد زيارة ضريح أحد أولياء الله الصالحين . . ولا يستطيع العقل أن يقول لنا : كيف يمكن لرجل طيب أن يلمس إنساناً مريضاً ، فإذا هو قد شفى من مرضه .. أو سقطت عنه أوجاعه !

– إن الذى يقوله المستشار الزهيرى لا يختلف فى شيء عن الذى قاله باريت فى أوائل القرن التاسع عشر . . فكلاهما يتحدث عن عجز العقل عن تفسير شيء . ثم إن هذا العجز هو الذى يجعل الخيال يكمل الطريق الذى وقف العقل عند أوله !

وفى القرن التاسع عشر ظهرت قصص الأشباح والعفاريت . . وأقبل الناس عليها بجنون . حتى امتلأت الدنيا عفاريت . . والحقيقة أنها لم تمتلىء . . ولكن العقل الإنسانى ملأها بعلامات الاستفهام . ثم جعل لهذه العلامات أسماء العفاريت والأشباح واللاشعور والقوى الخفية . . واللامعقول واللامنطق . .

– وبعد تسع سنوات من ظهور كتاب باريت هذا ولد فى باريس واحد من أشهر السحرة فى كل العصور اسمه اليفاس ليفى .

وفى سنة ١٨٢٢ عندما كان فى الثانية عشرة من عمره أحس ليفى أن لديه رغبة قوية فى دراسة الدين . واتجه إلى دراسة اللاهوت وأصبح قسيساً . ولم يكن يريد الدين لذاته ، وإنما يريد الدين وسيلة ، إلى العالم الآخر . . إلى عالم الروح . ولكنه لم يتقدم كثيراً . ولا لمس فى نفسه أية قدرة غير عادية . فترك الدراسة الدينية ، وضاقت أمه بذلك فانتحرت . وأحس أن أمه قد ماتت لكى تتحدث إليه من العالم الآخر . . وأنه سوف يشرح لها كل شيء عندما يصبح قادراً على الاتصال بها . ولم يفلح فى ذلك حتى الموت .

– ثالثاً :

وهو يؤمن إيماناً مطلقاً بأن الإنسان عبارة عن « كون صغير » . . كما أن الكون

عبارة عن « إنسان كبير » . . فكل شيء له قواعد . وكل شيء له حكمة . . وهو يؤمن بالعبارة التي جاءت على لسان الملك الإله تحوت والتي تقول : كما فوق ، كما تحت . .

– أى كما يجرى كل شئ فوق ، يجرى كل شيء تحت . . أى أن الحكمة وراء الكون هى نفس الحكمة التي وراء الإنسان !

ومن أشهر التجارب التي قام بها فى ذلك الوقت أن طلبوا إليه استحضار روح الساحر الأفريقى أبولونيوس . وقد تهيأ ليفى لذلك . فصام شهراً كاملا . وأغلق على نفسه حجرته . وأشعل البخور وملأ أكواباً بالماء . وظل يقرأ طقوساً عبرية وفرعونية وفجأة ظهر شبح وسط الدخان وظل الشبح تتضح معالمه حتى رآه عشرون من رجال الطب والهندسة والقانون فى عصره .

يقول ليفى فى وصف هذه التجربة : لقد أعددت نفسى تماماً لهذا اللقاء . ولا أدعى أننى كنت قادراً على احتمال هذه التجربة . . وإنما أحسست بالكثير من الشفافية . . لدرجة أننى كنت أعرف ما الذى سيقوله كل الذين حولى قبل أن ينطقوا . وفجأة أحسست أننى مسلوب القوة . وأن الحرارة قد هربت من كل جسمى . وأحسست أيضاً نوعاً من الخدر فى ذراعى وساقى . . وفجأة ظهر شيء أمامى . . شيء يخيف . . أبيض بلا لحية . .

ولم أجد عندى قدرة على أن أتحدث إليه . . وحاولت أن أشير إليه أن يتكلم هو . . أو يكتب شيئاً على المنضدة . ولكنى لم أستطع . . وأخيراً سمعته يقول لى : تريد أن تسألنى عن فلان وفلان .. إنهما مريضان وسوف يموتان فى يوم واحد »

يقول ليفى : إننى طلبت شيئاً صعباً فليس من الحكمة للإنسان إذا كان ضعيف العينين ، أن يحملق فى الشمس . . ولذلك يجب أن أنتظر حتى تصبح عندى

قدرة قـــوية على النظـــر إلى الشمس . . أو إلى الاتجاه إلى عالم الروح . .

وأعطى نفسه عشر سنوات من الدراسة والتأهيل الروحى لذلك .

واتجه ليفى إلى دراسة كتب الكبالا القـــديمة .

– ولخص موقفه الروحى هكـــذا :

– أولا :

إن إرادة الإنسان قوة عظمى وأنها أعظم بكثير جداً ما نتصور . . أو بعبارة أخـــرى إن الإنسان لديه قدرة هائله على الصـــوم ، أى قدرة على الامتنـــاع عن الطعـــام والشراب . . دون أن يصاب بضرر . ولكن الإنسان لأنه لم يجـــرب ذلك ، فهـــو لا يعرف هذه الحقيقة . أى أن إرادة الإنسان فى الامتناع عن الطعـــام أعظم وأقـــوى مما يتصور . . وكذلك إرادة الإنسان وسيطرته على نفسه ، على رغباته وسيطـــرته على الألم . . قوية جداً . . ولكن الإنسان يجرب ذلك كثيراً ، أو مطلقـــاً !

– ثانيـــاً :

كما أن المـــاء ينتقـــل فى القنـــوات . . وكما أن السحب تتحرك فى الهواء . . فهناك فى الكون كله ضـــوء . . أو نور سماوى . . هذا النور السماوى على شكل شعاعات . . هذه الشعاعات أو هذه الأشعة هى التى تنقـــل أفكارى إليك . . وتنقـــل أفكارك إلى عقلى أيضاً . . تماماً كما ينتقـــل المـــاء فى القناة أو كما تنتقـــل المياه فى الأكواب . . فكذلك الأفكار تنتقـــل عبر هذه الشعاعات أو الاشعاعات السماوية . . فأستطيع أن أعرف ما يدور فى رأسك . . وأتدخـــل فيه أيضاً .

وظلت كتب الساحر ليفى من أهم المراجع فى علم السحر . وعندما توفى هذا الرجل فى ظروف غامضة ، حزن عليه الكثيرون من المشتغلين بالسحر . فقد كان الرجل جاداً . وكان لا يدعى لنفسه قدرات خارقة . . وإنما كان يقول .

إننى أنظر إلى أشياء غريبة فى جسمى ونفسى . . أرقبها . . وأدرسها . . وأرصدها وأصفها . . ولكنى لا أعرف بالضبط ما الذى يجرى فى داخلى . لا أعرف كيف . وتمنيت طول عمرى أن أعرف . . ولكن سوف أموت ، دون أن يتحقق هذا الأمل . لأننى لا أستطيع أن أضم أصابعى على هذه القوى الخفية .

لا أستطيع أن أراها ، ولا أن أعرضها على أحد من الناس . . فلا هى شىء ملموس ولا هى شىء تمكن رؤيته .

ــ وأعتقد أنه صادق فى هذه العبارة . وأن هذه العبارة مطبوعة على لسان كل من لديه نوع من القلق العقلى والوجدانى . . أى أنها « التعزية » التى يقولها الإنسان لنفسه كلما وجد نفسه عاجزاً عن فهم نفسه أو غيره أو مستقبل الإنسان ! .

وفى سنة ١٨٣١ ولدت فى روسيا سيدة لا تقل خطورة عن لينى هذا . إنها السيدة الينا هان . . من عائلة غنية . تزوجت فى السادسة عشرة وأصبحت تسمى مدام بلافاتكسى ولكن سوف أختار اسمها قبل الزواج ، لسهولته . . إنها السيدة هان . . لقد هربت من زوجها بعد ١٦ ساعة من الزواج . لماذا ؟ تقول : زوجى رجل ليس عنده إحساس . إنه رجل يتوهم أن الرجولة هى كل ما تريده المرأة . إنه مجموعة من العضلات . إنه رأس . . إنه عينان . . إنه غنى . ولكن ليس لديه إحساس بأى شىء آخر . لا هو يعرف الحب . . ولا هو يعرف الحنان ولا هو يعرف معنى كلمة : العلاقة الروحية بين الناس . ولا يتصور أنه من الممكن أن يشبع الإنسان من الكلام أكثر من الطعام . . وأن الطعام نفسه دون كلام يصد النفس عن أى شىء آخر . . إن زوجى رجل جبان . . وأنا أشجع منه ولا شىء يدل على شجاعتى إلا أننى تركته عندما قررت ذلك .

ولكن السبب الحقيقى إلى جانب هذا كله أن السيدة هان عندها إحساس غريب بأن تبتعد عن الرجال . . بأن تكون لها حياة نظيفة . . تصوم بعض الوقت . تتأمل أكثر الوقت . ومن الغريب أنها ذهبت للعمل فى سيرك متنقل . وأن اللعبة التى اختارتها هى أن تركب الخيول بلا لجام . . وأن تقف فوقها . هنا فقط أدركت هى

أن لديها قوة غريبة . . هذه القوة هى التى تجعلها تقف على الحصان وكأنها مغروسة فى ظهره . ومهما فعل الحصان فإنها لا تهتز ولا تسقط . . والناس يصفقون لذلك . . ولكنها وحدها هى التى تعرف الحقيقة .

شيء آخر طرأ عليها : أنها إذا جلست فى مكان فإن الناس يسمعون أصوات أجراس تزن فى الغرفة . . أو يسمعون الموسيقى . . ويتلفت الناس حولهم فلا يجدون شيئا ولا حظت أيضا : أن الملاعق والأشواك والسكاكين تجرى إلى أصابعها .

وفى سن الأربعين قررت أن تتفرغ لدراسة القوى الخفية . . وسافرت إلى أمريكا .

وفى أمريكا كونت جمعية اسمها جمعية « الحكمة الإلهية » . . هذه الجمعية كانت لها فروع فى القاهرة من ثلاثين عاماً .

أما هذه الجمعية فتقول عنها السيدة هان : إننى على صلة روحية بكهنة مدينة الأقصر . . وهؤلاء الكهنة هم الذين أعطونى سر قوتى .

وانتشرت هذه الجمعية وزاد أعوانها . . وكانت تبهر أعضاءها عندما تجلس إليهم . فلا يكاد الواحد منهم يسألها عن شيء حتى يجد الكثير من الأوراق قد سقطت من السقف وعليها الإجابة .

وانتقلت إلى الهند . وفى الهند أعلنت أنها على صلة بعدد من الأساتذة الهنود الذين اختفوا فى التبت . وتضاعفت أعداد الذين يؤمنون بها . وزادت الأوراق التى تتساقط من السقف . وامتلأت جيوب . المريدين بالأجوبة عن كل سؤال يتقدمون به . . فكان الواحد منهم يسألها ، فتشير إلى جيبه فيجد الجواب باللغة التى يعرفها .

— وتركت الهند وسافرت إلى لندن ، وأقبل العلماء والأطباء ورجال الدين على جمعية « الحكمة الإلهية » . ونقلت صورة هرم خوفو على جدران فروع هذه الجمعية وتحت الهرم هذه العبارة : من هذا البناء الشامخ خرجت الحكمة الإلهية . . وإلى كهنة مصر الفرعونية يرجع الفضل كله فى معرفة العالم الذى وراء هذا العالم .

وكان الشاعر العظيم يتس من أكثر الناس إعجاباً بها وإيماناً أيضا . وقد حكى لنا أن فى كل مرة يذهب لزيارتها فإن ساعتها المعلقة على الحائط تدق ١٢ مرة . . أيا كانت الساعة التى يجىء فيها إليها . . ويقول أنه كان يتعمد أن تكون زيارته مفاجئة . . وأحياناً كان يخرج . . ثم بعد لحظة واحدة يعود . . وتدق ساعة الحائط ١٢ مرة.

وعلى فراش الموت لم تجد السيدة هان أحدا . . وكانت تشير إلى الساعة على الحائط أن تدق . . وكانت الساعة تدق بلاتوقف .. وامتدت يدها إلى ورقة إلى جوار سريرها تقول أصدق عبارة : غريب كل صاحب موهبة . أيا كانت هذه الموهبة . غريب فى بيته . غريب فى هذا العالم . . فأين الجريمة وما هو العقاب ؟ هل الجريمة أننى صاحبة موهبة . . وهل العقاب أن أحاط بأناس لا يصدقوننى ولا يشاركوننى .

إننى أموت هنا فى لندن . . وزجى فى أمريكا . . لم أضايقه . . لم أعذبه . . ولم أتزوجه أيضاً . . وإنما عشنا معاً . . لا أنا عبء عليه . . ولا هو . . ولكننى غريبة. وهذه الغرابة هى الجريمة والعقاب معاً، دقى أيتها الساعة دقى . . ياأجراسا بغير كنيسة . . وياكنيسة بغير صلاة . . يا صلاة بغير قسيس .

وجاءت صاحبة البيت لتجد مدام هان قد وضعت الورود على سريرها . . وأطلقت البخور فى غرفتها وفتحت النافذة . . فدخلت عصافير جاءت فى غير موسمها . . ترفرف بأجنحتها وتزقزق . . والساعة تدق ! .

• • •

يقول المستشار الزهيرى فى كتابه عندما وصف كيف مات أبوه : لقد عاد أبى من المحكمة . ترافع . وكسب القضية . ومر على المسجد فصلى المغرب . وعاد إلى البيت ودعانا جمعياً .

والتفت إلى أخى الأكبر وقال له : أنت طلبت منى بطيخة : هذه هى .

— ولم يكن ذلك موسم البطيخ .

وقال لأختى : وأنت طلبت منى قماشاً من الحرير الطبيعى . هذا هو .

– ولم يكن قماشاً وإنما كان فستاناً .

وجاء دورى فقالِ لى : وأنت لم تطلب منى حذاء جديداً . ولكنى أعرف أنك تريده . وهذا هو .

– وكنت أتمنى أن أطلبه منه ، لولا أننى خجلت من ذلك .

ثم التفت إلى أمى وقال لها : وأنت لم تطلبى منى شيئاً . وإنما طلبت من الله السّتر .

وقد كتبت لك البيت والعشرين فداناً باسمك . . وأستودعكم الله .

– ومات أبى . . وسمعنا جميعاً صوت المؤذن . . واندهشت جداً . . فقد كان ذلك عند منتصف الليل .

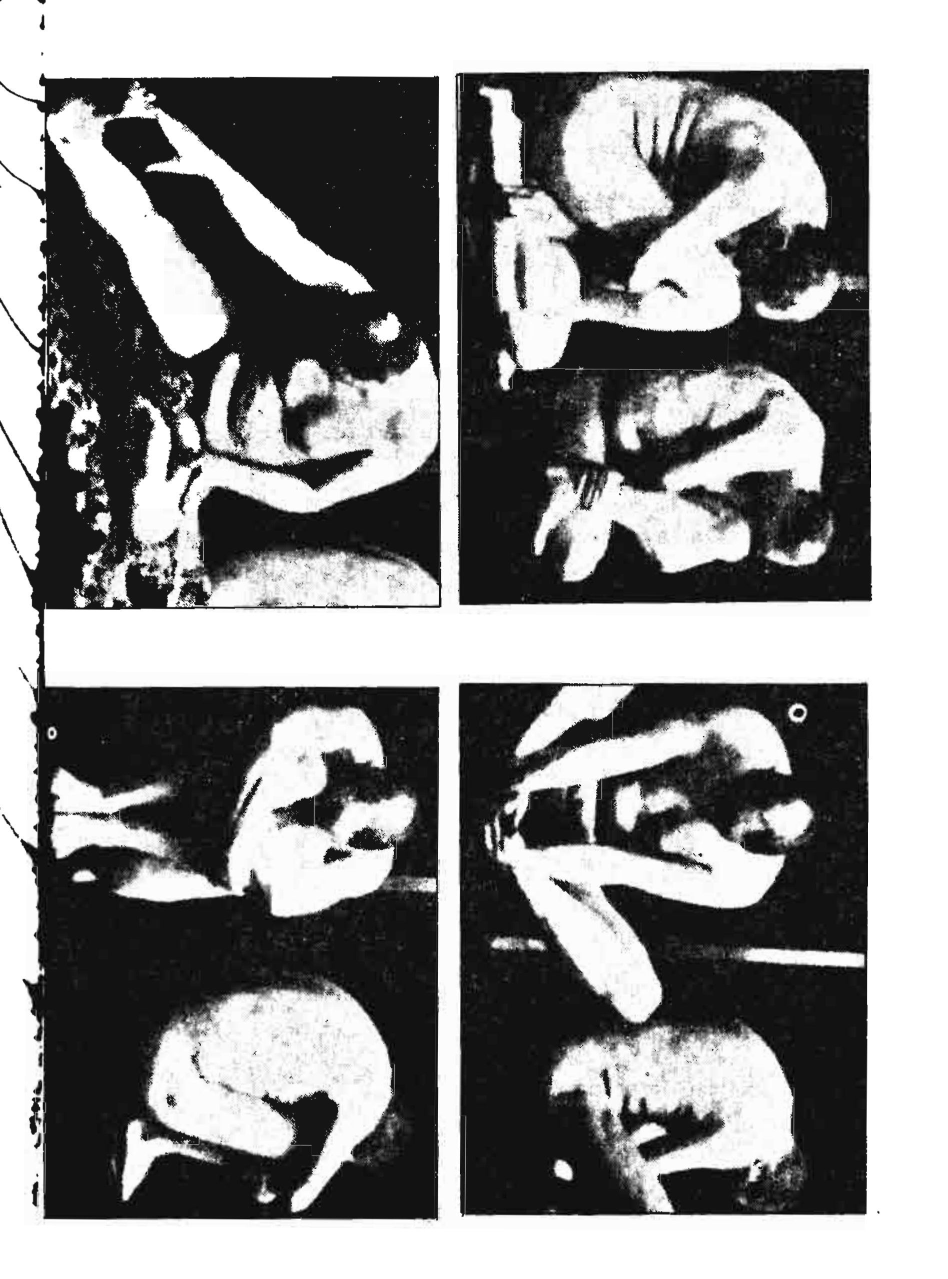

إن الذى فعله الحاج ميرغنى ولم يشأ - أن يشرحه أو يفسره - هو جوهر القضية كلها
اى السحر والعلم .. قضية اللامعقول والمعقول .. اللامنطقى والمنطقى ..
إذن .. ماهو الطبيعى ؟ وماهو الذى ليس طبيعياً ؟!
هذه هى القضية !!

- رجل قادم من السودان . ظل طول الوقت ساكناً لا يتكلم إلى أن وصل القطار مدينة أسيوط . اقترب منه الكمسارى يقول له : ياعم الحاج ميرغنى أنت لاتريد أن تدفع ثمن التذكرة وأنت لاترد على الناس حولك . . لولا أنك رجل طيب . . ولولا شكلك المهيب هذا لكان لى معك شأن آخر . .

ولكن الحاج ميرغنى لا يرد . .

ولم يجد الحاج ميرغنى طريقة للرد على الكمسارى وكل ركاب القطار سوى أن يمسك منديلا . . ثم يلف المنديل ويلقى به من النافذة . . ويقول لهم جميعاً : وهكذا أنتم . .

ولم يجد الناس فى العبارة أى معنى . .

ثم يمد يده خارج النافذة ويأتى بنفس المنديل ويقول : وهكذا أنا . .

ولما وجد الناس غير فاهمين لمعنى ما فعل ألقى بالمنديل من النافذة . . ثم مد يده فإذا بها أرنب أبيض أطلقه فى القطار . . ولم يعثر عليه أحد وقال لهم : وهذا هو أنا !

وكان ذلك كافياً لأن يمتنع الكمسارى عن طلب التذكرة . . وكان سبباً كافياً لأن يمضى الحاج ميرغنى فى صمته أو فى تأملاته حتى وصل القطار إلى القاهرة . واختفى الحاج ميرغنى فى الزحام.

ولكن هذه القصة ظهرت فى كتاب للساحر الإنجليزى كراولى - وهو أعجب السحرة فى كل العصور .

- ولكن الذى فعله ميرغنى ، ولم يشأ أن يشرحه أو يفسره هو جوهر

هذه القضية كلها . أى قضية السحر وقضية العلم . قضية اللامعقـول والمعقـول . اللامنطق والمنطق . الجنون والعقـل . .

إذن ما هو الطبيعي وما هو الذى ليس طبيعياً ؟

هذه هى القضية بشكل آخـر . . الطبيعى هو أن نجـد الأحداث تمشى على النحـو المـألوف عندنا . أى الذى نعـرفه . ورأيناه ألوف المرات . إذا حدث فإننا نصدقه جميعاً . . مثلا إذا ألقينا قطعـة من الحديد فى المـاء فإنهـا تغوص وإذا أمسكنا عصفوراً وأطلقناه فى الهواء فإنه يطير . . وإذا جعلنا المـاء يغلى فإنه يتبخر – هذا هو الطبيعى . وهو المـألوف عندنا . وحياتنا من أولهـا لآخـرها هكذا طبيعية وأحداثها مألـوفة .

فإذا وقع شىء مختلف عن هذا كله فهـذا هو غير المألوف وغير الطبيعى . . والذى لا يمكن أن يصدقه العقـل .

– مثلا :

إذا وضعنا بذرة على الأرض ثم رأيناها تثمر أمام أعيننا . . وإذا نحن ألقينا كوباً من المـاء على الأرض ، فظل معلقاً فى الهواء . . وإذا نحن نادينا أحداً من الناس على مسافة مائة كيلـو متر فسمعنا ، كما فعل الخليفة عمـر بن الخطاب – فهذا هو غير المألوف. . وإذا رأينا أماً تقفـز من مقعـدها وتقـول :

ابنى . . ابنى . !

ويسألهـا الناس : ما له !

فإنها تقـول : أصابته سيارة وهو ملقى فى الشارع الآن !

ثم نجد أن هذه الأم تنطلـق فتجد ابنها مصاباً كما رأته وملقى على الأرض فهذا هو غير الطبيعى . .

وإذا وجـدنا واحداً يقـول : والله فلان وحشنا ، وفجأة يتكلم فلان هذا فى التليفـون . . إذا وجدنا أما غارقة فى النـوم ، ثم فجأة تقفـز من السرير

وتتجه إلى غـــرفة ينام فيها طفلها ، فتدركه قبل أن يسقط من فوق السرير . . أى أن الأم رغم نومها العميـــق قد أحست بطفلها ، وبما سوف يحدث له — فهذا هو الذى ليس طبيعياً . .

وإذا وجـــدنا رجلا بدوياً يمسك عصا ويمشى فى الصحـــراء . . ويدق على الأرض . . ويقـــول : هنا وعلى عمق عشرة أمتـــار يوجد ماء . .

فإذا حفـــرنا الأرض وجـــدنا المـــاء على عمق عشرة أمتار — فهـــذا شىء غير طبيعى !

وإذا وجدنا أباً يشكو من ألم فى أسنانه فجـــأة . . ثم ينهض من نومه ويقـــول : آه يا ضرسى . . آه . .

ويندهش هذا الأب كيف أنه لم يشك قط من وجع فى أسنانه . . ثم يذهب إلى الطبيب فيؤكد له أن أسنانه سليمة . . وبعـــد أيـــام يتلقى خطاباً من ابن له فى الاسكندرية أو فى أمريكا يقـــول له : إننى فى صحة جيـــدة لولا أننى اضطررت إلى خلـــع ضرسى يوم الأحـــد الساعة التاسعة . .

أى فى نفس الوقت الذى شكا فيه الأب من وجـــع مفاجىء فى أسنانه !

ثم ما معنى أن يشعر الإنسان إنه يرتبط بأمه التى ماتت أو بأبيه لدرجـــة أنه قبل أن يحدث له مكروه يشعر بصورة أبيـــه أو بصوته . . أو يحس به كأنه حـــوله أو أمامه يلمـــح صورته من بعيـــد . . ولا تمضى لحظات حتى يقـــع شىء يضايقه . . قد تكـــون خناقة أو قد يكون خبراً سيئاً . أو يكون كارثة — هذا هو الشىء غير الطبيعـــى !

— فما معنى هـــذا كلـــه ؟

معناه أن هناك عالمـــين :

العالم المـــألوف الذى تمشى فيه الأحـــداث الواحد وراء الآخـــر . . ولكنها مربوطة بسلاسل من حـــديد . . أو كأنها عـــربات قطار على شريط من حـــديد . . تبدأ من مكان لتنتهى فى مكان آخـــر دون أن يحدث أى خلل . وهذا هو المنطق . وهذا هو أساس كل العلـــوم . . أو التفكير العلمى . .

وهناك عالم آخـــر . . أو دنيا أخـــرى . . تكون أحداثها مختلفـــة . غريبة . ولكنها رغم هذه الغـــرابة فإنها تقع كل يوم لألوف الناس .

ومعنى ذلك أن العقـــل الإنسانى غير قادر على تفسير هذا الذى يحدث . وعجز العقـــل عن فهم ذلك لا يعنى أنه خطأ . .

تماماً كما تقـــول ـ إننا لا نرى الكهـــرباء ولا الجاذبية الأرضية ، ولكن هذا لا يعنى أنها غير مـــوجـــودة . .

لكن يمكن أن يقال : كما أن الهواء ينقل الصوت . فإن هناك شيئاً آخـــر غير الهواء ينقـــل الأفكار . . أو وقوع الحوادث ينقلها إلى عقـــولنا قبل أن تقـــع . .

فالعقل الإنسانى والعلم الإنسانى ، والمنطق غير قـــادر على أن يفهم أو عاجز عن أن يحتوى هذه الأشياء الغـــريبة غير المألوفة . .

ـ وهذا الرجل السودانى البسيط كان بليغاً فى الأمثلة التى ضربها ، وإن لم يقل كلاماً كثيراً . ولكنه أكد وبمنتهى السهولة والوضـــوح : أن هناك نوعين من الناس . . أو نوعين من التفكير . . أو أن هناك عالمين مختلفين تماماً . . وأنه هو شخصياً واحـــد من الذين يعيشون فى هذين العالمين . . وإن كانت لديه هذه القدرة على أن يكـــون غير طبيعى وأن يكون لا معقـــولا ؟ !

أما كيف يحدث ذلك من بعض الناس ؟ فقد أجبت على هذا السؤال بأشكال مختلفـــة فى المقالات السابقة . ولا مانع عندى من أن أعيد الإجابة بصورة أخرى .

فأقول إن الأم التى تشعر بما سوف يحدث لابنها أو لطفلهـــا هى أحسن نموذج لكل هذه الأشياء الغريبـــة . فالأم مرتبطـــة بابنها ومشغـــولة به . وتتمنى لو كانت على صلة وجدانية أو عقليـــة به . فهو وإن كان بعيداً عنها ، لا يغيب عن شعورها . فشعورها ورغبتها القـــوية فى أن تكون على صلة به . هذا هو أساس كل القـــوى الخفية الكامنة فينا . .

وهذا ما يحدث بين المحبين أيضاً . .

أى لابد أن نريد . أى لابد أن تكون إرادتنا قويةعميقة . فإذا أردنا وبعمق ، فإننا نفتح على أنفسنا وفى أنفسنا ينابيع القوى الهائلة فى كل إنسان : قوة السمع عن بعد . . والرؤية عن بعد . . والإحساس بالحوادث قبل أن تقع . . ونقل أفكارنا إلى الآخرين والتأثير فيهم .

أعود إلى الحاج ميرغنى فى قطار الصعيد سنة ١٩٣٦ فنجد أن الكمسارى عندما طلب إليه أن يدفع التذكرة ، أمسك الحاج ميرغنى بورقة وجعلها على شكل قرطاس ووضعها على أذنه لحظة . ثم أعادها إلى مكانها فى جيبه وقال للكمسارى : هل أقول لك شيئاً وتبعد عنى ؟ .

فقال الكمسارى : قل يا حاج .

قال الحاج ميرغنى : جاءك مصطفى . مبروك .

فسأله الكمسارى : من هو مصطفى ؟ .

قال الحاج ميرغنى : زوجتك أنجبت ولدا منذ ساعتين . . وينادونه يا مصطفى كما كنت تتمنى ! .

وذهل الكمسارى وانهال يقبل يدى الحاج ميرغنى . فقد كان يتوقع أن تلد زوجته فى ذلك اليوم أو فى اليوم التالى . . وكان يتمنى أن يرزقه الله بولد ليكون اسمه مصطفى . . فقد مات له ابن من قبل وكان اسمه مصطفى ! .

– والذى يهمنى فى قصة الحاج ميرغنى هذه هو هذا القرطاس الذى وضعه على أذنه . . إنه تعبير ساذج لمعنى عميق جدا وهو :

إن هؤلاء الناس أصحاب القوى الخفية لديهم هذه القدرة على أن يسمعوا ما لا يقوى أحد على سماعه ، وأن يروا ما لا تراه العيون . وليس هناك أى تفسير علمى لهذا كله . ولكن عجز العلم عن التفسير لا يدل على أن الذى يحدث كل يوم ، وقد حدث ألوف المرات ، وسوف يحدث ، أكذوبة أو خرافة .

وإنما فقط هو شىء بعيد عن أصابع العلماء ! .

وقبل أن يموت الحاج ميرغنى بيوم واحد جمع أولاده الستة وزجته وقال لهم :

استغفر الله العظيم . . استغفر الله العظيم . . ياأولادى سوف أموت غدا عصرا . إننى لا أعلم الغيب فالله يقول « وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت » ولكن سمعت من يقول لى ذلك . . والله أعلم من الذى قال . . وسوف يمشى فى جنازتى فلان .

فقالوا له : إن فلانا هذا فى الخرطوم . . ويستحيل أن يجىء غدا عصرا .

قال الحاج ميرغنى : سمعت من يقول فى أذنى ذلك . . ولن يمشى فى جنازتى فلان لأنه قد سقط من فوق السلالم .

– وفى اليوم التالى توفى الحاج ميرغنى . . وسار فى جنازته الرجل الذى كان فى الخرطوم . فلم يكن يعرف أولاده أن هذا الرجل قد جاء إلى القاهرة قبل ذلك بثلاثة أيام . . أما الرجل الذى توقع ألا يمشى فى جنازته فقد سقط من السلالم فى نفس اللحظة التى جمعهم فيها الحاج ميرغنى .

يقول الساحر الإنجليزى كراولى تعليقاً على شخصية الحاج ميرغنى : جلست إليه فى القاهرة مرتين . ولم يدر بيننا كلام كثير . ولكننى عرفت قدرات الرجل . وعرف هو قدراتى ولم نسترح لهذا اللقاء . . فنحن مختلفان تماماً . . هو رجل صلاة وورع وتقوى . . وأنا رجل أرى أن الجنس والحب كالنار بالنسبة للمعادن . . لابد

أن تدخل المعادن النار لتصبح أصفى وأقوى . . وأرى أن الجنس حالة نفسية يذوب فيها الإنسان ويصبح أكثر صفاء . . وأن ديانتى هى نفس الديانة الفرعونية القديمة . . هى نفس الديانة الإغريقية التى تؤمن بأن الإنسان لن يحقق الراحة التامة والصفاء المطلق إلا بأن يذوب فى الآخرين . . إلا بالجنس .

ولذلك فإن الساحر كراولى هذا قد استحق لعنة رجال الدين فى كل مكان . ولكنه ظل يدعو إلى هذه العقيدة الشريرة . وكان له أتباع كثيرون .

والساحر الإنجليزى كراولى كان شاعراً يباهى الناس بأنه ولد فى نفس البلدة التى ولد فيها الشاعر العظيم شكسبير . . ويقول كراولى : ما الذى يحدث فى الحب ؟ كيف يستطيع أن يجعل فتاة تحبه . . خصوصاً إذا كانت هذه الفتاة صعبة . .

جميلة غنية وليست فى حاجـــة إلى حب لأنها غارقة فى حب رجـــل آخر . . ماذا يحدث ؟ وكيف يستطيع واحد أن يقنعها بأن تحبه ، رغم أنها فى حالة حب رجل آخر . . كيف يجعلها تحبه وهو ليس الرجل النموذجى . . ولا الصورة التى تحلم بها . . ولا كان فى تقديرها أن تحبه . . وكيف أنها تحبه ، وفى نفس الوقت ليست مقتنعة به . . وعندما تسأل صديقاتها عنه . . يقلن لها : إنه قصير . . إنه بكرش . . إن صوته قبيح . . إنه بخيل . . ومع ذلك فإن هذه الفتاة تحبه . . وتموت فيه ؟

يقول كراولى تفسيراً لذلك : السبب بسيط جدا . أن هذا الرجل قد استدعى احتياطى قواه الخفيه . . وركزها عليها . وظل ينقل فكره إليها . . وهى تقاومه . . ولكنه ماض فى التركيز عليها . . وليس هذا شريرا . وإنما الحب كله هكذا . . استعداد بين طرفين لأن ينقل كل منهما أفكاره إلى الآخر . . وعندما تتم عملية النقل المتبادل ، أى تبادل القوى ، يتحقق الحب . . فالحب : إرادة اثنين معاً فى أن يكونا شخصاً واحدا . أما الأسلوب الذى اتبعه الاثنان معاً فهو : الضغط . . الفكرى . . كل منهما على الآخر .

ويذهب الساحر كراولى إلى أبعد من ذلك فى الكلام عن الحب والجنس والعبادة ويرى أنها جميعاً تعتمد على شىء واحد : أن يذوب واحد فى واحد . أن يذوب فكر فى فكر أو جسم فى جسم أو إنسان فى الله .

هذا الساحر الإنجليزى كراولى قد توفى سنة ١٩٤٧ . وهو أيضا يعتمد على أوراق البردى الفرعونية . ويرى أن الفراعنة كانوا أعظم السحرة فى كل العصور . أما الإله الذى اختاره كراولى فهو حورس . وكان يضع اسمه ورمزه على كل الجدران .

وعندما جاء إلى القاهرة عثر على لوحة اسمها « لوحة الرؤيا » وهذه اللوحة ترجع إلى أربعة آلاف سنة . ويقول إن صاحبها اسمه : عنخ – خنسو . وإن هذه اللوحة مكتوب عليها : إن سر الكون إنما يوجد وبكثرة تحت جلدك . . فلا تبحث عنه بعيدا عن نفسك .

وعندما جاء كراولى إلى القاهرة التقى بعدد من رجال الدين المسلمين والمسيحيين وعرض أسلوبه عليهم فى استخدام قواه فى تحريك الأشياء واستدعاء الأرواح والأشباح وشفاء الجروح . . ووجد أن عدداً كبيراً من رجال الدين لديهم مثل هذه القدرة ولكنهم يخجلون من التحدث عنها . . إما تواضعا أو خوفاً من أن يتهمهم أحد بالتحريف .

الساحر كراولى

- واحد اسمه الشيخ عبد الله المنياوى . كان يسكن حى الأزهر . وكانت له غرفة فوق السطوح . وكان مفتاحها فى جيبه . ولم يلاحظ الناس أن أحدا زاره فى أى وقت . ومع ذلك فغرفته دائما وملابسه مغسولة . وطعامه جاهز . ساخن معظم الوقت . . وقد زاره الساحر الانجليزى كراولى خمس مرات . .

وفى الطريق إلى غرفة الشيخ المنياوى سأل كراولى : هل تشرفنى بتناول الغداء معى .

قال كراولى : يسرنى ذلك .

قال الشيخ : يؤسفنى أننى لا أستطيع أن أقدم لك لحم الخنزير . . إلا إذا كنت مصرا على ذلك .

ووجدها كراولى فرصة ليتحدى الشيخ المنياوى وفى نفس الوقت ليعرف حدود قدرته .

ولكن كراولى لم يرد . فعاد الشيخ المنياوى يقول له : ويؤسفنى ألا أقدم لك خمرا فى غرفتى المتواضعة . . إلا إذا أصررت على ذلك ! .

ولم يشأ كراولى أن يرد .

وقبل أن يضع الشيخ المنياوى المفتاح فى باب غرفته فاجأه كراولى قائلا : فعلا أريد أن آكل لحم الخنزير وأريد بعض النبيد الفرنسى .

وضحك الشيخ المنياوى وفتح الغرفة . ووجد كراولى لحم الخنزير وزجاجة النبيذ الفرنسية ! .

وانتهز كراولى هذه الفرصة ليبين للشيخ المنياوى أنه أيضا ساحر من نوع آخر . فخلع كراولى أكثر ملابسه وراح يردد كلمات فرعونية والشيخ يستعيذ بالله وقد أحنى رأسه . . وبعد دقائق من الصلوت الغريبة والصرخات المكتومة . . رفع الشيخ رأسه فلم يجد الطعام ! .

وهذا الرجل كراولى كان يدعى لنفسه أشياء كثيرة . وكان شخصاً كريهاً . وله صوت مزعج قبيح . وكان عصبى المزاج يهتز لأى شىء ، كأنه ورقة على شجرة فى مهب الريح دائماً . .

وقد أنشأ جميعة إسمها جمعية « الفجر الذهبى » وقد اختلف مع جميع أعضائها . وترك انجلترا . وسافر إلى فرنسا وإلى مصر وإلى الهند وتزوج عدداً كثيراً من النساء . . ثلاث منهن انتحرن . وثلاث أخريات أصبن بالجنون ... ومات جميع أطفاله من جميع زوجاته . . وكانت زوجاته أجمل نساء انجلترا وفرنسا وإيطاليا والهند . . أما زوجته المصرية . فقد التقى بها عند أهرام الجيزة . كانت فتاة فى العشرين من عمرها . لا تعرف الإنجليزية . ولكنه كان يعرف اللغة العربية . سألها : هل هذه هى أول مرة ترين فيها الأهرام .

قالت : نعم .

قال : وهذه أول مرة تتحدثين إلى شاعر انجليزى . .

قالت : نعم .

قال : هل لوقلت لك انك أجمل فتاة فى الدنيا . . وأن عينيك هما قطعتان من الماس . . وأن صدرك من المرمر . . وأن شعرك من الذهب . . وأن أسنانك من العاج . . وأن أصابعك من اللوز ، وأن شفتيك من الكريز ، هل أكون أول إنسان أحب من أول نظرة ويتمنى أن يتزوجك فوراً ليكون لك ثلاثة أولاد . . لهم أسماء إخوتك الثلاثة : محمد وأحمد وعلى . . وأن يكون محمد مهندساً وأحمد مدرساً وعلى طبيباً . .

وانهارت الفتاة ولما أفاقت وجدت نفسها فى بيتها . وقد التفت الأسرة كلها حول هذا الرجل الإنجليزى الساحر الكلام والعينين . . والذى دوخ الفتاة عندما عرف أسماء إخوتها وماذا يعملون بالضبط .

وسافرت الفتاة عائشة وراءه : إلى فرنسا وإلى الهند . . وماتت فى إيطاليا فى ظـــروف غامضة . . ثم إنه استخدمها « وسيطاً » وكانت على قـــدر عظيم من الشفافية !

واستطاع كراولى هذا أن يضـــع الأسس للتدريب النفسى — أى لجعل الإنسان مستعداً للتأثر بالآخرين والتأثير فيهم .

— فى كتبه العـــديدة شرح نظرية « الخيـــال بالتدريب »

أى أن الإنسان يستطيع أن يـــدرب خيالـــه . فيتخيل أنه يرى أشياء ليست موجـــودة . . ثم يقـــوم بإضافة الكثير إلى الصور أو الأشخاص الذين يتخيلهـــم وتدريب الخيال وتطـــويعـــه شرط أساسى لاستخراج القـــوى الخفية فى داخلك . .

وهناك نظـــرية أخرى هى : أن تحب ما تكره ، وأن تكـــره ما تحب . .

وهذه النظـــرية تدعو إلى أن يقـــوم الإنسان بتطـــويع رغباته والسيطرة عليها . .

وعن طـــريق التطويع النفسى لأى شىء وكل شىء ، يصبح الإنسان سهلا : أى يمكن التأثير فيه . . وفى نفس الوقت يصبح قادراً على التأثير فى الآخرين . .

وكما حدث كثيراً قبل ذلك لابد أن تكون نهاية الساحـــر سوداء .

لمـــاذا ؟ لأن الساحـــر يصطـــدم عادة بالناس أو بالقانون . أى بإيذاء الناس . وهنا يستعديهم عليه . ويضعونه فى السجن . أو يطـــاردونه .

ولكن كراولى قد اختار لنفسه نهاية سيئة ، رغم حرصه الشديد على أن يظل ساحراً باهـــراً حتى النهاية . . فقد لاحظ كراولى ، أنه مع تقـــدم السن بدأ يستعير البلادة والخمـــول . . بدأ يحرك مشاعره فلا تتحـــرك . . تماماً كما يتمرد الخـــدم على صاحب البيت . . يناديهم فلا يردون ، أو تماماً كما ترفع سماعة التليفـــون وتدير القـــرص ولكن أحداً لا يرد . . إما لأن التليفـــون ضعيف الحـــرارة . وإما لأنه عاجـــز عن تجميع الأرقـــام . . أو لأن أصحاب هـــذه الأرقـــام ليسوا فى بيوتهم .

والنتيجة أن أحداً لا يرد ولذلك لجأ كراولى إلى تعاطى الهيروين والكوكايين بقصد تنشيط حواسه . . وأدمن هذه المخـــدرات . وقدمهـــا للناس أيضاً .

لقد أرهق نفسه حتى احترق . . أى حتى سقط من شدة التعب . . وانهار من كثرة الإرهاق . . وتكوم كمجمـــوعة من الأسلاك الرفيعـــة والمسامير ، كانت فى يوم من الأيام جهـــازاً شديد الحساسية . .

– وسوف يظهـــر رجال كثيرون فى كل بلـــد ، وعندهم هذه القدرات الغـــريبة العجيبة . وظهـــورهم يؤكد أن هناك قدرات هائلة عند بعض الناس .

وهذا يدعـــونا إلى التفكير وإلى التساؤل من جديد : كيف يحدث ذلك ؟

والجواب يكون دائماً : أنه يحدث .

والسؤال دائماً : كيف ؟

والجواب : لا نعرف . ولكنه يحدث !

هذا الرجل ـ مثل رجال آخرين ..
لا يعرف من أين تنبع هذه القدرات الهائلة على قراءة أفكار الناس ، وعلى شفاء أمراض الناس .. إنه لم يكن قديسا وإنما كان شريرا ذكيا .. وقد اختلف عليه رجال الدين والسياسة وعلم النفس .. ولكنهم اتفقوا على أنه ظاهرة غريبة عجيبة ولم يكن فريداً في هذا العالم ، فأمثاله كثيرون بين الناس !

ـ ابن بطوطة الرحالة المغربى توفى منذ ستة قرون تماماً . وفى طريقه إلى الشرق الأقصى توقف فى مصر . وزار الكثير من بلادها . وكعادته يسجل كل ما يراه ولكنه لا يفسره وإنما يترك ذلك للاجيال القادمة . . فعندما كان فى أخميم بالصعيد قال له أحد الناس الصالحين :

يا شيخ لا تحاول فإنك لن تحج هذا العام .

واندهش ابن بطوطة وحاول أن يحج ذلك العام فلم يستطع .

ويروى أنه فى مدينة دمياط سمع قصة رجل طيب اسمه الشيخ جمال الدين الساوى . كان هذا الرجل جميلا . وقد تعلقت به النساء . ولكن واحدة منهن كانت أشجع من الجميع . طلبت منه أن يقرأ لها خطاباً . فوافق الشيخ . ثم طلبت منه أن يذهب إلى بيتها وأن يقرأ الخطاب فى داخل البيت حتى تسمعه سيدة ثقيلة السمع . وذهب الشيخ جمال الدين . وأغلقت السيدة الأبواب . وهجمت عليه الخادمات وأمسكنه بالقوة . وطلبت إليه أن يدخل فى فراشها . فوافق ثم سألها : وأين دورة المياه ؟

فأشارت إلى دورة المياه . ودخل الشيخ وأخرج موسى وحلق شعره وشاربه ولحيته وحاجبيه . . ولما رأته السيدة فزعت وطردته من البيت !

وفى أحد الأيام ذهب الشيخ جمال الدين إلى المقابر فقابله أحد رجال الدين وسأله : هل أنت الشيخ . .

قال : أنا هو . .

وسأله : هل أنت الرجـل الذى حلـق . .

قال : أنا الذى حلـق رأسه ولحيته وشاربه وحاجبيـه . . فمن أنت ؟

فأجـاب : أنا أحـد المعجبين بكذبك وخداعك للنساء . .

فصرخ الشيخ جمـال الدين ورفع يـده إلى الهواء . . فعاد شعر رأسه ولحيته وشاربه وحاجبيه . . ثم صرخ مرة أخرى فتغير لون الشعر من أسود إلى أبيض . . ثم صرخ مرة ثالثة فاختفى الشعر كلـه وعاد الشيخ جمـال الدين الساوى حليقاً تماماً . . وأقبل الناس على الشيخ جمـال الدين يقبلـون يـديه . . وأصبحت له طريقة . . أى مذهب دينى . . وأتباعه يحلقـون شعورهم مثلـه . . تماماً !

ـ هذه القصـة رواها مؤرخ قديم اسمه أبو عبد الله بن عبد الرحمـن الشنوانى يقـول فى كتابه الذى اسمه « يرحمهم الله ، عصمهم الله » يقـول : وكان الشيخ جمـال الدين الساوى جميل الصورة . وكانت النساء يمشين وراءه . ولكنه كان يضربهن بالطوب ويضربهن بالعصا . ويرفـع يديـه إلى السماء : فإذا النساء لا يرين الطريق . فيصرخن ويرفع يديه إلى السماء فيعـود إليهن البصر . . والفزع ويعدن إلى بيوتهن !

كيف كانت لهذا الرجل هذه القـدرة العجيبة ؟

إن رجلا آخـر فى روسيا كانت له هذه القـدرة . ولكن هذا الرجل كان أسطـورة ولا يزال . وكان شريراً . فلم يعف عن النساء . ولا النساء عنه . عاش رجل معجـزات ومات رجل خـرافات . ولكن من المؤكد أن لديه قدرة خارقـة على التأثير فى الآخـرين .

وفى يوم أول يناير سنة ١٩١٧ وكانت درجة الحرارة عشرين تحت الصفر . شاهد الناس تحت الجليد شيئا غريباً : قطعة من القماش الأسود . فقفز إلى الجليد أحد الشبان . . ومد يده إلى القماش الأسود يسحبه . . ثم امتدت يده فوجد حبلا .

وسحبه . . وظل يسحب الحبل والجليد يتكسر حتى وجد جثة كاملة لرجل ضخم . قتيل . أطلق عليه الرصاص ثم ألقى فى الماء . ويبدو أن هذا الرجل كان قوياً لدرجة أنه أفلح بعد أن أطلقوا عليه الرصاص وألقوا به فى الماء أن يحرر إحدى يديه ولكن تحت الجليد مات الرجل . . وكانت له ساق عارية فيها حذاء . أما الأخرى فقد كانت بغير حذاء .

وبسرعة عرف الناس أن القتيل هو الراهب الرهيب : راسبوتين ! .

كان راسبوتين يوم وفاته فى السابعة والأربعين من عمره . فلاح بسيط . لم يكن يتوقع له أحد أن يكون شيئا . . ولا حتى أن يكون راهباً . ولكنه ملىء بالحيوية وقد أمضى عمره كله يشرب الخمر . ويستطعم النساء . أو يشرب النساء ويستطعم الخمر . وكان يرى أن لذة الدنيا : هى أن يذوب الإنسان فى كأس من زجاج أو من لحم ودم .

وكان يقول أيضا : إن أعظم الفواكه تخرج من أكثر الأرض سواداً . وأعظم ملذات الحياة تخرج من أكثر العلاقات شرا ! ويوم جاءته سيدة تقول : فجأة أحببت رجلا ولا أعرف ماذا أصنع : إنه حمى أصابتنى . إنه صداع لا يفارق رأسى . إنه دم يجرى فى دمى . إنه قلب يدق فى قلبى إنه جنين فى أحشائى .

فقال لها راسبوتين : إن الذى تشكين منه هو العلاج . أنت لست مريضة يا سيدتى . إن هذه هى الصحة التى يحسدك عليها : أصحاب العضلات الذين لا يعرفون القلق والشوق والحنين والفناء فى معنى والتفانى فى أحد .

فقالت له : وكيف أراه وأرى زوجى معاً ؟ .

قال : إن الذى يحب لا يرى ولا يحس إلا الذى يحبه .

قالت : حاولت وتعذبت .

فقال : إن حبا بغير عذاب فاكهة بغير بذور . . طعام بغير نار .

قالت : حاولت .

قال : سيدتى . إن الذى تقولينه يجعلنى أركع تحت قدميك.. فأنت أستاذتى فى كيف يصر الإنسان على أن يحب وعلى أن يتعذب ولكن أهم من ذلك كله . أن يحب دائماً .

– ولكن راسبوتين لم يكن هكذا فيلسوفا دائماً . وإنما فى أحيان كثيرة كان يخطف النساء ويستولى عليهن بالعشرات . . هل هو الذى يذهب إليهن ؟ هل هن اللاتى يجئن إليه ؟ . إننا نجد دائما عشرات من النساء عند قدميه .

وهو فى الثانية عشرة من عمره استطاع أن يجعل فلاحاً يعترف بأنه سرق حصاناً وأخفاه . ولم يفعل راسبواتين أكثر من أن ينظر إلى عينى اللص ويقول له : أنت سرقت فيقول اللص : نعم .

– وأين أخفيت الحصان ؟

– فى الغابة .

– هل تأتى به الآن ؟ .

– نعم .

– ولا تسرق بعد ذلك ؟ .

– ولا أفعل شيئاً بعد اليوم .

وفوجىء أهل القرية بعد لحظات بالحصان قادماً من الغابة وقد تدلى منه جثمان اللص . . فقد انتحر عندما اقترب من القرية ! .

دخل راسبوتين الدير ، ثم هرب منه . وراح يتنقل بين القرى وعاد إلى الدير . وجعل من إحدى غرف بيته كنيسة . وأقبل الناس عليه فقد ظهرت له قدرات غريبة : كان يلمس المرضى فإذا المريض يشفى من مرضه . . وتزاحم عليه الناس

وتضايق منه رجال الدين فهرب من المدينة . . وراح يتنقل من بلد إلى بلد تسبقه شهرته فى علاج المرضى ! .

وفى السابعة والثلاثين من عمره وجد نفسه وراء عرش القيصرية الروسية . ووجد نفسه الحاكم المطلق الذى يشير على الأمبراطورة . . ماذا تأكل وماذا تشرب وماذا ترتدى . وكيف تبدو أمام الناس . . وكانت الأمبراطورة سعيدة بذلك . وهو أكثر سعادة فى يوم قالت الاميراطورة : لو أن زوجى عرف لون فستانى يوماً واحداً لركعت أمامه ألف مرة فى اليوم . . ولكنه لا يرانى إلا عارية . . . لايكلمنى . لا يسألنى . إننى فراش ملقى فوق الفراش . . أما أنت . .فترانى وتسمعنى وتلمسنى وتزلزلنى من داخلى . . وأنا . . سعيدة بذلك .

أما كيف دخل راسبوتين فى حياة القيصر والقيصرة . فهذه هى بداية النهاية للجميع . فقد رزق القيصر بطفل . ولكن هذا الطفل كان مصاباً بنوع من النزيف الوعائى « قدمه تنزف ولا تجف » واستدعت الأمبراطورة ذلك الراهب الشهير راسبوتين . دون أن يرى الطفل قال للأمبراطورة : ليس خطيراً هذا المرض . اطمئنى ! .

وذهب راسبوتين إلى الطفل فقد سقط وهو يلعب . ولمسه راسبوتين . فتوقف الدم .

وفى المرة الثالثة سقط الطفل وهو يلعب وسالت دماؤه . ولكن راسبوتين كان بعيداً عن العاصمة . فأرسلت إليه الأمبراطورة برقية لتستعجل عودته . وأرسل إليها برقية يقول فيها : ليس خطيراً هذه المرة . ضعى هذه البرقية تحت رأسه ! .

ووضعت البرقية تحت رأس الطفل ، وجفت الدماء ! .

وكان من الطبيعى أن يزداد عدد الحاقدين عليه . وأن يتآمروا . فقد سلبهم الرجل كل شىء . فلم تعد الأمبراطورة ترى أحدا سواه . ولا تسمع لأحد غيره . واستطاعت الأمبراطورة أن تقنع الأمبراطور بأن هذا هو الرجل الذى يحمى الجميع .

وتشاء الصدف الغريبة أن ينطلق الرصاص على راسبوتين فى نفس اللحظة التى انطلق فيها الرصاص على الأمير النمساوى فرانتس فردناند فى سيراجيفو الذى كان موته سبباً فى قيام الحرب العالمية الأولى — أحد الأسباب طبعاً — فى نفس اللحظة مات راسبوتين . وكانت المؤامرة على حياة راسبوتين قد أحكمت تماماً فى نهاية سنة ١٩١٦ . فقد استدرجوه إلى أحد مخازن الخمور . وهناك ضربوه بالحديد . ثم أطلقوا عليه الرصاص فى ظهره . ثم ألقوا به فى نهر نيفا . وعندما أخرجوا جثته ، وجدوا فى جيبه خطاباً موجها إلى القيصر يقول فيه : إننى أتوقع أن أموت فى نهاية هذا العام فإن كان الذى قتلنى هم جماعة من الفلاحين ، فسوف يعيش عرشك بضع سنوات . . أما إذا كان القتلة من النبلاء فلا عرش لك أو لأولادك من بعدك ! .

— وكما توقع راسبوتين : فقد أعدم القيصر وجميع أفراد أسرته فى يوليو سنة ١٩١٨ ! .

وهذه ليست إلا واحدة من مئات النبوءات التى ملأت كتب التاريخ عن راسبوتين .

ولم تهتم كتب التاريخ إلا بتلك النبوءات العاطفية لهذا الرجل العجيب .

مثلا سألته إحدى الأميرات : وهل تتوقع لزواجنا أن ينجح ؟ .

قال : لابد أن يفشل .

— لماذا ؟ .

— لأنكما لا تحبان نفس الشىء

— بل أنا أحب زوجي وهو يحبنى .

— صحيح . ولكن الذى يحبه فيك ومنك ليس هو الذى تحبينه منه وفيه . . إنه يحب جمالك . ولكنك تفضلين أن يحب حبك له . . أن يحب حنانك عليه . . وأنت تحبين طيبة قلبه . . وهو كان يفضل أن تحبي رجولته . .حيويته . . قوته . فكلاكما غير راض

وتشاء الصدف الغريبة أن ينطلق الرصاص على راسبوتين فى نفس اللحظة التى انطلق فيها الرصاص على الأمير النمساوى فرانتس فردناند فى سيراجيفو الذى كان موته سبباً فى قيام الحرب العالمية الأولى – أحد الأسباب طبعاً – فى نفس اللحظة مات راسبوتين . وكانت المؤامرة على حياة راسبوتين قد أحكمت تماماً فى نهاية سنة ١٩١٦ . فقد استدرجوه إلى أحد مخازن الخمور . وهناك ضربوه بالحديد . ثم أطلقوا عليه الرصاص فى ظهره . ثم ألقوا به فى نهر نيفا . وعندما أخرجوا جثته ، وجدوا فى جيبه خطاباً موجها إلى القيصر يقول فيه : إننى أتوقع أن أموت فى نهاية هذا العام فإن كان الذى قتلنى هم جماعة من الفلاحين ، فسوف يعيش عرشك بضع سنوات . . أما إذا كان القتلة من النبلاء فلا عرش لك أو لأولادك من بعدك ! .

– وكما توقع راسبوتين : فقد أعدم القيصر وجميع أفراد أسرته فى يوليو سنة ١٩١٨ ! .

وهذه ليست إلا واحدة من مئات النبوءات التى ملأت كتب التاريخ عن راسبوتين .

ولم تهتم كتب التاريخ إلا بتلك النبوءات العاطفية لهذا الرجل العجيب .

مثلا سألته إحدى الأميرات : وهل تتوقع لزواجنا أن ينجح ؟ .

قال : لابد أن يفشل .

– لماذا ؟ .

– لأنكما لا تحبان نفس الشىء

– بل أنا أحب زوجى وهو يحبنى .

– صحيح . ولكن الذى يحبه فيك ومنك ليس هو الذى تحبينه منه وفيه . . إنه يحب جمالك . ولكنك تفضلين أن يحب حبك له . . أن يحب حنانك عليه . . وأنت تحبين طيبة قلبه . . وهو كان يفضل أن تحبى رجولته . .حيويته . . قوته . فكلاكما غير راض

- والحل .

- لا حل . . سوف تستمر هذه العلاقة طويلا . . كما استمرت ملايين العلاقات فى هذه الدنيا . . واستمرار علاقة لا يدل على نجاحها .

ذكرت هذه الواقعة الأديبة الفرنسية سيمون دى بوفوار كدليل على قدرة هذا الرجل فقالت : إن الراهب الرهيب نسى أنه فى العلاقات العاطفية العنيفة لا علاج فالمرض هو الشفاء . والداء هو الدواء . وهذا هو الشرط الوحيد فى دنيا العواطف ! .

وتقول سيمون دى بوفوار : وكما أن الشاعر الإيطالى دانتى قد وجد على باب جهنم كل أمل فى النجاة ، فكذلك الداخلون فى عالم الحب : لا أمل فى الشفاء ! .

ولكن راسبوتين لم يتسع وقته كثيراً لكى يفكر فى الداء والدواء . فى المرض والشفاء . . وإنما فقط كان يشير إلى النساء فيسقطن على الأرض . ويشير مرة أخرى فينهضن من الأرض .

وكان يقول لامرأة فى الطريق : عودى إليه . . إنه فى انتظارك .

وتعود السيدة فتجد زوجها الذى هجرها وهرب من شهور . دون أن يعرف السيدة .

وكان يرى فى الكنيسة عروسين فى أول يوم زفاف لهما فيقول : توأمان . . ولدان . . مبروك ! .

وتلد المرأة بعد ذلك توأمين ! .

أو يقول لواحدة : حزينة . . ممزقة . . دموعك على خدك . . لا أنت أول من أرغمه القلب . . ولا أنت آخر من هزمها الحب . . هذا قدرك . . كما يولد إنسان بست أصابع . . أو يولد طويلا أو يولد قصيراً . . أو يولد أبيض أو يولد

أسود . . أو يولد مريضا أو يولد سليما . . كذلك يولد عاشقاً أو يولد شاعراً . . أو يولد بليدا أو يولد حساساً مرهفا . . هذا قدرك . . فلا تفكرى فى الانتحار . عيشى . . عيشى ! .

وفى إحدى المرات شاهد فرحا وكانت الفتيات يرقصن وتعرت ساق إحدى الفتيات ونهض واقفاً : خسارة فادحة . .

فلما سألوه همس فى أذن إحدى السيدات قائلا : أن يقطعوا هذا الساق الجميلة !

ولم يمض شهر حتى اضطر الأطباء إلى قطع ساق الفتاة الجميلة ! .

وغير ذلك كثير جدا .

أما رجال السياسة فقد كان لهم رأى آخر فى راسبوتين . فقد اتهموه بالرجعية واتهموه بأنه هو الذى أطال عمر القيصرية . وأن الأسرة المالكة قد استخدمته لكى يشغل الناس عن الجوع والخراب فى روسيا ، التى ثارت بعد ذلك .

– ولكن يبقى أمامنا : أن هذا الرجل كانت لديه هذه القدرة الغريبة على أن يرى أبعد ، ويسمع أعمق ، ويلمس موطن الداء ، وأن يجذب الناس حوله ، ويسيطر عليهم وعليهن .

ولكن راسبوتين هذا لم يفكر فى حقيقة الذى كان يحدث . لم يشرح لأحد أو حتى لنفسه ، معنى هذه القدرة الخفية . أو دلالتها أو كيف يستطيع شفاء الناس .

ولكن رجلا آخر يونانى الأصل عاش فى روسيا كان أقدر على الفهم والشرح وكان أعمق أثراً . . هذا الرجل هو : جورجيف ! والفرق بين الرجلين : كالفرق بين امرأة جميلة وأستاذ فى علم الجمال . . أو بين زهرة وأستاذ فى علم الزهور . . الأولى تلفت العين وتبهج القلب والثانى يشرح لنا : معنى الجمال وطعم الجمال .

هذا الرجل جورجيف ولد فى أرمنيا سنة ١٨٧٣ . وقد تأثر فى طفولته برجل ساحر فى قريته . وبهره الرجل وبهره السحر . ووجد نفسه مأخوذاً بهذا الذى رآه . ونذر نفسه لهذا الفن العجيب .

وامتلأت نفسه بالقلق . والقلق شيء نبيل عند المحبين والفنانين . إنه مثل بندول الساعة : يتحرك يميناً وشمالا . . ورغم أن هذا البندول لا يتقدم ، فإن العقارب وحدها هي التي تتقدم وهي التي تغير الزمن .

وظل هذا الرجل جورجيف سائحاً في البلاد عشرين عاماً . . كأنه يبحث عن شيء لايجده . وهو في الحقيقة كان يبحث عن شيء في داخلة . ثم وجده .

— فما الذي وجده ؟ .

اسمع جورجيف وهو يقول : أنت حي وأنا أيضا . ولكن ما معنى ذلك ؟ معناه أننا نتحرك في مجال ضيق . ومعناه أننا نستخدم عقولنا استخداما تافها محدوداً ومعناه أننا نشغل قلوبنا في أمور تافهة . . تماماً كالذي يجلس على شاطيء النهر ثم يشرب في معلقة أطفال . . أو كالذي ينام في الهواء الطلق ثم يغطي أنفه بورقة ويجعل الهواء ينفذ من ثقب ضيق . . فما معنى هذا ؟ معناه أننا نعيش كأننا مرضى . . كأننا نيام . . فكيف نقضي حياتنا كلها وكأننا نيام ؟ . لماذا لا نعب الماء ولماذا لا نفتح صدورنا للهواء . . ولماذا لا نحطم قشرة الوعي . . ولماذا لا ننسف الغطاء الكثيف على القلب ؟ .

ويجيب هو عن هذه الأسئلة فيقول : يجب أن نلقي بأنفسنا في النهر . . يجب أن نفتح صدورنا للهواء . . يجب أن نعرض عقولنا للعلم . . يجب أن نسلم قلوبنا للحب .

وقبل أن نمشي وراء جورجيف في إجابته عن هذه التساؤلات يجب أن أنبهك إلى النظر إلى حياتك أنت في أي يوم . امسك قلما وورقة واكتب بالضبط ما الذي فعلته أمس . فسوف تجد أن حركتك محدودة . والأفكار التي خطرت لك قليلة والانفعالات التي هزتك تافهة . تماماً كالذي أحرق بيتاً كاملا ليشعل من هذه النيران سيجارته ! كل هذه النيران من أجل سيجارة . . كل هذه الحيوية كل هذه القوة من أجل أن تنزل من بيتك لتمشي في شارع لا ترى معالمه . ثم تركب الأتوبيس واحداً ضمن مائة وتلقي بنفسك إلى الشارع واحداً ضمن ألف ، ثم

تذهب إلى مكتبك واحداً ضمن عشرة مللت وجوههم وأصواتهم والحياة معهم . ثم تمضى نهارك فى نفس الملل ، لتعود إلى بيتك أسوأ مما نزلت . . وتسقط ورقة من النتيجة التى أمامك بما يدل على أن يوما من عمرك قد انتهى . . وسوف تمضى بقية الأيام . . تماماً كالذى يضع فى جيبه ألف جنيه . . ثم ينزل ليشترى علبة كبريت . . إنه ليس فى حاجة إلى كل هذا المبلغ . ولكنه فى نفس الوقت لم يستفد من كل هذا المبلغ .

وحياتك الحقيقية هكذا : هناك كنز تحت جلدك . هناك ينابيع . مناجم . . ولكن الذى تستخدمه منها هو هذا الشىء التافه البليد الكسول .

ولكن يكفى أن تتذكر أنه حدثت لك مواقف صعبة أو مشاكل معقدة . ثم استطعت أن تتغلب عليها ببراعة . . ومن الطبيعى أن يقول الواحد منا لنفسه بعد ذلك : لم أكن أتصور أننى أملك هذه المقدرة . . أو هذه الطاقة أو هذا الذكاء .

— وهذه العبارة صحيحة لأن الإنسان لا يدرى مقدرته هذه ، إلا فى المواقف الصعبة . عندما يشعر أنه كل مهدد . وأنه فى حاجة إلى استدعاء قواته الإحتياطية التى ذهبت إلى نجدته . . إلى إنقاذه إلى تأكيد قدرته .

وقد أنشأ جورجيف معهدا فى باريس . هدف هذا المعهد هو تنسيق القوى الداخلية أو الإنسجام المعنوى للإنسان . أما هذا التنسيق فهو أن يتدرب الناس على ذلك طويلا . . فيجلس الواحد هادئاً . ويغمض عينيه ويصمت ويركز انتباهه إلى أعماقه . إلى أى معنى . أى شىء . . أية صورة .

ويقول جورجيف : لا تزال حالات الحب هى اسمى هذه الحالات جميعا . اسأل المحبين كيف يزكز الواحد منهم تفكيره فى الآخر . . وكيف أن معظمهم يستطيع أن يعرف بالضبط ما الذى يفعله الآخر . . أو فى نيته أن يفعل . . وكيف أن واحدة من تلميذاته كانت تقف أمام فساتينها وتمد يدها إلى الواحد بعد الآخر . . وفجأة تعود فتختار واحداً بالذات وتقول : هذا بالضبط ما يريد . . إنه يحب أن

يرانى فيه . . ويكره أن أغير هذا الفستان الأحمر . . ثم إنها التقت بحبيبها وسألته وقد ارتدت فستاناً آخر : هل تحب هذا فيقول : بل كنت أفضل الفستان الأحمر ؟ وأحب أن أراك دائما فيه . . لأننى أتخيلك دائما هكذا . . وأراك فى نومى هكذا .

ويقول جورجيف : هذا بالضبط هو الطريق إلى تحريك القوى الكامنة فى الإنسان : عن طريق التركيز والاستمرار والتعود على ذلك . . وأهم من ذلك كله عن طريق الصدق .

ويقول : لو عرف الناس ما الذى استطاع أن يحققه الحب للبشرية لجعلوه طعامهم وشرابهم وكساءهم ودينهم . . إن الذى تهدمه الكراهية ، يبنيه الحب . . إن الذى تهدمه المصانع ، تشيده المعابد . . إن الذى يفسده الفلاسفة يصلحه الشعراء .

– أحد تلامذة جورجيف هذا كان فيلسوفاً أديباً ولذلك كان أقدر على التعبير واسمه بيتر أوسبنسكى . وقد روى كيف كان أستاذه قادراً على أن يعرف بالضبط ما الذى يجرى فى داخل التلميذ . وكان التلميذ يقول كنت أسمع صوته فى أعماقى . فى صدرى يقول لى : لا تفعل ذلك . . أو افعل ذلك . . ولا أعرف كيف كنت أحس به يملأ كيانى .

وكان تلامذة جورجيف هذا يتبارون فى قراءة الأفكار عن بعد . . أو فى قراءة الخطابات الموجودة فى جيوب الزوار أو بعضهم البعض بمجرد أن يلمسوها من الخارج ! .

ولما توفى جورجيف فى باريس ١٩٤٩ ، لم يترك وراءه ورقة مكتوبة . وإنما ترك لتلامذته أن يكتبوا ماذا قال لهم ، وماذا فعل بهم وبغيرهم من الناس .

وكان أوسبنسكى هـــذا من أعظم تلامذته . وأقدرهم على الكتابة الجميلة . وهو يروى قصته عندما بلغ الأربعين من عمره . يقول : فجأة هبت عاصفة . وفجأة أضاءت الدنيا . وفى مهب العاصفة وقعت كأننى شجرة . ولم أسقط . وفى الضوء الباهر اكتشفت أن شيئاً قد ضرب قلبى فانفتح . ورأيت الفتاة التى أحببتها حتى

الموت واتخذت قراراً عنيفا أننى أنا الذى أحببتها وأنه قدرى . وأننى لن أبوح بهذا الحب ولكنى أدين لها بكل القصائد التى كتبتها وطلبت أن تنشرها بعد وفاتى . لا خوفا عليها . فلا خوف عليها . ولا تشويها لسمعتها . ولكن إمعانا فى تعذيبى لنفسى . . فعلى ضوء النار فى أحشائى كتبت . وعلى وهج الوجدان فى قلبى سجلت اعترافاتى ! .

ولما جاء القسيس على فراش الموت . طلب إليه أن يعترف . فسأله إن كان الإعتراف ضرورياً . وهز القسيس رأسه بأنه ضرورى . فقال للقسيس أحببت . فسأله القسيس : من ؟ قال : ف . . ف . . فلافة ! .

ولم يعرف أوسبنسكى هذا أن فلانة هذه قد ماتت على فراشها فى نفس هذه اللحظة . . مع أنه لم تكن بينهما صلة .

والحب عادى فى حياة الناس . ولكن الذى ليس عادياً فى هذه القضية أن أوسبنسكى هذا كان يستطيع أن يروى ما الذى فعلته محبوبته فى أى يوم منذ تنهض من النوم وهى تلقى نظرة على زوجها الممدد إلى جوارها غارقاً فى النوم ، وغارقاً فى عدم الشعور بها حتى تعود إلى الفراش فى الليل لتغرق مرة أخرى فى بخار كثيف من السجائر والخمر .

وقد روت لنا ذلك المرأة الوحيدة التى باح لها بكل شىء : زوجته !

— إحدى تلميذاته واسمها ديون فورشن كانت لديها قدرة عجيبة على أن ترى « هالات » النور حول النباتات . . وترى قطرات الدم تنزف من أوراق الشجر عندما نمزقها — وسوف أعرض لذلك بالتفصيل فيما بعد . وسوف أشرح أحدث النظريات العالمية المعاصرة التى تؤكد أن للنباتات إحساساً وشعوراً ولغة !

وكانت لديها قدرة غريبة على الإحساس بالأماكن . فإذا دخلت غرفة تقول : كان هنا قبل حضورى أربعة أشخاص رجلان وسيدتان . . ثلاثة

منهم يدخنـــون . . والرابع مريض بالقلب !

أو تقـــول : على هذا السرير نام ثلاثة فى الليلـــة الماضية . . وتشاجروا جميعاً . . ويسألونها : وكيف ؟

تقـــول : إنهم ثلاثة من الأخوة لم يروا بعضهم البعض منذ وقت طويل . . ناموا متجاورين أول الليل . . وفى آخـــر الليل تركوا الغـــرفة ونامـــوا خارج البيت !

ويكون ذلك صحيحـــاً !

وفى آخر أيامها انهارت : وهى على فراشها تقـــول : أنا مثل بطارية استخدمت حتى استهلكت فخمدت تماماً فى فترة قصيرة !

ومن الحوادث العجيبة فى حياتها أنها اختلفت مع زميلـــة لها فى معهـــد جورجيف . . فدارت بينهما معركة غريبـــة . .

لاحظت ديون فورشن هذه أن عدداً كبيراً من القطط يتجمع دائماً عند باب بيتها . لدرجة أنها لم تستطع أن تخرج من البيت لأى سبب . وعندما كانت تحاول أن تخـــرج من النافذة تنتقـــل القطط فى انتظارها . وعندما حاولت أن تمشى من سطح بيتها إلى بيت آخر كانت القطط فى انتظارها . . أما كيف حدث ذلك ، فهـــو أن زميلة أخرى قد تسلطت على القطط ودفعتها إلى التربص والهجـــوم كلما انفتح باب أو شباك . .

فما كان من ديون فورشن هذه إلا أن عكفت فى بيتها على التركيز والتفكير والتأمل حتى تسلطت هى الأخـــرى على القطط النائمة على الباب وعند النوافـــذ ودفعتها إلى السيدة الأخـــرى . . ولم تشهد ديون فورشن هذه ما أصاب زميلتها . .

ولكن حدث فى يومين متتالين أن نشرت الصحف وفاة الزميلتين فى معهـــد جورجيف . والحقيقة أنهما توفيتا فى ساعة واحـــدة وفى يـــوم واحد . . واختفت القطط !

ويروى عن المؤرخ العظيم ابن خلدون أنه قال : هناك بعض الناس لا يقربهم الذباب . .

ومن الملاحظات العجيبة أن نجد خمسة من الناس يأكلون . ويقترب الذباب من كل الأطباق إلا طبقاً واحداً . . ويقال : « أن بعض الناس عنده هذه القدرة « الشخصية » على طرد الحشرات عنه . . دون أن يبذل مجهوداً فى ذلك . .

وقال ابن خلدون أيضاً : وكنت فى طفولتى أحب الكلاب . . وأنفق عليها طعامى ومالى . . وكنت إذا ذهبت إلى أحد البيوت فإن الكلاب تترك كل من فى البيت ثم ترقد عند قدمى .

ويتعجب الناس ولكنى أعلم ذلك وأعلم أن الكلاب تحبنى . أو أن حبى لهـذه الكلاب هو الذى يجعلها تتجه ناحيتى . ولكن كيف تشعر هذه الكلاب بأننى أحبها ؟ وكيف ينتقـل شعورى هذا إليها !

– أما المعنى الذى توقف عنده ابن خلـدون فهو أن : هناك بعض الناس لديهم هذه القـدرة الصغيرة أو الهائلة على التأثير فى الحيوانات فتقبل عليهم ، أو تتربص بهم . .

والذى لم يعـرفه ابن خلـدون أن لبعض الناس هذه القـدرة الهائلة فى التأثير على النباتات والزهور . وأنه أمكن تسجيل ذلك علميا – كما سوف نرى .

كيف يستطيع إنسان بعصا خشبية أن يعرف الماء والبترول والمعادن تحت الأرض بعشرات الأمتار !!

– إذا جلست إلى توفيق الحكيم أو يوسف وهبي فسوف تسمع قصصاً أعجب من هذا الذى رويت . وكل واحد منهما له تجارب شخصية مع أناس لديهم قدرات خفية . .

وآخر ما سمعت . . ما رواه فنان الإسكندرية الكبير سيف وانلى . فقد أملى عليه جده عرفان باشا تاريخ مصر . . وكان سيف وانلى يكتب تاريخ مصر مستخدماً الفنجان الذى يتحرك ويتوقف عند الحروف المكتوبة على إحدى المناضد . وقد قرأت أنا صفحات من تاريخ مصر التى أملاها عرفان باشا الذى توفى من وقت طويل . .

أغرب من ذلك أن الفنان سيف وانلى قد اكتشف أخيراً أنه ولد فى نفس اليوم والشهر اللذين ولد فيهما الفنان الهولندى الكبير رمبرانت – بفارق ثلاثة قرون . وأنه يشعر كثيراً عندما يرسم أن الذى يحرك يده هى روح الفنان رمبرانت . .

وأعجب من ذلك أن سيف وانلى عندما ينظر إلى اللوحة البيضاء أمامه ، فإنه لا يراها بيضاء . . وإنما يراها نصف مرسومة . . ثم يحرك الفرشاة يكمل اللوحة . . إن أحداً من الواقفين معه أو حوله.لا يرون ولا يحسون بما يحس . . ولكنه وحده الذى يتجه بقوة خفية فى داخله إلى تحقيق ما يدور فى « عقل » رمبرانت !

إن عبارة غريبة جاءت فى مذكرات ليونارد دافنشى ، أعظم العقول فى العصور الوسطى . تقول العبارة : إن اللوحة التى أرسمها قد رأيتها فى نومى بكل تفاصيلها . . ولكن عندما أنهض لكى أرسمها فإن يدى لا تطاوعنى . . وفجأة أشعر أن هواءاً عاصفاً قد دخل فى أذنى . واستولى على ذراعى . . وإذا بى أتفرج على الشىء العجيب الذى تفعله يدى . . وكأنها ليست يدى !

– إنه نفس المعنى الذى يقـــوله سيف وانلى الآن ، ولم يشأ أن يعلن ذلك منذ أربعين عاماً !

إنه عالم عجيب ذلك الذى يحيط بنا ، ويؤثر فينا ، ولا نـــدرى كيف !

فى سنة ١٩٦٠ صدر فى باريس كتاب بعنـــوان « يوم السحرة » مؤلف هذا الكتاب أسمه لوى باولز . . وعلى الغلاف هذه العبـــارة : اقرأ هذا الكتاب من أى مكان . واستبعد ما تراه . . اقرأه من الأول أو من الوسط . . أو من الآخـــر . لا يهم . فسوف تصل من أى مكان إلى المعنى الذى أريده ، أما الكتاب فقد ضم موضـــوعات كثيرة : الرؤية عن بعـــد . . السمع عن بعـــد . . اللمس عن بعد . . توارد الخـــواطر . . الأطباق الطائرة . . سكان الكواكب الأخرى . . معجزة بنـــاء هرم الملك خوفو . . الفلكيون الذين اعتمـــد عليهم هتلـــر . . قراءة الكف . . قراءة الفنجـــان . . ضرب الرمل . . الحب الذى يصنع المعجزات : يعطى الشجاعة للجبـــان ، والقـــوة للمريض ، والمعنى للحياة . . أشهر العشاق فى التاريخ . .

– وهذا الكتاب له معنى واحد : إن العالم الذى نعيش فيه أغرب وأعظم مما نتصور . وأن العقـــل الإنسانى لا يستطيع الإحاطة به !

وأقبل الشباب على هذا الكتاب ، ولم يكن الشباب مهتما بعجز العلم عن الإحاطة بعجائب الأشياء ولكن هذا الكتاب قد أثار خيال الشبان وجعلهم يفكـــرون فى الكواكب الأخـــرى والحياة فيها وهل صحيح أن هناك حضارات أخـــرى . . وأن أبناء هذه الحضارات قد هبطـــوا على الأرض وتركوا آثارهم . ؟

وقد ساعد على إطلاق الخيال أننا دخلنا فى عصر الفضـــاء وسفن الفضاء والهبـــوط على القـــمر وعلى المريخ والزهرة . . وأن هناك هيئات علمية ترصد الأصوات القادمـــة من الفضاء الخارجى . . وأن علماء عظمـــاء قد أكدوا لنا : أن هناك كائنات أخرى أكثر عقلا وتطـــوراً وأن أجهـــزتنا الحديثة أفلحت فى التصنت عليها . . وأننا قررنا أن نعلن لهذه الكائنات عن وجـــودنا . . ولذلك

أطلقنا سفناً فضائية تحمل لوحات تدل على وجـودنا . من بين هذه اللوحات لوحة رسمها العالم الكبير كارل ساجان وزوجته . هذه اللوحة عليها صورة رجل وامرأة . وعليها صورة الشمس وكذلك المجمـوعة الشمسية وموقـع الكرة الأرضية من هذه المجمـوعة . . وعلى هذه اللوحة أننا نعرف الرياضيات الحديثة . ٥

وظهـر عدد من المؤلفين هزوا العقـول الإنسانية بكتبهم التى تؤكد هذا المعنى فى مقدمتهم الكاتب الألمانى فون دنيكن والكاتب الفرنسى روبير شارو . . الأول باع من سبعة كتب . . كتاب واحد له أكثر من عشرين مليـون نسخة . والثانى من تسعة كتب باع أكثر من ثلاثين مليوناً . .

وبسرعة ترجمت هذه الكتب إلى كل اللغات .

– وكنت أول من كتب باللغـة العـربية عن هذه القضية المثيرة . فأصدرت كتابين :

« الذين هبطـوا من السمـاء » .

و « الذين عادوا إلى السماء » .

وقد حاولت أن أعرض قضية واحدة : هى أننا لا نعـرف الكثير عن هذا العالم . وأن وسائل معـرفتنا لذلك محدودة جداً . وأنه ليس معقـولا أن يكون هذا الكون فارغاً إلا منا نحن سكان هذه الكـرة الضئيلة جداً فى هذا الكون . وأن العقـل يقبل أن تكون هناك حضارات أخـرى أكثر تطـوراً . نزل أبناؤها أرضنا . وأقاموا واختفـوا لأسباب لا نعـرفها الآن . وليس بعيداً أن نعـرفها فيما بعـد . وأن هذه الكائنات قد ساعدتنا بشكل ما . . وأننا لو استعنا بها مرة أخـرى فقد تعيننا على حل مشاكل الأرض . وأن هناك خلافاً بين العلمـاء الروس والأمريكان والإنجليز حول هذه القضية : هل نقـول لسكان الكواكب الأخرى إننا موجـودون هنا دون خوف من هذه الكائنات ؟ أو هل نسكت وأفضل لنا أن نعيش ونموت فى نسيان تـام ؟

ويبدو أن الأمريكان قد قرروا وحدهم أن يشيروا إلى وجودنا هنا . لأننا نريد أن نعرف من الذين يعيشون هناك !

وقد ظهرت على الشاشة أفلام كثيرة بهذا المعنى . . وربما كان فيلم « الأوديسة لسنة ٢٠٠٠ » من إخراج ستانلى كروبك من أروع الأمثلة على ذلك . . فقد كان الشباب يذهب لرؤية هذا الفيلم وكأنه ذاهب للصلاة !

– ومن الغريب حقاً أن نجد عند نهاية كل قرن من القرون الأربعة الماضية اهتماماً متزايداً بالقوى الخفية حول الإنسان أو بعيداً عنه أو فى داخله . هل هى صدفة ؟ هل هو الاهتمام بالقوى الخفية يتحرك فى دوائر منظمة . كل مائة سنة !

لا أحد يستطيع أن يجيب عن هذه الاسئلة . ولكن المؤكد هو أن اهتماماً عالمياً متزايداً بالقوى الخفية قد ملأ المعاهد والجامعات . . وأن الاهتمام بدراسة علم النفس أو علوم النفس قد شغل الناس . . فظاهرة الاستشفاف أو رؤية الأشياء عن البعد . . أو ظاهرة الجلاء البصرى . . وظاهرة « التخاطر » أى تلاقى الخواطر وتوارد الأفكار وظاهرة التحريك عن بعد . . وظاهرة « الإدراك خارج الحس » أو إدراك ما هو خارج نطاق الحواس الخمس » – وهذا أحدث التعبيرات فى علوم النفس المعاصرة ، كل ذلك أصبح من الأطباق المفضلة على موائد علماء النفس والفيزياء والفلك والفلسفة والرياضيات . .

ولقد امتلأت كتب الروحانيين المصريين بنوادر رجل طيب مشهور اسمه الشيخ طنطاوى جوهرى . هذا الرجل قد رآه عدد كبير من الذين تجاوزوا السبعين من أعمارهم فى مصر . وكان هذا الرجل قادراً على أن ينظر إلى أى إنسان فيقول له مثلا : هذا الذى ترتديه ليس ثوبك إنه ثوب أخيك . أو إنه ثوب مسروق .

ويكون هذا صحيحاً !

أو يقول لأحد الفلاحين : حاولت هى . . وتعبت اليوم . ولكن ليس لك نصيب !

فيسأله الفلاح : ما هذا يا عم الشيخ !

فيقول له : إنها البطة التى عندك فى البيت . . باضت بصعوبة فنزلت البيضة على قطعة حجر . فانكسرت . ولو ذهبت الآن إلى البيت لوجدت ثعباناً يشرب البيضة !

ويكون هذا صحيحاً !

فى إحدى المرات وجد الشيخ طنطاوى جوهرى فى السوق أحد الفلاحين وقد جلس إلى المقهى يدخن الشيشة ويأكل الحلوى . وأمسك مسبحة فى يده . فهجم عليه . وكسر الشيشة وألقى بالمسبحة فى النار . وراح يصرخ : أمسكوه : هذا هو القاتل . أمسكوه . لقد قتله بالفأس . ضربه ست مرات على رأسه . ثم ضربه فى بطنه . . أمسكوه !

ويسأله الناس : قتل من ؟

فيرد : لا أعرف . ولكنه قاتل . أمسكوه .

ويلقى البوليس القبض على الرجل . ويعترف بأنه قتل أحد جيرانه تماماً وبالطريقة التى وصفها الشيخ طنطاوى !

ويسألون الشيخ طنطاوى : وكيف عرفت ؟

يقول : رائحة الدم . لون أصابعه . لون أسنانه : إن الدم ينزف من كل مكان !

وفى نفس الوقت كان فى أمريكا رجل اسمه د . راين . هذا الرجل كان يدرس ظاهرة غريبة وهى ظاهرة الذين يلعبون الطاولة أو الدومينو والكوتشينة وهو يريد أن يعرف كيف يستطيع بعض الناس أن يؤثر فى « الزهر » فيجىء الزهر حين يلقيه على المنضدة ، على النحو الذى يريده . . والذين يلعبون الطاولة أو الدومينو يجدون أناساً قادرين على التحكم فى الزهر — أى « يقرصون » على الزهر ، فيجىء على النحو الذى طلبه .

ولكن د . راين وجد عدداً من المقامرين المحترفين لديهم قدرة عجيبة على أن يؤثروا فى الزهر . فدرس هذه الظاهرة واهتدى إلى أن هناك بعض الناس يستخدمون قواهم الخفية فى التأثير فى الزهر . وتحريكه وإسقاطه بالضبط كما يريدون . وأن هؤلاء إذا كانت حالتهم النفسية جيدة ، فإنهم يتحكمون تماماً فى الزهر . . وإذا كانت حالتهم النفسية مرهقة ، أو ليس لديهم صفاء ذهنى ، فإنهم يعجزون عن السيطرة على زهر الطاولة !

– وهناك ظاهرة اسمها :

الاستحضار أو التحضير . . أى جعل الماضى حاضراً . وذلك بأن يجىء شخص من أصحاب القوى الخفية ويدخل غرفة من الغرف فإذا هو يخبرك ماذا حدث فيها بالأمس أو فى العام الماضى أو من عشرين أو مائة عام :

أشهر المشتغلين بالاستحضار هو الرجل الهولندى كروازيه . فقد كان هذا الرجل ابنا لقيطاً . وتعذب فى طفولته كثيراً . وعاش مريضاً دائماً . ولكنه فجأة أدرك أن به خاصية غريبة : إذا رأى إنساناً أخبره بالضبط ما الذى فعله منذ أيام . وعندما كان كروازيه طالباً فى المدرسة ، تقدم لأحد المدرسين يقول : مبروك .

ويسأله المدرس : لماذا ؟

ويرد الطفل : لأنك أمضيت إجازة الأسبوع مع خطيبتك التى سوف سوف تتزوجها : إنها شقراء ترتدى بنطلوناً ضيقاً وتضع وردة حمراء على صدرها . وقد اتفقتما على أن يكون الزواج يوم الأحد القادم !

ويكون هذا صحيحاً .

وظل كذلك عشرات السنين . حتى أصبح مشهوراً فى أوروبا وأمريكا . ولما كبر استخدمه البوليس فى معرفة المجرمين . فأدخلوه أحد البيوت . واتجه هو من تلقاء نفسه إلى المطبخ . وقال : هنا ارتكبت جريمة جنسية . .

رجل اعتدى على فتاة . . وراحت الفتاة تصرخ . . ولكنه هددها بالقتل . وبعــد أن اعتــدى عليها قتلهــا . !

ثم يعود يقول : ولقد ساعده فى ذلك أخوه الأصغر . وهرب الاثنان . . أحدهما إلى باريس والآخر ما يزال فى هذه المدينة ! .

ويكون هذا صحيحاً تماماً . فقد اعتقل البوليس قبل ذلك بساعات هذين الأخوين ولكن كروازيه هذا لا يعرف ! .

وهناك رجل هولندى آخر أكثر شهرة . اسمه : بيتر هركوس . هذا الرجل عنده قدرة على الاستشفاف – أى رؤية الأشخاص عن بعد . . أى عن بعد فى المكان وفى الزمان . . فيرى واحداً فى مدينة أخرى ويعرف بالضبط ما الذى يعمله أو يرى واحداً وما الذى كان يعمله منذ شهر أو منذ عام . هذا الرجل « هركوس » أجلسه رجال البوليس فى إحدى السيارات الأمريكية وطلبوا إليه أن يصف الجريمة التى وقعت ومعــالم القاتل . فيمكث بعض الوقت ثم يصف ما حدث وكأنه يرى أحد الأفلام السينمائية وبمنتهى الدقة . ويصف وجه القاتل . والعلامات التى تميز يديه ووجهه . . ويكون هذا صحيحاً .

لقد أتوا بهركوس هذا إلى شقة الممثلة الأمريكية شارون تيت . فوصف لهم القتلة واحداً واحداً ، وأعلن عن الأماكن التى هربوا إليها ! .

وهذا الرجل قد اكتشف هذه الخاصية فى نفسه . . وكان ذلك على أثر حادث فى الطريق . ضربته سيارة ونقلوه إلى المستشفى . وبعد أن أفاق من البنج ، لاحظ أنه قادر على أن يقرأ أفكار الطبيب والممرضات وكل أقاربه من الزوار . فكان يقول للواحد منهم : أنا أعرف أنك مشغول ، وأنه كان المفروض أن تذهب إلى كذا وكذا . . أو يقول شكراً على هذه الزيارة . . إن زوجتك تنتظرك فى السيارة .

أو يقول : اجلس بعض الوقت فإن اللصوص قد سرقوا سيارتك . .أو يقول : آسف لما حدث . . إن سيارتك تحترق الآن . . لقد نسيت أن تملأها بالزيت ! .

– فما هى العلاقة بين وقوع حادث أو إصابة أى إنسان بمرض وظهور هذه الخاصية الغريبة عنده ! .

ليس من الضرورى أن يكون الإنسان مريضاً ليصبح قادراً على أن يرى أو يسمع أبعد . . وإنما المرض أو الحوادث العنيفة هى من أحد الأسباب التى تحقق للإنسان نوعا من الجلاء السمعى أو الجلاء البصرى . وكثير من الناس عندما يصاب بمرض ويلزم الفراش يكتشف أنه اهتدى إلى معان جديدة واتخذ قرارات حاسمة فى حياته . . أو نجد إنساناً يقول لك : لقد كنت على وشك الموت . . ولكنى على فراش الموت هذا رأيت الدنيا على حقيقتها . . ورأيت الناس على حقيقتهم . . كل شىء رأيته بوضوح ! .

ولو استعرضنا حياة المتصوفين لوجدنا حياتهم أقرب إلى المرض . إنهم لا يتحركون ولا يأكلون ولا يشربون . . تماماً كأنهم مرضى . ولكن هؤلاء المرضى ، أقدر الناس على إدراك أعقد مشاكل الدنيا .

ولكن ليس معنى ذلك أن الإنسان يجب أن يكون مريضاً ، أو كالمريض ، ليرى أبعد ويسمع أعمق . فهناك كثيرون من أصحاب القوى الخفية فى صحة جيدة تماماً . بـــل إن بعضهم لا يكف عن الخمر أو القمار أو التنقل . . أو إنه غارق فى الجنس .

لاتوجد قواعد ثابتة لكى يكون لإنسان قوى خفية . . فليس كل صاحب نظر قوى ، هو صاحب جسم قوى . . ولا كل صاحب جسم قوى ، هو صاحب حاسة سمع قوية .

فليس معروفاً علمياً – لماذا يكون الإنسان شفافاً ، ولماذا لا يكون . ولكننا نريد أن نقترب من هؤلاء الناس لنعرف مصادر هذه الطاقة الخفية – وهذا ما يفعله ألوف العلماء فى مئات الجامعات . يريدون أن يقتربوا ليفهموا .

وفى العام الماضى أصدر العالم النفسى الكبير كورت تسلر كتاباً عنوانه « وراء

الحدود الحسية » يحكى قصة رجل كان يعيش فى أوغنده . هذا الرجل قرر أن يقيم خيمة فى الغابة المفتوحة أى فى الغابة التى بها الوحوش من كل نوع .

واشترط أن يوجد معه بعض الحراس . وكانت لدى هذا الرجل حاسة غريبة تدل على اقتراب الوحوش من أى اتجاه فيقول : هنا أسد . . إنه على مسافة مائتى متر . . هنا نمر على مدى مائة متر . هنا ثعبان على مدى عشرة أمتار .

يقول ذلك وهو فى داخل الخيمة المغلقة وفى ظلام الليل . ويكون ذلك صحيحاً ! .

ويقول د . تسلر : لابد أن هذه هى حاسة الإنسان عندما كان يعيش فى الغابة . ولو لم تكن للإنسان هذه الحاسة لأكلته الوحوش ، وانقرضت البشرية . . ولكن مع ظهور الكهوف والأسلحة ، لم يعد الإنسان يعتمد على حاسته هذه . . تماماً كما أننا لا نعتمد على حواس السمع والبصر الآن . . فليس من الضرورى أن تكون لدينا أذنا ذئب أو عينا صقر . . لسنا فى حاجة إلى ذلك . فالمسافات قصيرة والبيوت أمان . . ولم يعد الإنسان أيضا فى حاجة إلى أن يستخدم حباله الصوتية ليتحدث إلى أحد . . فالتليفون يغنى عن ذلك . . ولم يعد أحد يستخدم رجليه فى السفر . . فالمواصلات كلها تقوم بذلك . . وهكذا نجد أن الإنسان قد عطل كل حواسه التى كانت حادة يوما ما . . وكان يعتمد عليها فى حياته اليومية . . أما الآن ، فليس فى حاجة إلى كل ذلك ! .

فالرجل الذى يعيش فى الغابة يستخدم قواه الخفية لرصد حركات الوحوش حوله . . وإذا لم تكن هذه الحواس مدربة تدريباً جيداً أكلته الوحوش ! .

– وهناك ظاهرة « الاستشعار » . . وهذه الظاهرة موجودة عند البدو فيمسك الرجل البدوى عصاه – ويدق بها الأرض . ويقول : هنا ماء . . أو هنا قطعة من الحديد . . أو أنبوبة ! .

فإذا حفروا الأرض وجدوا كل شىء مما استشعره الرجل البدوى ! .

ولكن هذه الظاهرة نجدها قد نميت ودربت تدريباً جيداً . فى انجلترا رجل اسمه لفتويش . . يمسك عصاه ويدق الأرض ويقول : هنا معادن . . هنا أسلاك . . هنا مواسير .

أما طريقته فهو أنه يمسك عددا من الأسلاك . . ولا يكاد يمر فوق المعادن حتى تلتوى الأسلاك فى يديه مشيرة إلى مكان المعادن تحت الأرض . وهذا الرجل تعتمد عليه شركات البناء ليدلهم على أماكن الأسلاك والمواسير قبل القيام بعمليات الحفر .

أكثر من ذلك إنه يمشى معصوب العينين وأمامه رجل أو سيدة . . وكلما مرت هذه السيدة على أرض تحتها معادن أو مواسير يقول : هنا .وتقف السيدة . ويحفرون تحتها فيجدون المعادن .

لقد أجريت تجربة مع زوجة الكاتب الإنجليزى المشهور كولن ويلسون . فقد أخفت هذه السيدة بعض الحلى الذهبية تحت السجاد ، ومرت بالقرب منها . وقال الرجل وهو على مدى عشرين مترا وراءها : هنا ذهب . . مجوهرات ! .

أكثر من ذلك أنه يمسك الخريطة لمدينة أو لدولة كلها . . ويمسك عودا من النحاس فى يده ويمر على الخريطة ويقول : هنا معادن . . هنا غاز . . هنا بترول . . هنا كهف مبلل بالماء طوله كذا وعرضه كذا .

ومنذ مائتى عام اهتم اثنان من كبار العلماء بهذه الظواهر الغريبة : هما : د . كروكس و د . أوليفر لودج . .

وقد انبهر الرجلان بهذه الخوارق وشغلتهما . وانتهيا معاً إلى نتيجة واحدة : إنها شىء عجيب . ولكن العلم لم يهتد إلى معرفة أسبابها بعد . تماماً كما أن العلم لا يعرف لماذا هذا الإنسان عبقرى أو شاعر أو رسام . . لماذا هذا التفوق الباهر عند بعض الناس ؟

– ويبدو أن الموقف الآن ازداد تعقيداً . فقد تنوعت الظواهر الغريبة . ولكن الذى ما يزال باقياً على ما هو عليه هذا السؤال : ولكن لماذا يحدث كل هذا ؟

كيف نفسر أن شخصاً لم يحضر إلى مصر . ولم يتعلم الهيروغليفية يكتبها وبسرعة وفى حالة إغماء شديد . . فإذا عرض الأطباء ما كتبه هذا الإنسان

المعمى عليه على علمـــاء الآثار أكدوا : أن الذى كتبه صحيح . وأنه يتحدث عن ملك حقيقى عاش فى مصر ؟ !

ومثل هذه التجـــربة الصغيرة موجودة فى كل كتب المشتغلين بالدراسات الروحيـــة فى مصر وفى العالم العربى .

ولكن ! . .

ولكن هذه الدراسات العـــربية لا تلقى الاهتمـــام العالمى العظيم ، لأنها محدودة النشر . . ولأن الذين يتناولونها ليست لديهم هذه المكانة الدوليـــة . .

ولو كان الحاج ميرغنى السودانى أو الشيخ طنطـــاوى أو غيرهما من العرب يعيشون فى باريس أو لندن ، لصـــدرت ألوف الكتب تتحـــدث عن هذه المخلـــوقات العجيبة الغـــريبة . . ولذلك سوف تظل مصادرنا العلمية فى الكلام عن القـــوى الخفية أوروبية أو أمريكية .

ولو رجعنا إلى كتب الصـــوفية فى إيران والعـــراق وسوريا ومصر والسودان والمغـــرب لوجدنا ألوف الأمثلـــة على القـــدرة الخارقة لبعض الناس الطيبين . .

* * *

ومنذ سنتين رأيت فى مـــدينة مانيلا بالفلبين رجلا طيبـــاً . والناس على بابه . بالألوف من كل قارات الدنيا . الجميـــع مرضى . وعجز الأطباء عن علاجهم . وليس أمامهم إلا هذا الرجل الطيب .

إنهم يدخلـــون الواحد وراء الآخـــر . والرجل يمسك عصى خشبية . يمـــر بها على بطن المريض . . وفجأة يجـــد المريض تقلصاً فى المعـــدة أو فى الأمعاء . . أو فى القلب أو فى عضلات الساق . . أو فى العمـــود الفقـــرى . . وبعد لحظات ينهض المريض . وقد خف من أوجاعه .

والغـــريب أن هـــذا الرجل لا يسأل المريض عن دائه . . وإنما هو الذى يكتشف هذا الداء فيقـــول . قلبك . . بطنك . . عمـــودك الفقرى . .

وأغرب من ذلك . . أن هذا الرجل يجرى عمليات جراحية . . بأصابعه وعصا خشبية . أمام مئات الأطباء . . وبعد يومين يلتئم الجرح ويذهب الوجع والمرض إلى غير رجعة !

كيف ؟

من نوادر هذا الرجل الفلبينى أن أحد المرضى قد جاءه ولم يكد يلمسه حتى راح يضحك . . ولما سألوه قال : لقد نسى الطبيب شيئاً معدنياً فى أحشائك !.

وذهب المريض إلى طبيب وأجريت له عملية جراحية وأخرج الطبيب أداة جراحية من بطن المريض . ولحسن حظ المريض أنها كانت مغطاة بكيس من الشمع المعقم !

* * *

هناك تفسيران لهذا كله . . وليس ذلك نهائياً فى قضية معقدة جداً كالتى نعالجها فى هذه السلسلة ! .

التفسير الأول :

أن يقال أن بعض الناس عندهم القدرة الغريبة على الاحساس بالأشخاص والأشياء عن بعد ، ثم اعتراض الأحداث وتغييرها على النحو الذى يريدون . .

ولا نجد تفسيراً علمياً لذلك . .

أما التفسير الثانى :

فهو الذى يقوله بعض هؤلاء الناس أنفسهم . وهذا يجعل موقفنا أصعب جداً . وهو أن هناك قوى أخرى عالية علينا تؤثر فيهم وتدفعهم إلى إتيان هذه الأعمال الخارقة .

بعضهم يقول لك : أرواح متسلطة عليهم . . وبعضهم يقول بل كائنات من كواكب أخرى اتصلت بهم . . أو نقلتهم من الأرض فى أطباق طائرة

وغيرت فى تكوينهم النفسى والعقلى . وبعض هؤلاء الناس الذين يعملـــون فى علاج المرضى يقـــولون : إنهم أصحاب رسالة سماوية لشفاء الناس والتخفيف عنهم .

وهذا أصعب وأكثر غمـــوضاً . .

فعلى الرغم من أننا على يقين من أن هناك كائنات أخرى ، وأن بعض هذه الكائنات قد هبطت إلى الأرض ، ولكننا لسنا على يقين من أن شيئاً من ذلك قد حدث أخيراً . . رغم كثرة الأطباق الطائرة التى تشغل الناس ، والتى طالبت الدول بإدراجهـــا كقضية من قضايا الأمم المتحـــدة . .

أى من القضـــايا الدولية التى شغلت العالم كله . . خوفاً من أن تكون مقـــدمة لغـــزو فضائى للأرض . . كأن تكون الأطبـــاق الطائرة وحدات استطلاعية ! !

وقد يكون التفسير الأول هو الأقرب إلى العقـــل . . وإن لم تكن هناك أدلة كافية على صدقه أو على صحته . ولكنه على كل حال حقيقة مؤكدة نراها ونعجب لهـــا . . وكل ما ينقصنا هو بعض التفسير لهـــا !

روى لنا الكاتب الفرنسى جوستاف فلوبير عندما زار الفيـــوم وقتا فى أواخر القـــرن التاسع عشر حكايات غريبة رآها بنفسه . ولكنه هز رأسه قائلا : إن بلـــداً يبنى الأهـــرام لقادر على أشياء كثيرة لا نعرف كيف نفهمهـــا . .

أتوا له برجل اسمه الشيخ عبد الله عبد الحمـــيد القناوى . رجل نحيف . متوسط القامـــة . فى غاية المرح . وطلبوا إليه أن يعرض قدراته على الأديب الفرنسى . . فجاء الشيخ عبد الله بنـــار وأحرق بها يده . . حتى رأى الناس الدخان يتصاعد من بطن يده . . وانزعج الأديب الفرنسى . .

وفجأة تحولت يده إلى قطعـــة من الفحم الأسود . . وراح الشيخ عبد الله يلعق يده . . حتى عادت إلى لونها وطبيعتها الأولى . .

واقترب الأديب من الرجـــل وراح يتحسس يده . . لقد وجدها كما كانت ، وكأن ناراً لم تمسها !

ثم أتوا للشيخ عبد الله بطفل له يد بست أصابع . فما كان من الشيخ عبد الله إلا أن أمسك الأصبع السادسة وكسرها . ثم راح يلعق مكانها . . وعرض اليد على الأديب الفرنسى ، فلم يجـــد أثراً للأصبع السادسة . ثم أعاد الأصبع إلى مكانها من يد الطفل كما كانت تماماً !

— وهز الأديب الفرنسى رأسه ونظـــر إلى السماء !

وكانت نظـــرته هى الإجابة الصحيحة والمحيرة فى نفس الوقت ؟

فمن أين تجىء هذه القدرة ،

وكيف ولمـــاذا هؤلاء الناس دون غيرهم . . وهل هذه القدرة كامنة خاملة عند كل إنسان ولكننا لا نعرف كيف نهتدى إليها . . وإذا اهتدينا إليها فكيف نطلقهـــا — هـــذه هى قضية كل علوم النفس الحديثـــة !

– بنات فوكس . . أشهر ثلاث أخوات فى التاريخ . . كن يستمعن دقات على الباب وعلى الشباك . . بهذه الدقات ارتفع الستار عن علم جديد هو علم الروح فى القرن التاسع عشر .

من الذي يدق الباب ..
ولا يراه أحدٌ ؟!

إن رغبة الإنسان قديمة جداً فى أن يعرف .. أين يذهب الموتى ؟ وكيف ؟ وبعد الحياة ماذا هناك ؟ وهل يعيش الأموات حياة أخرى ؟ .

– هناك نوع آخر من القدرات الخفية عند بعض الناس : هذه القدرات وعن طريقها يمكن الاتصال بالعالم الآخر . . أى بعالم الذين كانوا معنا ، ثم اختفوا بالموت .

فهل صحيح هناك عالم آخر ؟ هل صحيح أن الموتى ، أو أرواح الموتى يمكن أن نتصل بها ؟ .

هل صحيح أنه توجد أشكال أخرى : لهذا الاتصال غير أن نراهم فى الأحلام ؟ .

هل صحيح أن بعض الناس يشعرون بموتاهم . . بوجودهم بشكل ما ، معهم فى بيوتهم أو فى فراشهم .

ألم يحدث أن تقول إن فلانا الله يرحمه قد « هف » على . . بمعنى أنك تذكرته فجأة . وبعد ذلك بلحظات تفاجأ بأن أحدا من أولاده يخبرك بأن مقبرته قد انهدمت . أو أنه ترك لك خطابا . . أو تذهب أنت لزيارة مقبرته فتجد طفلة أو سيدة تبكى عليه . . وتفاجأ بأن هذه السيدة كانت تربطه بها علاقة ما . . كأن تكون ابنته من زوجة أخرى . . أو تكون أخته . . أو إحدى قريباته . . وأنها فى حاجة إلى مساعدتك .

إن رغبة الإنسان قديمة جداً فى أن يعرف أين يذهب الموتى ؟ وكيف ؟ وبعد الحياة ماذا هناك ؟ وهل يعيش الأموات حياة أخرى ؟ وهل هذه الحياة الأخرى تختلف عن حياتنا هذه ؟ .

من المؤكد أنها تختلف . فنحن فى هذه الحياة نعيش بأجسادنا ، وأمراض أجسادنا وشهواتها وطموحها ونزاحم بعضنا البعض على الرغيف والمال والقوة

والجنس . هذا طبيعي . ولكن إذا تجردنا من لحمنا . . من عظامنا . . من هذا الجسم كله ، هل ما تزال رغباتنا كما هى ؟ هل نشتهى الطعام وليس لنا فم ؟ هل نشتهى الهواء وليس لنا صدر ؟ هل نحب ونكره وليست لنا أحشاء ؟ . . هل نتزاحم من أجل المال والقوة : ونحن لم نعد فى حاجة إلى مال أو قوة ؟ .

إن أحدا من الذين ذهبوا لم يعد . ولذلك فنحن لا نعرف ماذا بعد الموت . . وإن كنا نتخيل ذلك . إن كانت الكتب السماوية تحدثنا عن الموت وعن البعث وعن الجنة وعن النار . . وعن الحياة فى الجحيم والنعيم . وأن الطريق إلى الجنة والنار يبدأ بهذه الحياة . . ولكن أحدا لم يقل ، بعد موته ، ماذا أصابه وكيف ؟ .

ولكى نعرف شيئا من ذلك . فلابد أن يحدثنا أحد . . أما كيف يحدثنا ، وكيف يقول لنا ذلك ؟ فهذا ما تعرفه عن طريق بعض الناس ذوى القدرات التى تمكنهم من الاتصال بالعالم الآخر . . والفرق بين هؤلاء الناس وبيننا نحن ، كالفرق بين صندوق خشبي فارغ وبين صندوق خشبي به راديو . . أى به جهاز استقبال . . فالراديو عنده هذه الحساسية الخاصة القادرة على تلقى الأصوات التى تجىء من محطات إذاعية أخرى .

بعض الناس عندهم هذه القدرة . . وهناك ألوف التجارب التى تؤكد هذا المعنى : أى أنه يمكن الاتصال بالعالم الآخر . ولكن كيف ؟ إننا نعرف كيف يمكن ذلك . . وإن كنا لا نعرف لماذا يحدث هذا لبعض الناس بعض الوقت . وهناك اجتهادات كثيرة فى تفسير ذلك . وإن كانت الاجتهادات لم ترتفع إلى مستوى « النظريات العلمية الواضحة » . . وهى لم ترتفع إلى هذه الدرجة المؤكدة ، لأن هذه الاتصالات ما تزال حديثة . ولأن العلم الحديث ، ما تزال وسائله فى معرفة ذلك ، قاصرة أو عاجزة .

مثلا :

أنا وأنت لا نستطيع أن نرى أبعد من كيلو متر . . والذى تراه ليس واضحاً . فنحن نستطيع أن نرى شجرة . . وتكون الرؤية غير واضحة . ولكن لو كان معنا صقر أو نسر فإنه يستطيع أن يرى كل أوراق الشجرة . بل إنه يستطيع أن يميز دودة القطن من دودة القز إذا كانت على ورقة من أوراق هذه الشجرة .

ومعنى هذا أن قدرتنا – نحن البشر – على الرؤية أقل من قدرة الصقر . وقدرتنا على الشم أقل من الذئب ، وقدرتنا على السمع أضعف من قدرة القط . وقدرتنا على الجرى أقل من قدرة النمر .

فالقدرة الإنسانية محدودة ، ولذلك فنحن نقول : إن الذى لا نراه ليس موجوداً والذى لا نسمعه لا وجود له ، والذى لا نشمه لا أثر له .

أما الحقيقة فغير ذلك . فهناك أشياء كثيرة موجودة رغم أننا لا نراها ولا نسمعها ولا نشمها . وهى موجودة عند بعض الكائنات التى لها قدرات أعمق وأبعد وأعظم .

وكذلك بعض الناس عندهم هذه القدرات على أن يروا ويسمعوا ما لا نستطيع .

وهذا ما تحدثت عنه فى كل المقالات السابقة .

– وأضيف إلى ذلك أن عدداً آخر من الناس لديهم قدرة على الشعور بالعالم الآخر . وعلى الاتصالات به وتسجيل ذلك بالصوت أو الكلمة أو بالحركة .

* * *

– ومن أشهر الحوادث فى تاريخ الاتصال بالعالم الآخر ما حدث فى نيويورك سنة ١٨٤٨ . إنها حادثة صغيرة . ولكنها كانت البداية لعلم الروح ، أو للدراسات الروحية .

إنها أسرة صغيرة مكونة من ثلاث بنات . واحدة منهن سمعت دقا متواليا على النافذة . ولم يكن هناك من يفعل ذلك . وجاء الأب وحاول أن يعرف السبب فلم

يستطع . وجاءت البنت وراحت تصفق بيديها ثلاث مرات . . وبعد أن فرغت من التصفيق سمعت صوت التصفيق ثلاث مرات . ولكن متأخراً جداً .

وجاءت الأخت الثانية وفعلت نفس الشيء وكان صدى دقات هذه الأخت أقوى من الصوت نفسه . ولم يفلح أحد فى أن يفهم بالضبط ما هذا الذى حدث . . وفوجىء الأب والأم والفتيات الصغيرات ، بأن الصوت يدوى فى إحدى الغرف دون أن يفعل أحد منهم شيئا .

وحاولت الأسرة أن تشرك معها أبناء المدينة فى مشاهدة ماذا يحدث . وجاء الناس وسمعوا . وانتشرت الأخبار فى كل مكان . وانفتح باب التكهنات والاجتهاد . وقيل يومها أنها روح واحد قتل تحت هذا البيت . وإن هذه الروح تحاول أن تكشف عن نفسها . لعل أحداً ينتقم لها من القاتل . واقتنع الناس جميعا بأن هذا هو السبب والوحيد . وحفروا الأرض . وأخرجوا من تحتها بقايا جثته وبعد ٥٦ عاماً أعيد الحفر ، وأعيد البحث عن الجريمة . وتأكد للناس أن ما حدث صحيح .

هذه الأسرة الصغيرة دخلت التاريخ تحت اسم « بنات فوكس » ـ أبوهم اسمه فوكس .

وقد تطورت وسائل الاتصال وبالعالم الآخر بين هذه الأسرة . فكانوا يجلسون فى أية غرفة ويقولون : أيتها الروح إن كنت تحبين أن نتصل بك فدقى مرة واحدة وإن كنت لا تحبين فدقى مرتين ! .

وكانوا يسمعون : دقة واحدة !

ويمضى الحوار : هل أنت قتيل ؟ .

ويسمعون دقة واحدة !

ـ هل أنت حزين لذلك ؟.

ـ ( دقة واحدة ) .

ـ هل تريد أن نكشف قصتك للناس ؟ .

— (دقة واحدة) .

— كيف ؟ .

— (لا صوت) .

— هل نأتى لك بالحروف مكتوبة على ورق . . ونعرض عليك الحروف واحدا واحدا . . وكلما أمسكنا حرفاً سمعنا دقة واحدة فيكون ذلك موافقة منك على صحة هذا الحرف . . ثم من هذه الحروف تتكون الكلمات التى تريدها . . أو الرسالة التى تريد أن تبعث بها إلى أى أحد من الناس ؟ .

— (دقة واحدة كالرعد) .

واستنتجوا من ذلك أنه سعيد بهذا الاكتشاف أو بهذه الطريقة التى تنقل أفكار هذه الروح إلى عالمنا فى منتصف القرن التاسع عشر .

* * *

— ولقد اتخذ المشتغلون بالأرواح من يوم ٢٣ نوفبر سنة ١٩٠٤ اليوم العالمى لبداية الاتصال بعالم الأرواح . . فى هذه الأيام اكتشفوا الجثة الكاملة للقتيل الذى اتصلت روحه ببنات فوكس قبل ذلك .

وقد تطورت وسائل الاتصال وكثر الكلام — كلام الأرواح مع هذا العالم ، عن طريق أو « بواسطة » عدد من أصحاب القدرات الخفية على تلقى رسائل العالم الآخر ! .

* * *

ومن الأحداث الهامة فى تاريخ عالم الروح أن إحدى بنات فوكس قد أفلحت فى أن تجعل صحفياً شهيراً يرى زوجته التى ماتت قبل ذلك . . وأن يقرأ رسالة بخطها . وقد أكد الرجل أن هذا خطها تماماً . فقد جلست إحدى بنات فوكس فى بيت الصحفى وحولها عدد من المتفرجين . . وهدأت الفتاة بعض الوقت ثم راحت فى غيبوبة . وفى هذه الغيبوبة تغيرت معالم وجهها تماماً وتغير صوتها . ثم أمسكت

قلما وورقا وراحت تكتب ما تسمعه فى أذنها هى . أما هذا الصوت الذى تسمعه هى وحدها فهو للزوجة التى ماتت . وأملت عليها رسالة . والرسالة موجهة إلى الزوج . وفيها تحدثه فى موضوعات خاصة لا يعرفها أحد سواها هى وزوجها . . أما الخط فيؤكد الصحفى الأمريكى أنه مطابق تماماً لخط الزوجة .

وفى الجلسة رقم ٤٣ فى بيت هذا الصحفى تجسدت أمام الجميع صورة واضحة للزوجة ويؤكد الزوج والحاضرون أنها كالزوجة تماماً . . وأعلنت الزوجة فى هذه الجلسة أنها لن تظهر له بعد ذلك . وهذا ما حدث ! .

وهذه الجلسة لها أهمية خاصة عند المشتغلين بالدراسات الروحية . ففيها أمكن الاتصال بالعالم الآخر بطرق مختلفة ومتعددة . وأمكن أيضا أن يسمع الحاضرون جميعا عبر ابنة فوكس .

هذه الأصوات القادمة من العالم الآخر . . وكذلك أمكن أن يروا ما رأته هى . . فى حين أن المألوف هو أن ترى هى ما لا يرون ، وتسمع هى مالا يستطيع أن يسمعه أحد .

ولكن إذا كان هناك جماعة من الناس يجلسون فى مكان واحد ، وكان بينهم واحد فقط من الذين عندهم هذه القدرة الخاصة ، فإن وجوده يجعل من السهل على الآخرين أن يروا ويسمعوا .

وهذا ما حدث مع بنات فوكس : فوجود واحدة منهن فى أى مكان يجعل الآخرين قادرين على الإسماع أو على الرؤية . . ولا تحدث الطرقات على الباب أو على النافذة إلا فى « حضور » هذه الفتاة .

ومثل هذه الفتيات يسمونها : الوسيط أو الوسيطة . . أى الشخص الذى عن طريق جسمه أو عقله يمكن أن تصلنا رسالة من العالم الآخر .

فكما أن الماء يمشى فى المواسير ، والكهرباء تمشى فى الأسلاك ، والأصوات والأضواء تنقل فى الهواء ، فكذلك أرواح العالم الآخر لا تتحرك أو لا تتكلم إلا

عن طريق هذا النوع الخاص من البشر ! .

وتعرضت هذه الاهتمامات الجديدة إلى عدد كبير من النصابين والمحتالين .

ولا تزال . ولكن اهتمام الناس بالعالم الآخر لم يتوقف . بل إن هذا الاهتمام يشغل الغرب والشرق . بل إن هناك تجارب عديدة فى الدول الشيوعية الملحدة التى لا تؤمن لا بالله ولا بالقيامة ولا بالقرآن ولا بالرسول ، ولا بالحياة بعد الموت . أما مصدر هذا الإهتمام فهو يرجع إلى الرغبة فى فهم هذه الأشياء الغامضة التى تحدث لبعض الناس . لعل هذه المعرفة ما يؤدى إلى اكتشاف الجانب الغامض من الإنسان .

• • •

– وكل هذا يدل على أن العقل ليس هو الحكم النهائى فى كل شئ . . فهناك أمور تقع كل يوم ولكن العقل لا يعرف كيف يفسرها . . والعقل يستمد معلوماته من حواسنا ، وحواسنا محدودة . ولذلك فالعقل نفسه محدود .

أما هذه الحوادث الغريبة ، فالعقل لا يدرى كيف يفسرها وإن كان يحاول . وإذا لم يوفق فى تفسيرها الآن ، فليس معنى ذلك أنه سيتوقف عند هذا الحد . . وإنما سوف يحاول ولسوف يهتدى فيما بعد بعشرات أو مئات السنين .

وهناك حوادث معروفة فى تاريخ علم الروح من بينها ما حدث لرجل اسمه « هوم » عـاش فى أواخر القرن التاسع عشر . . هـذا الرجل قد ظهرت عليه هذه الصفات العجيبة . فهو إذا جلس فى أى مكان سمع الناس طرقا على الباب أو على النافذة . . أو فجأة ينفتح الباب أو النافذة . ويحاول الناس أن يقفوا وراء النوافذ والأبواب ليتأكدوا بأنفسهم إن كان هناك أحد . . ولكنهم لا يجدون إلا أنفسهم ، ويستمر الطرق على الباب أو النانذة بعنف .

وقد طردته زوجته وابنه من البيت خوفاً وفزعاً . وكان هذا الشاب يعيش على موائد الكرام الذين يريدون أن يتسلوا بهذه الحوادث الغريبة .

ولكن هذا الشاب هوم قد تطورت قدراته لدرجة أنه كان يطلب إلى الناس أن

يجلسوا معاً . ثم يطلب إليهم أن يفتحوا النافذة . . وفجأة يجدونه يصعد فى الهواء . ويدخل النافذة برأسه ويكون أفقياً . . ويخرج منها . . ثم يعود إليهم مرة أخرى . .

فإذا أفاق كان فى حالة نفسية وجسمية عنيفة . . فهو يسيل عرقا وفى غاية الشحوب . لماذا وكيف حدث ذلك ؟ . . إنه هو لا يعرف .

وقد وصف حالته هذه بقواه :

فجأة أحسست أن هواء يهب على وجهى . . وأحسست أن الهواء يتسلل إلى داخلى ثم يملأ نفسى ويهزها بعنف . وإذا بى أسمع من يقول لى فى داخلى :

حانت ساعة العمل . الآن . استعد . ثم إننى لا أعرف بالضبط ماذا حدث . وأشعر بشئ من الخفة والإرتياح . وكأننى كنت أحمل آلاف الأطنان وبسرعة سقطت عنى كل هذه الأوزان الثقيلة . فإذا بى خفيف رشيق . . كأننى لم أعد شيئاً مطلقاً .

* * *

جاء فى كتاب « النور الخفى عن العيون » للشيخ عبد الرحمن عثمان نور من المنصورة :

كنا فى مدينة فارسكور وكان الطريق إليها صعباً . وركبت حمارى . وورائى ثلاثة آخرون قد ركبوا حميرهم ؛ وكنا نتحدث عن الذى أصاب أحد أقاربنا فقد غرقت زوجته فى النيل منذ شهر . وسقط ابنه فى الساقية ومات . وبعدها بأيام داست جاموسته أحشاء طفله الصغير . . وكان الحزن غالبا علينا . . وإن كنا نؤمن بقضـــاء الله وقدره فإن هذا لا يمنع الإنسان أن يحزن ويبكى على الذين فارقونا من الأحياء . . ثم سادت لحظة صمت . وفجأة لاحظت أن واحداً من الذين معنا كان يجلس فوق الحمار بشبرين . . ثم نظرنا إليه . . فوجدناه يعلو ويعلو . ولما حاولنا أن نشده لم نستطع وبعد لحظات عاد الرجل إلى مكانه على ظهر الحمار .

يقول الشيخ عبد الرحمن نور من علماء الدين : « وحمدت الله سبحانه وتعالى أنني لست الوحيد الذى يستطيع ذلك . فقد داخلني الغرور وظننت أن الله قد أعطانى ما لم يعطه لأحد من الناس . . فكثيراً ما وجدت نفسى فوق السرير بعشرة أشبار ولا أعرف لماذا . وكنت أخاف أن يعرف الناس ذلك . . ولما وجدت صاحبنا جالساً عاليا عن الحمار . . تركت نفسى فارتفعت إلى مستواه . . ولم نستطع أن نتكلم . . ولما رآنا بقية الناس هربوا وتركوا حميرهم . . ولا تمضى لحظات حتى نعود إلى مكاننا على ظهر الحمار . وقد أرهقنا التعب وأغرقنا العرق . ولا نعرف لذلك سببا . والله أعلم » .

* * *

من أشهر الحوادث فى التاريخ أيضا ما جرى للملكة فيكتوريا . فقد كانت مثل ملكة هولندا الحالية وهتلر ، تؤمن بالأرواح والاتصال بها . وقد توفى الأمير البرت زوج الملكة . وفوجئت الملكة فى يوم من الأيام بأن إحدى الصحف قد نشرت هذا الخبر :

أحد الوسطاء قد تلقى رسالة من العالم الآخر . الرسالة من المرحوم الأمير البرت . إنه يريد الاتصال بالملكة وأن يبلغها شيئا خاصاً .

وفرحت الملكة فيكتوريا بهذا النبأ وأرسلت اثنين من رجالها لحضور جلسة استدعاء روح الأمير . وكتب « الوسيط » الرسالة . وفوجئت الملكة بأن خط الوسيط يشبه خط الأمير إلى حد كبير . ثم إن توقيع الأمير لا يعرفه أحد سواها ! .

وبعد ذلك طلبت الملكة من هذا الوسيط أن ينتقل إلى الإقامة فى داخل القصر . وكان هذا الوسيط ينقل إليها يوميا رسائل من زوجها المحبوب كل يوم . ولكن روح الأمير طلبت إلى الملكة إنه يفضل رجلا آخر . . هذا الرجل هو خادم فى أحد قصورها . ولكن هذا الخادم كان شرساً وكان وقحا فى معاملته للملكة .

وبدأت الشائعات تملأ بقية قصور الملوك والأمراء والنبلاء : إن الملكة على

علاقة بأحط الناس فى قصرها . وأنها لا تختار إلا الخدم . ولا تحب إلا الجلوس إليهم والإنفراد بهم فى ساعة متأخرة من الليل

– ولم يعرف الناس ولا المؤرخون حقيقة هذه العلاقة ، إلا بعد أن كشفت الأسرة المالكة البريطانية أسرار وخفايا الملكة فيكتوريا بعد ذلك بمائة عام ! .

* * *

وفى أمريكا صدر كتاب بعنوان : « تحرير العبيد كيف ومن الذى أعطاه للرئيس لنكولن سنة ١٨٦١ » من تأليف الكولونيل كيس .

يروى المؤلف أنه كان فى مجلس النواب عندما تقدمت سيدة إلى الرئيس لنكولن تقول له : أرجو الاتصال بى فى أقرب وقت .

ويقول المؤلف : وسألت عن هذه السيدة . وعرفت مكانها ، وذهبت وهناك فوجئت بالرئيس لنكولن . ولم يكد يدخل حتى جاءت فتاة مغمضة العينين واتجهت إلى لنكولن . وألقت محاضرة طويلة عن أن الله خلق الناس متساوين وأنه لا سلام ، ما لم تكن هناك حرية ولا حرية إلا إذا تساوى الناس جميعا . وقالت له : إن هناك مجلسا روحيا يحكم هذا العالم . وأن هذا المجلس قرر اختيارك فى منصبك هذا لتكون جمهوريات كثيرة فى العالم . . ولتكون حرية بين الناس .

ويقول : وفوجئنا بأن هذه الفتاة قد أفاقت . . ولما عرفت أن الواقف أمامها هو الرئيس لنكولن ، أصيبت بحالة من الفزع ! .

– ومن المؤكد أن الشيخ عبد الرحمن نور لم يقرأ هذا الكتاب ولم يسمع عنه . . ولذلك فالحادثة التى يرويها فى بيت أحد العمد فى مدينة المنصورة تبعث على الدهشة والذهول . . فهو يقول إن فتاة صغيرة دخلت بصينية القهوة . وفوجىء الحاضرون بأن الفناجين قد ارتفعت عن الصينية واتجهت نحو الضيوف .

والعجيب أن أحداً لم يخف من الذى يراه ، وكأنما كان يتوقع ذلك . ؟ والحقيقة أن الذهول قد منعهم حتى من التعبير عن الخوف . ثم إن الفتاة كانت مغمضة

العينين واتجهت إلى أحد الأطباء الحاضرين وقالت له : فلانة علاجها كذا وفلانة علاجها كذا . . وأنت قد اختارك الله لكى تنقذ فلانة التى تلد هذه اللحظة فاذهب إليها . . ولما أفاقت الفتاة ، ووجدت هذا العدد الكبير من الناس ، خافت وراحت تبكى .

ـ ثم أصدر الرئيس لنكولن إعلانه الشهير بتحرير العبيد فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٦٢ ، وتم تحرير أربعة ملايين من العبيد . وأصبح هذا الإعلان نافذا من أول يناير سنة ١٨٦٣ .

وقد تناول الكثير من المؤرخين هذا الإعلان الخطير . . ولكن من المؤكد أنها قد أثرت فى تاريخ شعب ، أو تاريخ الشعوب ، تماماً كما أن اتصال الملكة فيكتوريا بروح زوجها ، قد غير سلوكها والكثير من قراراتها الشخصية والرسمية .

هؤلاء أناس
عاشوا قبل ذلك!

ـ الإنسان فى كل العصور فى حيرة من أمر هذا الشىء الذى يحدث لكل الناس . صغاراً وكباراً ، أغنياء وفقراء أصحاء ومرضى ، ملوكا وخـدام ، بشرا أو حيوانات ، أو نباتات : أن يموتوا .

إن كثيراً من اللغات القديمة جداً لا تعرف كلمة الموت : ولكن تعرف كلمات لها هذا المعنى : الإختفاء أو التلاشى أو الغياب أو التعفن . . ومعنى ذلك أن الناس من أقدم العصور يعرفون أن أى أحد ، لابد أن يتوقف عن الحركة وعن العمل وأن تظهر له رائحـة كريهة ولذلك يجب وضعه فى التراب أو إعطاؤه للحيوانات أو أن يقوم أهله بأكله . . المهم أن يختفى هذا الجسم الذى فارقته الحياة .

وعندما انشغل الإنسان بالموت انشغل أيضا : بأين يذهب الميت؟ أو أين تذهب الحياة والحيوية والحركة وروح الميت ؟ .

هل سبب انشغال الإنسان بالذين اختفوا هو انشغاله هو أيضا بما سوف يحدث له بعد ذلك ـ أى بعد أن يموت . إن الإنسان يريد أن يعرف . وهو فى نفس الوقت لا يريد أن يذهب إلى الناحية الأخرى ، دون أن يترك أثراً ، أى دون أن يطيل من عمره بعض الوقت : . أى تمتد حياته مرة أخرى بعد هذه الحياة .

ولكن الإنسان منذ عشرات الألوف من السنين : كان يضع الميت وإلى جواره الكلب الميت والدجاجـة الميتة والشجرة الميتة . وينظر إليها جميعـا ويدرك أنها لا تختلف بعضها عن بعض . فالإنسان والحيوان والنبات ، أمـام الموت سواء . . جثة هامدة خامدة . قطعة من الخشب أو قطعـة من الجلد أو تراب فوق تراب .

ومن أقدم العصور نجد أن عند الإنسان إيماناً : بأن هناك حياة بعد هذه الحياة . ولذلك نجد قبور الموتى قد امتلأت بالطعام والشراب والملابس وكل ما كان يملكه الميت . حتى إذا عادت إليه الحياة وجد كل ما يحتاج إليه فى حياته الجديدة .

وكانوا يعتقدون أن أغنياء الدنيا هم أغنياء الآخرة .. بمعنى أن الإنسان الغنى الذى يملك الطعام والشراب ، هو الذى سوف يعيش مرة أخرى . . أما الفقراء . فإذا ماتوا فلا حياة لهم بعد ذلك . . فالموت للشعب ، والحياة بعد الحياة للملوك والنبلاء والأغنياء ورجال الدين .

ثم أصبح الموت ديموقراطيا . . مثلما يموت كل الناس ، فسوف يعيش كل الناس بعد الموت . ولذلك امتلأت مقابر الفقراء ، كبيوتهم بكل ما لديهم من أطعمة وملابس وأموال وأدعية وتعاويذ — من أجل الحياة بعد هذه الحياة .

— وفى ١٩٢٠ عثرت إحدى البعثات الأثرية فى مدينة « أور بالعراق » على مقبرة لإحدى الملكات التى عاشت من ٤٥٠٠ سنة . ووجدت البعثة الأثرية فى هذه المقبرة ٦٨ شخصا آخرين وقد حملوا السهام والنبال والرماح . إنهم حرس الملكة . فلما ماتت قرروا أن يموتو وراءها لحمايتها فى الحياة الأخرى . لقد انتحروا جميعا . إنهم نقلوا أنفسهم إلى العالم الآخر ، لحماية صاحبة الجلالة .

وظلت هذه العادة القديمة عند القبائل البدائية فى أمريكا — عند الأنكاس — وعند الهنود فى العصر الحديث . . فى الهند — مثلا — إذا مات الزوج . فإن الزوجة تحرق نفسها فى نفس اللحظة التى يحترق فيها جثمان الزوج . فلا حياة لها إلا معه . ولذلك تنتقل إلى العالم الآخر بعده — وكان ذلك نوعاً من الوفاء للزوج . وليس شرطاً ضرورياً أن يكون الزوج والزوجة على وفاق . فإن الزوجة ترى أن تعامل الزوج بأخلاقها هى ، وليس بأخلاقه هو ، فإذا كان الزوج لا يستحق هذا الإخلاص وهذه التضحية من زوجته ، فإنها ترى أن الوفاء والتضحية من أخلاقها ، حتى لو كان زوجها كلبا . بل إن الزوجة الهندية تنتهز فرصة وفاة الزوج ، لتشهد العالم حولها ، على أنها أحسن وأفضل منه ! .

وقد رأيت هذا المشهد فى حياتى مرة واحدة . وكنت حريصاً على ذلك .

فقد كان ذلك فى مدينة بومباى ١٩٥٩ . وقد دعانى صديقى لأرى جثة رجل ميت يحرقونه ، النار عالية ويلقون على النار السمن والشحم وتتوهج النار أكثر .

ويأتون بالفقيد ، الذى أغرقوه هو الآخر فى الشحم . ثم يلقونه فى النار . ومن حوله الناس يصلون ويصرخون . . وينتظرون شيئاً هاماً . إذا حدث تفرقوا . هذا الشئ الهام هو فرقعة عالية . . هذه الفرقعة هى إنفجار جمجمة الفقيد فإذا حدثت الفرقعة عرفوا أن روحه قد صعدت إلى السماء . . ورغم أن المشهد كان بشعا ورائحة الجلد والشحم كانت فظيعة ولم تفارق أنفى سنوات . . فإن المشهد الذى بعد ذلك كان أعنف وأقسى من أن يتحمله أى إنسان . . فقد جاءت فتاة صغيرة حلوة الملامح فى غاية الشباب والحيوية . . العينان كبيرتان لامعتان ، الشفتان دقيقتان ، الأنف صغير والوجه مشدود والخصر عريان ، وقد ارتدت أجمل ملابسها وأكثرها تلونا ، وكل مجوهراتها . وصبغت قدميها بالحناء وصرخت أنا لا شعوريا . قالوا لى زوجته .

قلت : مالها ! .

قالوا : ألم تات لهذه المناسبة ؟ .

صرخت : أية مناسبة ؟ .

قالوا : إنها سوف تحرق نفسها .

وتقدمت الفتاة الصغيرة الـ[illegible]رة وألقت بنفسها غير خائفة من النار . ولفتّها ألسنة النيران وتعالى دخان الشحم والدهن وحدثت الفرقعة . . وصعدت روحها لتعانق روح زوجها الفقيد فى مكان آخر رمزاً للوفاء وللحياة معاً على « الحلوة » فى هذه الدنيا ، و « المرة » فى العالم الآخر ! .

وعند قبائل الأنكاس فى أمريكا ، كان الشعب يفعل كل شئ من أجل الأمبراطور الذى مات — الناس يصلبون أنفسهم فى جنازته . ليستأنفوا السير وراءه فى العالم الآخر . . وكذلك زوجات الملك ينتحرن فى نفس اليوم . وكذلك العشيقات ورجال القصر . . وكان ولى العهد يتولى ذلك بنفسه . وكان أولياء العهد ينتهزون هذه الفرصة ليتخلصوا من خصومهم السياسيين . وفى إحدى وثائق قبائل االأنكاس وجدنا نقشا على أحد الجدارن لأحد أولياء العهد يقرأ ورقة مكتوبة تقول : وقد

نصحنا الفقيد أن نطلب إليكم جميعا أن تؤكدوا إخلاصكم له . . فهذه هى اللحظة التى كان ينتظرها منكم ! .

– ولا يسع الناس بعد هذه الكلمات إلا أن يتعجلوا الموت . . فيقتل الواحد منهم الآخر . أو يضع لنفسه السم . فقد ناداه الأمبرطور من وراء القبر ، ويجب أن يلبي النداء . ويصفو الجو لولى العهد الجديد ! .

وفى إحدى المقابر الفرعونية القديمة بمدينة طيبة عثروا على تماثيل خشبية للحاشية والخدم والزوجات والعشيقات والطيور والحيوانات . فقد كان الفراعنة يعتقدون أن الميت سوف يلجأ إلى السحر فى إحياء أصحاب هذه التماثيل . واستدعائهم للخدمة فى قصره ، بعد هذه الحياة ! .

وليست الأهرام إلا أعظم المقابر التى أقامها الإنسان فى التاريخ . فى الهرم توجد غرفة الملك . وغرفة الدفن . ومع الملك توجد كل احتياجاته من الطعام والشراب ووسائل المواصلات. فإذا صحا من النوم – وحياتنا هذه هى النوم ، أما الحياة فهى التى بعد الموت – فإنه سوف يجد كل شئ جاهزا : العربة والحصان والحرس والطعام والمال والمجد فى السماء .

وحتى لا ينهض الملك الميت فيجد نفسه من عامة الشعب مفلسا ، بلا مال ولا سلطان . فإن الملوك كانوا يتفننون فى إخفاء كل « ممتلكاتهم » حتى لا يصل إليها اللصوص : ولذلك صنعوا الدهاليز الطويلة التى تحتها الآبار . وصنعوا الأبواب السحرية : . ووضعوا رسومات للتضليل . ومع ذلك فإن الفراعنة لم يفلتوا من اللصوص مطلقاً .

والعالم كله الآن مبهور بكنوز الملك توت عنخ آمون . . لأن هذه الكنوز قد سلمت من يد اللصوص . أما الملك توت عنخ آمون نفسه فليست له قيمة تاريخية . . وأما كنوزه فهى التى لها كل القيمة . . فقد عاش تافها وهو الآن يعيش عظيما . . بل أعظم من خوفو بانى الهرم الأكبر والذى لا نعرف له أثراً . . اللهم إلا تمثالا

صغيرا . . أما بقية مظاهر عظمته فقد استولى عليها اللصوص . . وهذا هو المقلب الذى شربه الملك خوفو ، فلابد أنه يتسول الآن فى عالم الأرواح ! .

ولكى يعود الإنسان – عند الفراعنة – سليما معافى . يجب أن يظل جسده سليما أيضا . لأن الجسد هو الثوب الذى تحل فيه الروح . . ولذلك حرص الفراعنة على تحنيط الجسد وسلامته تماماً . . أما الذى انكسرت ذراعه أو فقئت عينه ، فسوف يكون كذلك يوم قيامته مرة أخرى ! .

ولذلك كان الملوك ينتقمون من خصومهم الذين ماتوا فيشوهون جثثهم . . أو يشوهون النقوش الموجودة فى قبورهم . فيقطعون رقابها أو يمحون عيونها . . فإذا صحا هؤلاء كانوا مشوهين ! .

ومنذ أقدم العصور أيضا كان هناك اعتقاد بأن الطريق إلى العالم الآخر ليس سهلا فلابد من « رسوم للدخول » . . هذه الرسوم هى الحساب . فلا يستوى الشرير والخير والغنى والفقير . والمريض والسليم . وهذا الحساب أمام محكمة عادلة . وهذه المحكمة تزن الحسنات والسيئات . والذين أحسنوا لهم حياة أفضل من الذين أساءوا . هذا المعنى تكرر منذ ألوف السنين فى كل المعتقدات القديمة ، وقبل أن تظهر الديانات السماوية .

– فعند الفراعنة نجد أن هناك محكمة أوزوريس : تضم ٤٢ قاضيا . يحاسبون الميت ويزنون روحه .

وعند النبى زرادشت الفارسى نجد أن الطريق إلى الحياة الأخرى طويل . ولابد أن الميت – روح الميت – يجتاز طرقا ضيقة وملتوية حتى يصل فى النهاية إلى الراحة الأبدية . فأمام روح الميت طريق اسمه : جسر الفراق .

وهذا الجسر يضيق ويتسع بحسب الروح التى تمر عليه . . فتارة يكون عريضا وتارة يكون مثل حافة السيف وعلى الروح أن تمشى على السيف فلا تقع أو تقع فى الهاوية . . وهذا الطريق هو الذى عرف فى بعض الأديان السماوية : بالصراط المستقيم أى بالطريق الحاد كالسيف .

وفى القرآن الكريم وصف للجنة رائع ووصف للنار مروع . وفى القرآن أيضا أن الله غفور رحيم . وأنه يغفر الذنوب ، إلا أن يشرك الإنسان به .

ولكن أروع صفات الجنة فى القرآن الكريم قوله تعالى : « لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاماً سلاماً » :

منتهى الراحة والهدوء . . وفى نفس الوقت منتهى الإكتفاء الذاتى . فما دام الإنسان لا يحتاج لشىء فإنه لا يتكلم ولا يمد يدا ولا عينا ولا يحرك قدما . ومادام الإنسان مكتفياً بذاته ، فإنه ليس فى حاجة إلى أن يتحـدث إلى أحد . . وإذا تحدث « فبكلمة ورد غطاها » : سلام عليكم . عليكم السلام ! .

• • •

وعند قبائل الأزت نجد أن صورة الحياة بعد الموت ، تتأثر بالطريقة التى توفى عليها الإنسان . . فالذى مات غريقا يبعث يوم القيامة سمكة . .والذى سقط من بيته ، يبعث يوم القيامة كلباً . والذى مات قتيلا ، يبعث يوم القيامة عصفوراً . . ويظل يعيش بهذه الصورة إلى الأبد . . أما الذى مات وهو يصلى فسوف ينهض يوم القيامة إنساناً . . ويقال إن النساء تعلمن الصلاة ، خوفاً من أن يموت الرجل وحده ، فيتزوج امرأة أخرى يوم القيامة . أى أن المرأة ليست مؤمنة بطبعها ، ولكن الضرورة حكمت عليها بالإيمان . وكانت قبائل الأزت تكره الطلاق . . وترى أن الأفضل أن يقتل الرجل زوجته . . أو تقتل المرأة زوجها . . وفى ذلك انفصال تام لهما بعد الحياة . . فسوف يبعث كل منهما فى صورة حيوان مختلف ! .

– وكانت عند الإغريق حياة تحت الأرض .

جهنم فى الأرض ، والجنة فى السماء .

أما جهنم فقد أبدعت أساطير الإغريق فى وصفها ، أما الجنة فلم تثر خيال الشعراء . وكانت جهنم اسمها هاديس . وفيها ألوف القصص والنوادر لأشكال العذاب والتعذيب والهوان والقهر . فالذى تعذبه الآلهة ترميه فى جهنم ، أو ترمى

زوجته أو حبيبته فى جهنم وتتركه وحده على سطح الأرض يدبدب فوقها ولا يدرى أين هى . . أو يسمع صوتها ولا يرى صورتها ، أو يرى صورتها ولا يسمع صوتها أو يراها ويسمعها من حين إلى حين . ويظل هذا المعذب يتوسل للآلهة لعلهم يرضون عنه . فإذا رضوا أعادوها إليه ، أو أنزلوه إليها .

ويقال أن الفتى أورفيوس قد نزل إلى جهنم ليرى زوجته . ودخل النار برجليه . وعفت عنه الآلهة . وأخرجوها وراءه . ولم يصدق أن زوجته سوف تخرج وراءه فتلفت ليراها . وكان ذلك إخلالا بالشرط الذى اتفق مع الآلهة عليه : ألا ينظر وراءه ليرها ! .

فلما نظر تحولت زوجته إلى قطعة من الملح وفقد إحدى ذراعيه ! .

وعاد أورفيوس إلى الأرض حزيناً . . وظل أورفيوس ينزل النار ، وينظر وراءه حتى فقد كل أطرافه وعينيه وأذنيه . . وبكت الآلهة حزناً عليه ، وأخيراً صدر العفو عنه ، فخرجت زوجته من النار وخرج معها . . ولكن كانا شبحين يهيمان فى الغابات . . فلاهما من الأحياء ولا هما من الأموات ! .

وهناك اجتهادات فلسيفة صوفية فى شكل الحياة بعد الحياة .

من بين هذه الاجتهادات ما قاله الفيلسوف اليونانى فيثاغورس . فهو يعتقد أن الحياة لا تفنى . . وأن الميت سوف يعيش بعد ذلك . . وليس من الضرورى أن يعيش إنساناً ، فمن الممكن أن يعيش حصاناً أو حماراً أو ثعباناً أو شجرة أو زهرة . المهم أن الحياة لا تتلاشى . فقد لاحظ الفيلسوف اليونانى منذ ٢٣ قرنا أن الإنسان يموت . فإذا مات وضعناه فى التراب فيكون تراباً . وتجىء النباتات فتنمو من التراب وتجىء الحيوانات فتأكل النباتات ، ويجىء الإنسان فيأكل الحيوانات . فالحياة تعيش على الحياة . والأحياء يأكلون الأحياء . . ولا تنتهى الحياة . . أى لا موت هناك . وإنما الحياة تتخذ أشكالا وألواناً مختلفة .

ويقول فيثاغورس : إن الروح كائن مهاجر . . تنتقل من جسم إلى جسم . .

وعملية الإنتقال هذه تطهير للروح وتصفية لها . . فإذا تطهرت تماماً انتقلت إلى عالم فى منتهى الصفاء والشفافية وهذه هى السعادة الأبدية .

أو بعبارة بوذية : فإن الإنسان يغتسل فى النهر الملىء بالطمى . وبعد ذلك ينتقل إلى البحيرة ذات الماء المالح . . فالبحيرة ماؤها أصفى من ماء النهر . ولكن ملحها يلسع البشرة . وبعد ذلك ينتقل الإنسان إلى التطهر فى بحيرة ماؤها حلو . . ولا يزال ينتقل من ماء إلى ماء حتى يصبح طاهراً تماماً . . وهذه الطهارة لا تجىء إلا من الانتقال المستمر من مياه قذرة إلى مياه نظيفة ثم مياه أنظف ! .

– وليس هذا إلا تعبيراً رمزياً . . فالروح تنتقل من جسم إنسان إلى جسم حيوان ثم إلى جسم حيوان ثم إلى جسم إنسان . . وهكذا إلى الأبد وإلى أن يتم نقاؤها المطلق .

ومن أكثر النظريات انتشاراً نظرية : التناسخ أو التجسد . . ومعناه أن روح الإنسان تحل فى جسم آخر . سواء كان ذلك جسم إنسان أو حيوان .

والديانة « البوذية » ترى أن الإنسان هو المسئول عن عذابه فى الدنيا والآخرة . والذى يعذب الإنسان : رغباته وشهواته والإنسان يتعذب فى الدنيا بهذه الرغبات ، فإذا انفصلت روحه عن جسده . فإن الروح تظل متأثرة بحياتها الدنيوية . . فالشهوانى يظل كذلك ، والعاشق يظل كذلك ، والظالم كذلك ، والبخيل والكريم والأمين والطيب . . ولذلك فمن الخير للإنسان أن يختصر رغباته ، وينقص نزواته . . حتى لا يتعذب بعد هذه الحياة . .

وأسعد الناس فى الدنيا ، أسعدهم فى الآخرة . . أما السعادة فهى أن يقف الإنسان متفرجاً على نهر الحياة : لا يريد الماء ، فلا يعطش . . ولا يتحرك فلا يتسخ . وإنما « لا يبالى » بأى شىء . . فإذا أصبحت اللامبالاة مطلقة ، كانت هى السعادة المطلقة . .

فالذى لا يشتهى ، هو الإنسان الحر . . الذى لا تتحكم فيه رغباته ونزواته . والذى لا يأكل هو الذى لا يجوع ، فلا تتحكم فيه اللقمة وقطرة الماء . .

والذى لا يحكم ، هو الذى لا يظلم ولا يظلمه أحد ، ولا ينتقم ولا ينتقم منه أحد ، والذى لا يكره ولا يتربص به أحد . . فخير للإنسان أن يكون حراً لا يتحكم فيه شيء أو أحد !

وهذه العقيدة البوذية قد أثرت فى حياة ألف مليون نسمة فى آسيا : الهند والصين واليابان . وهم يرون أن الجسد هو سجن الروح . ولكن الروح سوف تظل سجينة ترزح من جسم إلى جسم حتى تتساقط عنها كل الذنوب . . حينئذ تكون طيراً خفيفاً فى سماء الخير المطلق . . أى فى سماء الله !

* * *

لقد رأيت رجلا يموت فى جزيرة بالى بأندونيسيا . . الرجل بوذى . شيخ قبيلة . أحس أهله أن ساعة النهاية قد قربت . فأتوا بكاهن القبيلة . وهذا الكاهن راح يشرح له ما سوف يحدث له بعد الموت . تماماً كأنه مدرس يغشش تلميذاً صغيراً . وكان الرجل مرهقاً وعيناه زائغتان . ومن المؤكد أنه لم يكن يسمع شيئاً مما قاله الكاهن . . ولكن الكاهن مضى يروى صور العذاب بعد الموت وشكل جهنم . .

ولم يقل للرجل المسكين كلمة واحدة مشجعة . . أو حتى يجد له عملا واحداً يستحق عليه أن يدخل الجنة ولو دقيقة واحدة . . ومات الرجل أمامنا . ولم يسكت الكاهن . بل مضى فى لهجة عالية عنيفة . عرفنا فيما بعد أنه يطلب إليه أن يسرع فى خطاه نحو الموت !

وكان لا بد أن أسأل تفسيراً لهذا المشهد الفظيع . قيل لى أن الكاهن يعاقبه بالفعل .

وهم يعتقدون أن الميت إذا عذب فى الدنيا . فلا داعي لعذابه فى الآخرة ، وهى فكرة معقولة فمصائب الدنيا كثيرة . والنار ليست هناك ، وإنما هى هنا .

ولما كان هؤلاء البوذيون المساكين يعيشون فى جزيرة صغيرة ، واحدة ضمن ثلاثة آلاف جزيرة أندونيسية ، فإن هذه الفكرة الوجيهة ليست لها شعبيـــة فى آسيا أو فى العالم كله ! .

– وكان الكاتب الكبير الدوس هكسلى من أشد الناس إعجاباً بهذه الفكرة . ويرى أن كمية العذاب فى هذه الحياة كثيرة بحيث يجب الاكتفاء بها . ولا داعى لعذاب آخر بعد ذلك ، ولكن إلى من يتكلم الدوس هكسلى . . أو إلى من يتقدم بهذا الملتمس ؟

* * *

ونظـــرية حلول روح الإنسان فى جسم آخر قــد وجدت من يؤيدها فى العصر الحديث . فقد اكتشف بعض علمـــاء النفس وهم يعالجون بعض المرضى . أن المريض وهو ممدد على السرير أمام الطبيب يقـــول : عندى إحساس بأنى عشت قبل ذلك . . فى بلد آخـــر فى سنة كذا . . وفى عنـــوان كـــذا . . واسمى كان فلانـــاً . .

وبعض الأطباء قد سافـــر إلى هذه الأماكن التى تحدث عنها المرضى . وبحثوا عن العنـــوان وعن التاريخ وعن الأسماء فوجدوا أنها مضبوطة تماماً – مع أن المسافة بين زمن المريض والزمن الذى يتحدث عنه عشرات السنين . . وأن هذا المريض لم يذهب فى حياته إلى هذه المدينة .

هناك حادثة معـــروفة فى تاريخ الدراسات الروحية : فتاة هندية فى التاسعة من عمـــرها . قالت إنها كانت تعيش قبـــل ذلك . وإنها ماتت وهى تلد . وإنها كانت تسكن فى بيت رقم كذا بشارع كذا بمـــدينة تبعد عنها مئات الأميال .

وينتقـــل الطبيب ويذهب إلى المدينة . فإذا بالفتاة الصغيرة تدله على الشارع وعلى البيت وعلى الشقة وعلى الغـــرفة . . وهى لم تر ذلك من قبل .

ويسأل الطبيب فيكتشف أن واحـــدة عاشت فى هذا البيت من خمسين عاماً . وأنها توفيت أثناء الولادة . . ولهـــا نفس الاسم ؟ !

أما آخـــر النظريات الحديثة – والتى سوف أعرضها فيما بعد – فهى التى تعتمد فى معلـــوماتها على عدد من الناس قد ماتوا « طبياً » – أى أصبح من المؤكد أنهم موتى أو سوف يمـــوتون . . ثم عادوا إلى الحياة . . ووصفوا ما رأوه فى لحظات الموت هـــذه . . ووصفوا الموت . . ووصفوا كيف تنخلـــع الروح من الجسد . . أو كيف تطـــرح الروح رداء الجسد . . أو كيف يفلتـــون من « اختناقات » الجسد إلى انطلاقات الروح بين أرواح أخـــرى . وأشكال وألوان لنـــوع آخر من الناس فى العالم الآخـــر . : وسوف أروى ذلك بالتفصيل فيما بعـــد . .

إنه الاهتمام الشديد بما بعـــد الحياة . قد شغل الناس من ألوف السنين . . ولذلك لم يتوقف الإنسان عن البحث عن طريقة للاتصال بالعالم الآخـــر . . أو للتلصص على ما وراء الحياة ، لعله يعرف . . ما سوف يحدث له . . أو لعله يريد أن يكون على صلة ما ، بأناس أعزاء عليه . .

وجاءت الوساطات الروحية ، تؤكد أن هذا ممكن . . فقد تلقى الوسطاء رسائل من العالم الآخر . . بأصوات الموتى . أو أصوات قريبة من أصواتهم الأصلية . . فنجـــد أن الشخص « الوسيط » أى الإنسان الذى لديه هذه القدرة الخاصة أو « الخاصيـــة » على أن يتصل بالعالم الآخر قد تغيرت معالمه وتغير صوته . . وامتدت يده تكتب أو يملى على أحد . . أشياء لا يمكن أن يعـــرفها هو شخصياً . . يتكلم بلغات يجهلها أو يكتب بلغات يجهلها . . أو يصف علاجاً أو اختراعاً . . أو يتكلم فى موضوعات شخصية تهم بعض الذين جلسوا حوله . . أى أن الوسيط يتصل بشكل ما ، بقـــوى أخرى . . وعالم آخـــر . . وينقل إلينا من هناك ، ما لا نعرفه نحن وما لا يعرفه هو . . ولكن المعنى هو : أن هناك عالماً آخـــر . . لا نعرف بالضبط ما هو . . ولا كيف هو . . ولكن نعرف بشكل ما ، أنه هناك . .

وهذا يؤكد الحلم القديم عند الإنسان من عشرات الألوف من السنين أن روحه موجـــودة هناك ، ضمن ملايين الأرواح . وأنه يمكن الاتصال بها واستدعاؤها

بطـــرق خاصة . هذه الطـــرق لم تتضح لدينا علمياً . لأن وسائل المعـــرفة ما تزال محدودة . . وأن بعض الناس لديهم بعض المقـــدرة .

تماماً كما أنه ثبت لدينا علمياً الآن أنه على مدى ملايين السنين الضوئية توجـــد حضارات أخرى وأن هذه الحضارات متطـــورة ، وأننا نسمع من الفضاء الخارجى إشارات صوتية . . وهذه الإشارات تؤكد وجود كائنات أخرى . . ولكن وسائل الاتصال بها ما تزال عاجـــزة . . أى وسائلنا العلميـــة فى الاتصال بالحضارات الأخـــرى ما تزال بدائية . . وعندما تتطور وسائل الاتصال ، فإننا سوف نكتشف شيئاً عجيباً .

– وكذلك وسائل الاتصال بالعالم الآخـــر ، وسائل قاصرة لا يقـــدر عليها إلا بعض الناس . . وهؤلاء الناس ليسوا عادة فى حالة نفسية . . جيـــدة . . وإنما فى حالة نفسية مرهقـــة – أو كالمريضة . ولكن المعنى المطلـــوب يتأكد يوماً بعد يوم وهو أن هناك عالماً آخر يقترب منا ، أو نقترب منه يوماً بعد يوم !

هذا الطفل هو الدلاى لاما أى الأب الروحي للتبت وكان الكهنة يختارونه بطريقة خاصة ويؤكدون أن هذا الطفل ليس الا روحا لقديس آخر عاش قبل ذلك مئات المرات وسوف يعيش بعد ذلك .

ومن السقف
تسقط الفاكهة طازجة ؟

– عميد المسرح العربى يوسف وهبى عنده قصص وحكايات لا يصدقها العقل . ولكنها صحيحة ومؤكدة . فقد رأى فى بيته وهو شاب أن رجلا يجىء من الصعيد يمد يده فى النافذة فيأتى بالأطعمة الساخنة . . أو بالأطعمة التى يطلبها منه الناس فيقال له مثلا : هات لنا دجاجا مشويا وهات لنا عشاء كاملا من محل جروبى .

ولم يكن لهذا الرجل إلا شرط واحد : أن يدفع الحاضرون ثمن الطعام الذى يحضره . وكانوا يدفعون . وفى لحظة يمد يده خارج النافذة ويجىء الأكل ساخناً طازجا ! .

وليس من الضرورى أن يحدث ذلك فى البيت وإنما أيضا فى القطار .

هذا الرجل الطيب اسمه الشيخ طنطـــاوى جوهرى . فإذا جلس الناس معه فى القطار قالوا : يا عم الشيخ نحن الآن بالقرب من أسيوط . والدنيا حر جداً . . ونحن جائعون . . نريد آيس كريم يا عم الشيخ .

وكان يقول لهم بصوت منخفض : الفلوس أولا . . ويدفعون . ثم يفتح نافذة القطار وتعود يده وعليها صينية وفوقها الآيس كريم المطلوب ! .

تسمع مثل هذه الحكايات والنوادر من يوسف وهبى . وتسمعها من توفيق الحكيم . ويقول توفيق الحكيم إن مثل هذه الحوادث الغريبة العجيبة هى التى جعلته يؤمن باللا معقول – أى بالشىء الذى لا يفهمه العقل ولكنه يحدث كثيراً أو بعبـــارة أخرى : ليس كل ما « لا » يعرفه العقل غير الصحيح ، وإنما هو صحيح ولكن العقل « لا » يستطيع أن يفهمه .

أو بعبارة أخرى : ليس كل ما تعجز يدى عن حمله غير موجود . . وإنما هناك أوزان ثقيلة جداً لا تقوى على حملها إلا الطائرات . . ولكن يدى لا تستطيع ! .

أو بعبارة أخرى : هناك موجات أصوات لا تستطيع أذنى أن تلتقطها ، مثل الموجات الإذاعية والتليفزيونية . . ولكن هناك أجهزة قادرة على ذلك .

– فهل معنى ذلك أن كل ما تعجز عنه عينى وأذنى ويدى ، يعتبر غير موجود؟ ! .

إنه نفس المعنى ونفس القضية .

وفى الريف عندنا حكايات كثيرة من هذا النوع . فى مدينة فارسكور كان يعيش رجل اسمه عم عبد الله الزهيرى . . وكان يطلق على نفسه أسماء كثيرة . . فتارة هو عم عبد الله ومرة عم عبد الدايم . . ومرة الشيخ حسين . . وكان يظهر فى المنصورة وفى فارسكور وفى دمنهور . . وكان يعترف : بأنه أناس كثيرون . . وأنه شخصيا لا يعرف بالضبط من هو الآن ! .

عم عبد الله هذا كان يجلس تحت شجرة وتجىء نساء القرية كلها . واحدة « تتوحم » أى تقول : نفسى فى المشمش . ولا يكون ذلك أوان المشمش . . فيقول لها : حاضر .

ويحضر المشمش . ويطلب إليها أن تمد يدها تحت جلبابها . فتجده . وتقول واحدة : أريد سكر نبات .

ويقول لها : حاضر .

ويحضر سكر النبات .

وتقول واحدة : أريد قطعة من الجبن الرومى .

ويقول : حاضر .

وتجد المرأة ما تريد .

وفى إحدى المرات – وقد روى هذه القصة د . عبد العزيز الشهاوى فى كتابه

« عجائب الروح » – طلبت عروس إلى عم عبد الله هذا : يا عم عبد الله . لقد تزوجت منذ خمسين يوماً .

فيقول لها : أعرف .

وتقول له : ولكنى لست من هذه البلاد . . إننى من الإسكندرية .

فيقول لها : أعرف . . وتسكنين فى بيت رقم كذا فى شارع كذا . وزوجك اسمه كذا . . وأنت تعتقدين أنه لا يحبك . . وأنك وحدك التى تحبينه .

فتقول له : تمام يا عم الشيخ .

ويقول لها : إنه يحبك . . وأنت راحته فى هذه الدنيا . . وأنت السر الكبير فى حياته . . وإنه حريص عليك حرصه على نفسه وعلى أن تظل هذه العلاقة حتى الموت . . فأنت لا تعرفين قدرك عنده . . ولم يعرف أحد قدرك ومزاياك إلا هذا الرجل . . صدقيه لكى تستريحى ويستريح هو أيضا . . خذى هذه يا ابنتى .

وتمد العروس يدها لتجد ورقة مكتوبا عليها اسم : صلاح .

وتقول له : من هذا يا عم عبد الله ؟ .

فيقول لها : أنت حامل . . فإذا جاءك ولد فاجعلى اسمه : « صلاح » . . قومى يا أم صلاح . . عودى إلى بيتك والرجل الذى يحبك ! .

وقبل عم الشيخ عبد الله هذا بخمسين عاماً وفى مدينة لندن جلس عدد من العلماء حول فتاة وسيطة لها شهرة فى تاريخ الروحانيات اسمها : أنبيس نيكول .

الغرفة مظلمة تماماً . . إلا من مصباح خافت . بعيد فى أحد الأركان . والذين حولها عشرون . والفتاة هدأت ثم راحت تتنفس بصوت عال . وفجأة دخلت فى حالة إغماء . وبدأ لونها يزداد شحوباً ، والعرق ينزل قطرات كبيرة من جبينها .

وفجأة وأمام الحاضرين جميعا سقطت من السقف على المنضدة ، كومة من

جميع أنواع الزهور . ولم يكن ذلك أوانها . . إنها كزهور الربيع . وكان الوقت شتاء بارداً جليديا .

– وامتدت الأيدى تتلمس الزهور . إنها طازجة ، كأنهـا قطفت من أشجارها توا . وعليها قطرات الندى . ورائحتها قد ملأت الغرفة تماماً .

وفجأة مرة أخرى وجدوا فى أركان الغرفة شجيرات بلوط ارتفعت حتى السقف . وامتدت الأيدى الخائفة تتلمس أوراقها وأغصانها . . إنها حية . ولم تكن أوراق هذه الأشجار فى ذلك الوقت من السنة منتعشة هكذا .

– وفجأة اختفت كل هذه الزهور . . وكل هذه الأشجار . . وصحت « الوسيطة » النائمة .

وأعيدت هذه الجلسة عشرين مرة . وفى كل مرة يرى الناس شيئاً عجيباً من الزهور والطيور والأشجار والأطعمة . ولكن الجديد بعد ذلك أنهم عادوا بالزهور والطيور إلى بيوتهم وتناولوا الأطعمة الحقيقية الباردة والساخنة كما يريدون . فلم تكن هذه الوسيطة بعد ذلك تأتى بما تريد هى ، وإنما بما يطلبه منها الحاضرون – تأكيداً لصحة ما تقوم به . وأنها لم تخدع أحداً . وإنما ما يجرى أمامهم صحيح حتى ملموس .

فى ذلك الوقت ظهر عالم إنجليزى كبير ، وهو كبير وعظيم بكل مقاييس العظمة العلمية فى العالم . إنه مع العالم الكبير جداً تشارلز داوروين قد اكتشف نظرية « التطور » أو البقاء للأصلح من الحيوانات . هذا الرجل هو د . الفرد رسل والاس .

وقد اهتم العالم الكبير والاس بهذه الظواهر الغريبة وهو فى العشرين من عمره . فقد عاصر ظاهرة التنويم المغناطيسى . وانشغل بها . ولم يجد لها تفسيراً علميا . ثم سافر إلى المناطق الاستوائية . . ورأى الطب البدائى عند القبائل الإستوائية . ورأى كيف يستطيع ساحر القبيلة أن يصنع أشياء لا يعرف العقل كيف يفسرها حتى يصدقها .

ورأى أن ساحر القبيلة مثلا يمسك الأرنب وينفخ فيه فإذا هو أسود بعد أن كان أبيض . . ثم ينفخ فيه مرة أخرى فإذا هو يرتد إلى لونه الأصلى . . وساحر القبيلة واقف عريان أمام الجميع . فليس فى الإمكان أن يخفى شيئاً فى ملابسه . . ثم وجد ساحر القبيلة وقد جاءته امرأة مشلولة لا تقوى على الحركة . وإذا هو يمر بيديه على جسمها . . ويصب عليها بعض قطرات الماء . ولا تمضى لحظات حتى تنهض السيدة تمشى على رجليها . . والطبول تدق فرحة بهذا الحادث العجيب .

وتقدم والاس لأحد السحرة بعصا وطلب إليه أن يغير لونها . . وكان ذلك مستحيلا لأن العصا من المعدن . وأمسكها ساحر القبيلة فجعلها فى لون الفضة ثم فى لون الذهب . . ثم جعلها من الزجاج . . كل ذلك فى لحظات .

وطلب إليه والاس أن يغير لون العصا ويترك له هذه العصا حتى اليوم التالى . . وفعل الساحر ذلك . وفى كل يوم يذهب والاس إلى ساحر القبيلة ليعطى للعصا لوناً آخر . . وفى آخر يوم طلب إلى والاس أن يعطيه قطعة من القماش وقدمها له . . وتحولت العصا إلى مسحوق ناعم !

– وحار والاس فى ذلك . ولم يهتد إلى شىء . وكل الذى خطر له هو : أن هناك قوة غير مفهومة عند بعض الناس . ولكن كيف توجد فيهم ؟ كيف يكتشفونها فى أنفسهم ؟ . كيف يستخدمونها ؟ كيف نشرحها للناس ؟ كيف نجد الدليل العقلى العلمى على ذلك ؟ . .

لم يهتد إلى شىء . ولكنه كان يتلقى خطابات من أصدقائه فى لندن يؤكدون له أن ظاهرة الروحانيات قد انتشرت بين الناس . وأنها لم ترح الناس ، وإنما ضاعفت قلقهم وفزعهم ، وفى نفس الوقت يتطلع الناس إلى رجل فى مثل علمه وعقله أن يشرح لهم ذلك ؟ !

وأرسل د . والاس خطاباً إلى خطيبته يقول لها : « حبيبتى . . اعذرينى فأنا مشغول عنك . . ولكنى سوف أعود إليك أقوى وأقرب . وسوف نرتبط أعمق .

وظهـــر عالم كبير اسمه كروكس . . وهو أيضاً من العلمـــاء العظام . وكلمته لها وزن . واجتهاداته تلقى الاحترام .

فقد كان واحداً من الذين يشهدون جلسات تحضير الأرواح . ورأى شيئاً جديداً . رأى « الوسيطة » قادرة على أن تستدعى إحدى الأرواح « فتتجسم » أمام الجميـــع . . تبدو كالسحابة البيضاء . وبعد ذلك تتضح معالمهما تماماً . حتى تصبح جسماً ملموساً له ملامح واضحة . وتتحرك أمامه وأمام كل الحاضرين .

والأستاذ كروكس أيضاً قد احتاط لأية خدعـــة . . فكان يدخل الوسيطة هذه فى غرفة من الزجاج المحكم تماماً . ولكن يفاجأ بأن روحاً قد ظهرت تتحرك فى مكان بعيـــد عن الوسيطة التى سقطت على الأرض على وجهها . . ويجد أن هذه الروح قد اقتربت منه ووضعت ذراعها حوله . . ويلمسها فيجدها لحمـــا بشرياً . . ويقيس نبضها فيجده ٧٥ ويقيس نبض الوسيطة فيجده ٩٠ . . ثم يلتفت إلى الروح التى تجسدت فيجدها قد ارتدت ملابس بيضاء . . وأطـــول من الوسيطة ، أكثر شباباً وأكثر هدوءاً . .

وفى إحدى المرات سأل الوسيطة إن كان فى استطاعته أن يلتقط صوراً لهذه الروح فوافقت ، فأعد خمس كاميرات فى هذه الغرفة والتقط ٤٤ صورة تعتبر من أعجب الإنجازات فى تاريخ البحث العلمى الحـــديث !

ولم تكن هذه الوسيطة التى استعان بها د . كروكس سوى فتاة صغيرة فى الخامسة عشرة من عمـــرها . . لا تعرف سوى اللغة الإنجليزية . ولكنها عندما تصاب بحالة الإغماء فإنها تتكلم اللاتينية واليونانية وبقية اللغات الأوروبية الحية !

وأعجب من ذلك أنها تترجم إلى الإنجليزية قصائد للشعراء اللاتين وملحمـــة هوميروس !

ويستحيل أن تكون فى ذلك أية خدعـــة من أى نوع — هكذا يقـــول د . كروكس .

أما هذا العالم العظيم سير أوليفـر لودج فله قصة من أعجب قصص التاريخ . إنه عالم كبير . لا خلاف على عظمته . ولكن هذا الرجـل له حب كبير . فقد قتل ابنه فى الحرب العالمية الأولى . وكان موته مفاجأة له . فقد مات بسرعة وفى موقـع بعيد عن ميدان القتال . ولكنه قضـاء الله . وكما كان ابنه حبه الكبير ، فقد كان موته حزنه الأكبر . يقـول العالم لودج : « كأن ذراعى قطعت وتدلت من كتفى . . كأن عينى فقئت وتدلت على وجهى . . كأن قلبى انخلـع وألقى تحت قدمى . . لقد مات ولدى . ولا أعرف لمـاذا بهذه السرعة . . » .

ولكن قبل أن يتلقى نبأ مصرع ابنه أرسلت له إحدى الوسيطات رسالة من العالم الآخـر تقـول فيها : أنت رجل حكيم وليس عليك إلا أن تصبر أمـام قضـاء الله .

وبعد ستة أيام تلقى نبأ مصرع ابنه . وعرف أنه فى اللحظـة التى تلقى فيها هذه الرسالة كان ابنه قد مات !

ـ ودخل سير أوليفـر لودج عالم الروح عن طريق الحب الشديد لابنه . فقرر أن يكون على صلة دائمة به . وحضر جلسات الأرواح ونقـل إليه الوسطاء رسائل كثيرة بينه وبين ابنه . وعرف كيف مات وكيف هو الآن . وأصبح لودج هذا حجة فى الروحانيـات . وحاول أن يفهم وأن يشرح بالضبط ما هـذا الذى يجرى فى هـذه الجلسات .

وكان الوسطاء عندما يستحضرون روح ابنه ، يكون خط الوسيط مطابقاً تماماً لخط ابنه . . ثم أن الوسيط ينقـل للأب الحزين أدق الأسرار التى كانت بينه وبين ابنه . . وفى إحدى المرات لم يكن الإبن قد صارح أباه بأنه يحب جارته . وطلبت الروح فى إحدى الجلسات أن يذهب إلى مكان وسط المدينة ، وأن يتجـه يساراً فيجد بيتاً عند نهاية الشارع ، وأن يصعد الدرج إلى الدور الثالث . . وهناك يجد رسالة ملفـوفة فى ورقة تحت مخـدة سرير صغير تقـول : « لقد اتفقنا

على كل شيء . أنا فقط الذى أستطيع أن أهبك السعادة ، وأنت أيضاً . . سوف أحبك حتى الموت . . »

ويذهب الأب فى نفس اللحظة التى تلقى فيها هذه الرسالة إلى نفس المكان ويجد رسالة بخط ابنه إلى فتاة أحبها . وأصبح من المستحيل عليهما أن يتزوجا بعد ذلك . . فكلاهما متزوج ! .

والسير أوليفر لودج كأى عالم مخلص قرر أن يخدم العلم الجديد – الروحانيات – حياً وميتاً . فلذلك ترك رسالة وأوصى بأن تفتح بعد وفاته . وفى هذه الرسالة يطلب من كل الوسطاء أن يستحضروه ليخبرهم ما الذى شاهده بعد الموت ، وكيف يمكن الاتصال بعالم الروح .

وقد اتصل الكثيرون بروح أوليفر لودج بعد وفاته سنة ١٩٤٠ . وامتلأت كتب الروحانيين بأحاديثه وحكاياته وتفسيراته العلمية ووصفه للعالم الآخر والحياة بعد الموت .

وقبل ذلك فى نهاية القرن التاسع عشر وجدنا عالما إيطاليا شهيرا اسمه : لمبروزو . هذا الرجل قد تخصص فى دراسة الجريمة وملامح المجرمين . . ولكنه كان يتشكك فى الروحانيات . وكتب مقالات كثيرة يسخر فيها من سخافة الإيمان بمثل هذه الخرافات . وطلب أن يحضر جلسة من هذه الجلسات .

ودعوه إلى جلسة . وكانت الوسيطة إيطالية . وهى سيدة ساذجة . واستطاعت هذه الوسيطة أن تأتى له بالفواكه فى غير موسمها . . وأن تأتى له بالأطعمة وأن تأتى له بأشياء من مكتبه . . وكانت المسافة بين المكتب والبيت بعيدة . ولكن الرجل لم يصدق .

وأخيراً سقطت من سقف الغرفة ورقة . وهذه الورقة وقعت على رأسه . ومد يده ليجدها آخر صفحة فى كتاب ألفه عن الجريمة . ولم يكن أحد يعرف موضع هذا الكتاب ولا مكانه .

وألف لمبروزو كتاباً بعنوان « بعد الموت – ماذا ؟ » . وفى هذا الكتاب يؤكد اقتناعه بأنه يمكن الاتصال بعالم آخر ، لايعرف بالضبط ما هو ولا أين هو . . ولكنه مختلف تماماً عنا . وأن وسيلة الاتصال به تتم عن طريق « شيء ما » موجود عند الموتى وموجود عند بعض الأحياء .

أما هذا « الشيء ما » الذى لمسه لمبروزو ولم يعرف ما هو ، فقد اهتدى أحد العلماء الألمان إلى اسمه ، واختار له اسم « اكتوبلازم » – أو البلازم الخفى أو السرى أو السحرى .

– ومعنى ذلك أنه توجد فى الإنسان الحى مادة – بعض الناس فقط – وعن طريق هذه المادة الموجودة عند بعض الناس وعند كل الموتى ، يمكن الاتصال والاستحضار والاستدعاء .

هذا العالم الألمانى اسمه سترفلك نوتسنج . . وهذا العالم الألمانى لم يضف شيئاً جديداً . وإنما فقط وضع أصبعه على تفسير مؤقت . ولكن العلم الحديث يريد أن يعرف كيف يمكن الاستفادة من هذه المادة ، إن وجدت ، وكيف يمكن تنميتها بعد ذلك .

وفى أغسطس سنة ١٩٧٥ فى مدينة روما جلس عدد من علماء الفزياء الحديثة حول طفل فى الحادية عشر من عمره . والمناسبة : هى أن هذا الطفل ظهرت عليه قدرات غير مفهومة . فهم يأتون إليه بصور الموتى الذين لم يعرفهم . من المؤكد أنه لا يعرفهم ، فبعضهم مات من مئات وألوف السنين . وقد وضع هؤلاء العلماء كاميرات فى كل مكان وأسلاكا كهربية وعدادات ذرية لتسجيل كل ما يمكن أن يحدث لهذا الطفل ، أو فى هذه الغرفة . أما الأضواء فكانت حمراء خافتة . وأما الطفل فقد جلس على معقد خشبي ،ومن الضرورى أن يكون المقعد من خشب . ثم قدموا له الصور واحدة واحدة . وتحتها أسماء خاطئة . وبعد لحظات وبعد أن يصاب الطفل بحالة من الإغماء الشديد ، يتكلم وهو يقول : هذا هو الفيلسوف سقراط . . عاش فى أثينا . . وزوجته اسمها كذا . . وأولاده وتلامذته ، وهو يشرح لهم الآن

نظرية كذا . . هذا هو الإسكندر الأكبر . هذا هو فريدريش الأكبر . . هذا هو نابليون .

ثم يعرضون عليه صوراً لأناس عاديين من بلاد مختلفة .

وبعد أن يروى قصة حياة كل منهم يفاجأ الحاضرون بأن الشخص الميت قد تمثل أمامهم إنساناً بلحمه وملابسه ، ولكنه يكون عادة أطول وأنحف وأهدأ من شخصيته المعروفة . . ويلتقطون له عشرات الصور التي تؤكد أنه هو .

– وقد كتب العالم الفزيائى الفرنسى الكبير الأمير لوى دبروى فى مذكراته يقول : « كانت الجلسة العاشرة . . وقد احتطنا لكل شىء ، وأرى أنه لا توجد خدعة . وإنما نحن فى كل مرة أمام لغز : كيف استطاع الطفل ذلك ؟ . . وما هى قدراته ؟ . . وما حدودها ؟ وكيف يتحقق ذلك فى كل مرة ؟ لابد أن أجيالا من بعدنا سوف تجد تفسيراً ينهى دهشتنا العاجزة » .

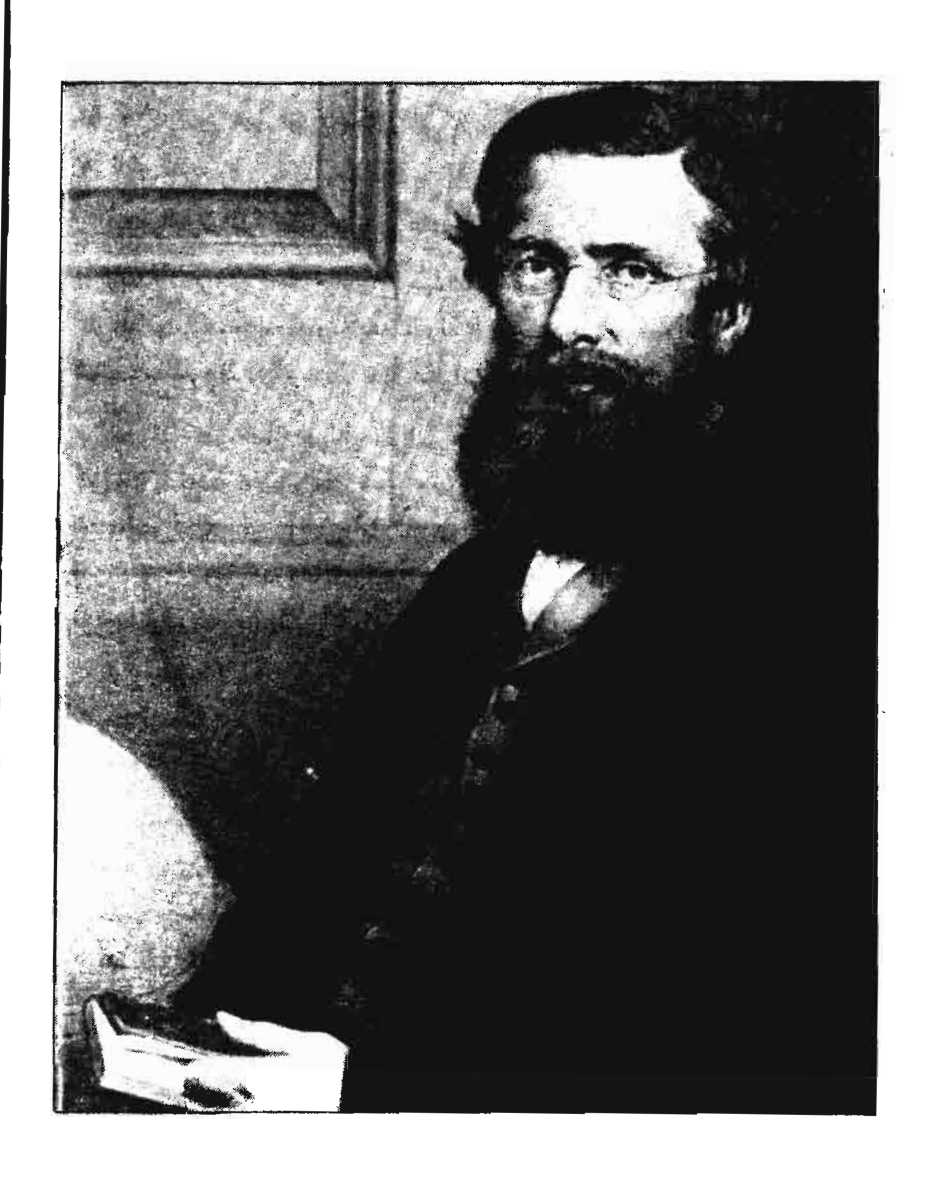

● هذا العالم العظيم هو الأستاذ والاس الذى شارك العالم الكبير تشارلز داروين فى اكتشاف نظرية « البقاء للأصلح » . . هذا العالم أيضا قد دفع الروحانيات خطوة واسعة إلى الأمام . .

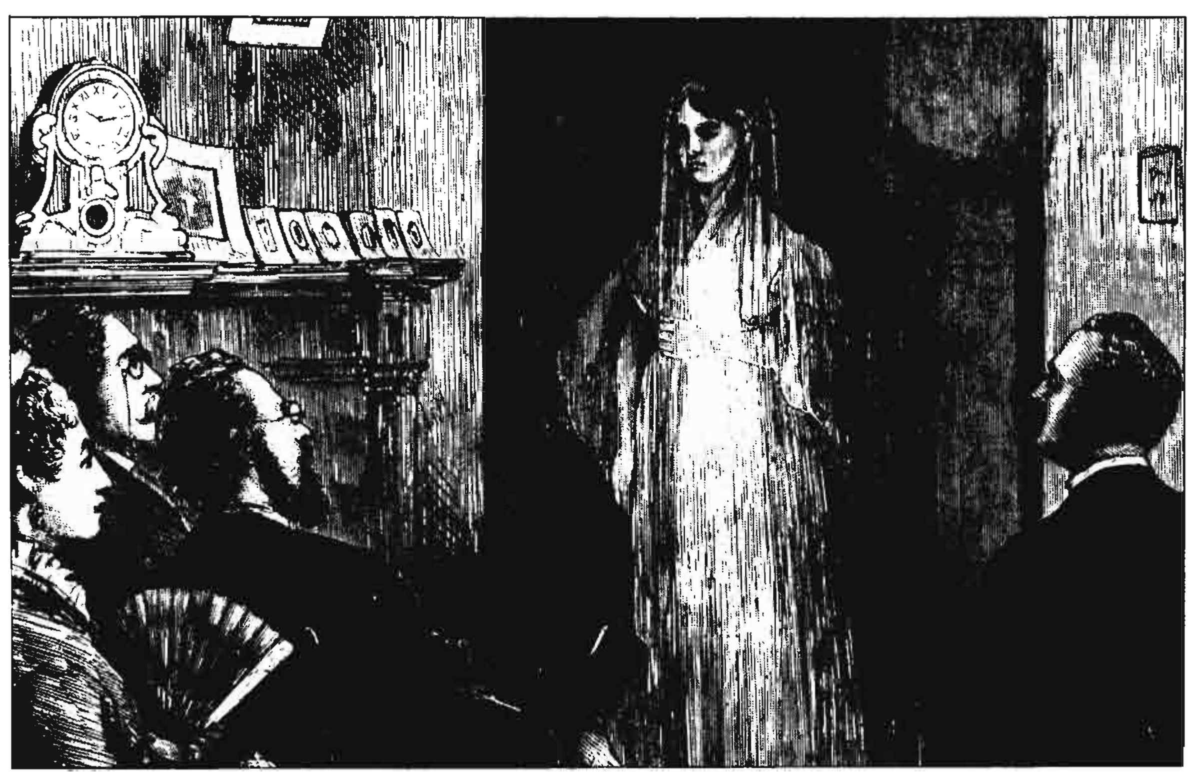

● وفى أولى جلسات تحضير الأرواح فوجئ الحاضرون بأن سحابة بيضاء تحولت إلى شخص له ملامح . وظلت الملامح تتضح حتى تحولت إلى فتاة لها لحم ودم ولها نبضات . .

إذا فاتحه الناس بالكلام تكلم . وإذا لم يفعل أحد من الناس ، فإن الرجل يظل جالساً فى مكانه يتلفت حوله . . وأحياناً يضحك . وأحياناً يبدو عليه الاهتمام الشديد كأنه يستمع إلى أحد لا يراه الناس . . وإذا نظرت إلى وجهه فإن الوجه أبيض والبشرة لينة ناعمة . والعينين صافيتان . كل شىء يدل على أن الرجل فى منتهى الهدوء وفى غاية الراحة . من أين يستمد هذه السعادة ؟ لا أحد يعرف . وإذا نظرت إلى ملابسه . . إنها ليست جديدة ولكنها نظيفة . إن ملابسه أقرب إلى الخرق القديمة . ولكنها متماسكة . . إن ملابسه تشبه الإنسان الفقير النظيف فى نفس الوقت أما حذاؤه فجديد دائماً . . بل إن الذى ينظر إليه بوضوح يخيل إليه أنه خرج من العلبة الآن . وأن الرجل لم يمش به على الأرض . . ويقول الناس : إنه يطير ولا يمشى على الأرض . ويدللون على ذلك بنظافة حذائه ! .

ولا بد أن يسأله الناس : كيف حالك يا عم الشيخ .

– حالى عال . . كيف حالكم أنتم ؟ .

ويضحك ويضحك على حال الناس .

ويسألونه : إلى من تتكلم يا عم الشيخ ! .

– إلى أسيادى وأسيادكم يا بهائم يا حمير يا كلاب يا أولاد الكلاب .

ويضحك كأنه قال نكتة .

وكثيراً ما مضى الشيخ أبو رواش يشتم الناس إلى غير نهاية . ولكن إذا شكا أحد من الناس من ألم أو وجع ، تغيرت معالم الشيخ أبو رواش . وأحس أن ساعة العمل قد أزفت . . وأن هذا واجبه . . هنا تتغير معالم الرجل . وتصبح حالته عصبية . ويظهر الشحوب على وجهه ويمد ذراعه إلى مكان الألم . فيختفى الألم بإذن الله .

– كم أم جاءته قبل الولادة ؟ كم طفل اختفت أوجاع عينيه وأسنانه وأمعائه بمجرد أن لمسها الشيخ أبو رواش . . كم مرة مد الشيخ أبو رواش يده إلى تراب الأرض واعتصره ثم تركه ينزل سكراً أبيض . . أو دقيقاً ناعماً . . أو سمناً أو عسلا . . أو دواء . . كيف فعل ذلك لا أحد يعرف .

ويقولون إنه عندما يتكاثر عليه الناس ويرهقونه بطلباتهم ، يظهر شيخ آخر يمسك عصا وينهال بها ضرباً على الناس ، لعلهم يبتعدون عن الشيخ أبو رواش . . ولا أحد يعرف اسم صاحب العصا هذا . . ولكنه فقط يظهر عندما يشتد الزحام حول الرجل الطيب ! .

أعود إلى كتاب « أسرار الشيخ طنطاوى جـوهرى » من تأليف السيد عبد اللطيف الحسينى يقول المؤلف :

فى إحدى الليالى وكنا فى أسيوط . جاء رجل يحملونه على ظهورهم . الرجل مشلول تماماً . وكان عدد الحاضرين عشرين . يتوسطهم الشيخ طنطاوى . وبدلا من أن يضعوا الرجل المشلول على الأرض برفق ، فإنهم ألقوه على الشيخ طنطاوى . وتفادى الرجل المشلول أن يقع فوق الشيخ طنطاوى وإنما تساند عليه ثم نهض الرجل المشلول واقفاً . ونهض الشيخ طنطاوى يمر بيديه على كل جسم الرجل .

ولم يصدق الرجل المشلول أنه قد شفى تماماً ، بمجرد أن لمسه الشيخ طنطاوى .

وكان الشيخ طنطاوى يتكلم إلى الناس فى موضوعات مختلفة ، واستأنف الحديث ، كأنه لم يحقق معجزة طبية . واقترب أولاد الرجل المشلول يسألون الشيخ طنطاوى : لقد شفيت الرجل فكم ندفع لك .

وكان رد الشيخ طنطاوى : ادفعوها للفقراء . . إن الله سبحانه وتعالى هو الذى شفاه عقاباً لكم . . فأنتم تتعجلون موت والدكم يا كلاب . . يا أولاد الحرام ! .

ونهض الشيخ طنطاوى غاضباً ومد يده إلى جيب واحد من أبناء الرجل المشلول

وأخرج ورقة كتبوا عليها تنازلا من أبيهم عن كل ما يملك لهم ، حتى يحرموا إخوتهم الآخرين من أم أخرى ! .

ثم قرأ الورقة على الناس ومزقها .

يقول الذين رأوا ذلك اليوم : إن هذه الأوراق تحولت إلى غربان سود . . تضرب رؤسهم . وأصيب الناس جميعا بالفزع . . واختفى الشيخ طنطاوى ! .

وكتب الروحانيات بها عشرات الألوف من القصص والنوادر لأناس كهؤلاء . والمؤلفون يسجلون هذه الأحداث ، ويسجلون معها أسماء الذين شاهدوها ، كدليل على صحتها .

وعلى الرغم من هذه الحوادث فإن « الروحانيات » أو التجارب الروحية ما تزال بين الشك واليقين . وما تزال الذين يصدقونها أقل بكثير من الذين يتشككون فيها .

ولكن فى أعقاب الحروب فى العالم يزداد فزع الناس وخوفهم . . ويزداد خوفهم على الذين فارقوهم من الأبناء والآباء . ويتمنى كل إنسان لو استطاع أن يكون على صلة ما ، بالعزيز الذى ذهب ولن يعود .

وأكثر الذين لديهم هذا الاستعداد الروحى ، هم أكثر الناس حزناً . . أى أكثرهم شفافية . . إنهم أصحاب الآلام الكبرى ، والفجائع العظمى .

كم من أم نهضت فى الليل مفزوعة تقول : ولدى ! .

ويكون ولدها قد مات . وتقول إنها رأته . إنها سمعته . . إنها لمسته . ولا يكون شىء من ذلك . وتكون الأم المفجوعة صادقة فيما تقول . ولكن الناس يقولون : مسكينة . سوف تفقد عقلها !

إن ألوف الأمهات قد أحسسن بذلك ، ولكن أحداً لم يقرأ هذه القصص لأن الأمهات لم يؤلفن كتباً .

ولا توجد أم لم تشعر بابنها البعيد عنها وتقول : إنه مريض . . لقد رأيته الآن فى عيادة طبيب .

ثم تبكى الأم بكاء موجعا .

وتمضى أيام وتتلقى الأم خطاباً من ابنها البعيد أنه كان مريضاً ، وأنه ذهب للطبيب . فى نفس اللحظة التى أحست به الأم .

وكثيراً ما أحست الأمهات والآباء بعد فقد إنسان عزيز أنهم مربوطون به . . إنهم يريدون أن يعرفوا كيف حاله الآن . . أن يسمعوا عنه شيئاً . ولذلك يذهب الناس إلى المشتغلين بالأرواح ، وهم فى حالة من الشك . ولكن عندما تنعقد جلسة استحضار الأرواح يتلقى الوسيط رسالة من هذا الابن الذى توفى يقول فيها لأمه : إنه بخير . . وأن عليها أن تهتم بصحتها وأن تذهب إلى الدكتور فلان فهو الوحيد القادر على علاجها . . وأنها إذا لم تذهب ، فعلاجها كذا وكذا . . وأن الشيء الذى ضاع منها وتبحث عنه موجود فى الدولاب أو قد سرقته الخادمة .

ويكون كل ذلك صحيحاً . ويصبح الاتصال الروحى عادة . . ثم عقيدة عند بعض الناس .

وعلى الرغم من أن الاتصال بالعالم الآخر قد تغيرت أساليبه ، فإنه لم يتقدم كثيراً .

ونحن فى الشرق لم نساهم كثيراً فى تطوير الاتصالات الروحية ، لا بالدراسة ولا بالحصول على معلومات مفيدة . ولكنهم فى أوربا وأمريكا قد تجاوزا الحدود وذهبوا إلى أبعد مما ذهبنا إليه .

فبدلا من استخدام « السلة » التى يضعون فى مقدمتها قلما ، ثم يمسكها اثنان ويتركانها تتحرك من تلقاء نفسها ، وبدلا من الجلوس حول مائدة مكتوب عليها الحروف الهجائية ويضعون أصابعهم على كوب متحركة أمام هذه الحروف وتسجل الكلمات المطلوبه ، فإنهم يستخدمون أجهزة التسجيل الالكترونية ، والكاميرات الشديدة الحساسية .

ولم يعد أحد فى أمريكا وأوربا يخاف من ممارسة الوساطة الروحية . ففى أمريكا حوالى ٢٥٠٠ جمعية مسجلة قانوناً . وهناك ٤٨٠ كنيسة تمارس النشاط الروحى . وفى بريطانيا ٣٥٠ صحيفة مسجلة و ٢٥٠ كنيسة .

وفى بريطانيا كان القانون حتى سنة ١٧٣٤ يمنع الوساطات الروحية ، لأنه كان يضعها تحت مادة : الاشتغال بالسحر الأسود . وهذا السحر فيه نصب واحتيال وابتزاز لأموال الناس . ولكن المشتغلين باستحضار الأرواح ، لا ينطبق عليهم هذا القانون لأنهم أناس يحاولون أن يعرفوا ماذا يجرى هناك ويحاولون أن يفيدوا بعض المرضى ، إن استطاعوا .

قال لى ضابط مصرى كبير جداً : كنا فى سيناء . الدنيا ليل . والصمت رهيب وكنت قد نمت طول النهار . وأشعر بنوع من الراحة والصفاء . ولكن الظلام ونجوم السماء والصمت والرمال شىء رهيب . . وكانت السماء قريبة جداً تمثل للإنسان أنه يستطيع أن يمد يده فليتقط نجومها اللامعة.. وفجأة مددت رجلى وذراعى واسترخيت . وشعرت بالسعادة فقد كانت الموسيقى تجىء من بعيد صافية . . وكانت إحدى أغنيات أم كلثوم التى أحبها . . ومن بعيد رأيت أناسا يركبون الجمال . . والخيول . . فأدركت أن هذا فرح بدوى . . وأن هذه الموسيقى تجىء من هذه الزفة . . وأسعدنى أن تذهب هذه الوحشة الرهيبة ، وأن يتبدل كل شىء إلى زفاف هادىء جميل .

وفى اليوم التالى تكرر نفس الشىء . وعندما رويت لزملائى ما حدث فى الأيام السابقة قفزت نظراتهم كأننى رجل مجنون ! .

فقد كان من المستحيل أن تجىء الموسيقى من أية ناحية . فلا توجد قرى إلا على مسافة عشرين أو ثلاثين ميلا من أى اتجاه . وإذا كانت موسيقى من أى نوع فمن المستحيل أن تصل إلى أذن أحد . وإذا كان فرح وزفاف ، فلا يمكن أن يمر بهذه المنطقة الجرداء التى ليست بها طرق .

إذن هذا الذى رآه الضابط الكبير جداً وهو مفتوح العينين ، يستحيل أن يكون له وجود حقيقى . ثم إنه لم يكن نائماً وإنما هى حالة من « الشفافية » أو التى يسميها الروحانيون حالة « جلاء بصرى » . أى قدرة الإنسان على أن يرى ما لا يستطيع أحد أن يراه ! .

ومعنى ذلك أنه رأى ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت .

ولم يعد هذا الضابط الكبير يروى شيئاً مما يراه لأحد ، حتى لا يتهمه الناس بالجنون .

وفى إحدى الليالى قال : إن المشهد تغيرقليلا . لقد فوجىء بأناس يجرون بسرعة . ولمح بينهم واحدا من إخوته . وكان هذا الأخ مريضاً . ثم نقلوه واختفى المريض بين الناس . وأصيب الضابط بفزع شديد لهذه الصورة غير الواضحة التى رآها . وقرر أن يسافر إلى الغريش . ومن العريش اتصل بأهله ليعرف أن أخاه هذا قد مات فى نفس اللحظة التى رأى أشباحاً تحمله وتخفيه بينهم ! .

ـ ولم تتغير جلسات تحضير الأرواح من ناحية الشكل ، وإن كانت نظرة الناس إلى هذه الجلسات قد تغيرت . فالناس ينظرون إلى المشتغلين بالأرواح ، على أنهم أناس يبحثون فى ظروف صعبة . أو يبحثون عن شىء من الصعب الوصول إليه ، ولكنهم لا يعرفون اليأس . ولذلك يجب أن نشجعهم على ذلك . فمن يدرى ربما تقدمت العلوم الإنسانية خطوة أخرى من أجل الإنسانية ! .

وشكل جلسات الأرواح : أن يجلس أناس معاً متقاربين . وأن يتوسطهم واحد « وسيط » وهو أكثرهم شفافية ، واستعداداً لاستقبال القوى الخفية من العالم الآخر . وهذا الوسيط لديه قدرة خفية تجعله قادراً على أن يتصل به الآخرون من العالم الآخر . . فعن طريق الوسيط يمكن الاتصال بالآخرين . والوسيط هنا يشبه « الترانسفورمر » أى يشبه « المحول الكهربى » الذى يتلقى تياراً كهربياً قويا ، فيحوله إلى تيار كهربى عادى جداً .. فهو ساخن ملتهب من ناحية ، وأقل سخونة من ناحية أخرى . . ولذلك فالوسيط يعانى إرهاقاً شديداً بسبب هذا الدور الذى يقوم به .

وفى كل مرة تحل به روح ، فإنها ترهقه ، لأن هذه الروح تحتاج إلى « مادة م » فى جسم الوسيط لكى تكون قادرة على الكلام أو الكتابة عن طريقه . . هذه الروح تستهلك طاقة الوسيط . . ويبدو أيضاً أنها تستعين بهذه « المادة ما » الموجودة فى أجسام الحاضرين أيضاً ولذلك يشعرون بإرهاق شديد .

ويمكن أن يقال ذلك بعبارة أوضح وأسهل : لنفرض أن جماعة جلسوا بملابسهم كاملة فى الهواء الطلق . . وجاءهم واحد عريان ، فأخذ من كل الحاضرين بعض ملابسهم لكى يبدو واحدا مثلهم . . إن هذه الملابس التى أخذها من الآخرين قد جعلتهم يشعرون بالبرودة . . إن هذا بالضبط ما يحدث فى الجلسات الروحية . فالروح محتاجة إلى شىء ما تأخذه من الحاضرين . فإذا أخذته أرهقتهم تماماً .

ولكن بسرعة يجدد الجسم الإنسانى إفراز هذه المادة الخفية . . ويصبح الوسيط مرة أخرى قادراً على استقبال القوى الخفية من العالم الآخر ! .

فيشفون من أوجاعهم . . حدث ذلك ملايين المرات . وأمام كل الناس . كيف يحدث ذلك ؟ لا أحد يعرف .

إن عدداً من المعالجين الروحيين من الفلبين ، قد أذهلوا العالم كله . فى بلاد الفلبين تتوقف الطائرات الذاهبة إلى أمريكا والعائدة منها لترى رجلا أسمر نحيفا قد عصب عينيه . والناس يمرون أمامه . . فيضع يده على المعدة أو على القلب أو

على الظهر أو على المفاصل بسرعة غريبة . . وبعد لحظات يشفى كل إنسان من مرضه .

إنه لا يعرف أمراض أحد . . إن يده تمتد إلى مكان الداء . . ويمر الناس أمامه يومياً بالمئات .

إن هذا الرجل أيضاً يجرى عمليات جراحية بأصابعة . يفتح البطن . وينزل منه الدم . . ثم يحرك أصابعه فى داخل البطن ثم يمر بأصابعه على البطن المفتوح ويعيده إلى ما كان عليه .

يحدث هذا الآن فى أندونيسيا . والمجلات الطبية الأمريكية تصف ذلك بالتفصيل والأطباء والعلماء أكثر دهشة من المرضى . وقد صوروا الرجل وأصابعه . لا شيء غير عادى . أصابعه عادية . ولكن الشيء غير العادى : كيف يفتح البطن بأصابعه ، ثم كيف يعيده كما كان . . وكيف يمشى الناس على أرجلهم بعد ذلك دون أن يصاب أحد بتلوث أو تسمم أو دون أن يموت الناس . إن هذا المعالج الروحى الفلبينى لا يستخدم الأدوات المعقمة ولا غرف الانعاش . إن هذا يتم يومياً أمام الناس بعدساتهم وعيونهم المتشككة ! .

وكما أن الروح تحتاج إلى مادة خفيَة فى جسم الإنسان ، لكى تكون قادرة على الاتصال به . فإن هذه المادة الخفية هى التى تستخدمها الأرواح فى علاج الإنسان وشفائه من أمراضه . . ولذلك فهؤلاء الوسطاء يمرون بأصابعهم على المرضى

وفى البرازيل معالج روحى شهير جدا اسمه خوسيه أريجو . . لقد افتتح مستشفى ويعالج الناس مجاناً . ويقول خوسيه إنه يستعين بأرواح أعظم الأطباء فى العالم . إنهم يشخصون المرض ويوجهون يديه وأصابعه . . ويكون الشفاء بعد ذلك بإذن الله .

– وخوسيه يستخدم سكينا ولا يشترط أن تكون معقمة . بل إنه يطلب إلى الناس أن يأتوا بالسكين معهم . . وبعض الناس يحرص على أن تكون السكين قذرة ولكن خوسيه قبل أن يجرى عملياته . . يمر بأصابعه على السكين فتتحول من أسود إلى أبيض . . ومن نحاس أصفر إلى نحاس أبيض . . ومن غليظة إلى حادة . . كل ذلك فى لحظات . . ثم ترتعش السكين فى يده . . وتمشى فى جسم الإنسان بسرعة خاطفة . . ثم يمر ببطن السكين على المكان الذى فتحه ، فإذا هو ينسد ويعود إلى ما كان عليه . . وهناك صور وأفلام لذلك . . تؤكد أنه لا خدعة ، ولا نصب ولا احتيال .

وفى بريطانيا رجل اسمه هارى ادوردز ، هو أشهر المعالجين الروحيين فى العالم كله . . إنه رجل أشقر ضخم . يقف فى حالة غيبوبة والناس يمرون أمامه . . ويشعر الناس ، للحظة واحدة ، بما يشبه الصدمة الكهربية . بعدها يشفون تماماً من أى وجع ومن أى مرض .

إن هارى هذا يمد يده إلى بطن المريض وهو واقف ويخرج منه كيساً دهنيا . . أو يخرج منه جلطة دموية . . أو يخرج منه حصاة ، كل ذلك فى لحظات والناس يتفرجون .

وقد جاء فى كتاب من تأليف الطبيب د . المر رودرج يقول : ذهبت إليه متنكراً واخترت مرضاً يصعب تشخيصه أو علاجه بهذه السرعة . . ولم يسألنى عن مرضى . ولكنى أنا الذى شخصت له مرضى وطلبت إليه أن يعالجنى . . فلم أكد أقترب منه حتى صفعنى على قفاى . . ووجدت نفسى ملقى على الأرض ! فقد تضايق من أننى كذبت عليه .

ويقول الطبيب : ذهبت إليه بعد ذلك دون أن أشخص له مرضى ، ووجدته قد وضع يده على عمودى الفقرى يمر بها صعوداً وهبوطاً عدة مرات . . وأحسست بعدها أننى أحسن حالا . فقد كنت أشكو من أعراض إنزلاق غضروفى . ولا أجد أى سبب يدفعنى إلى تكذيب هذا الرجل ، صاحب القدرات الخارقة على العلاج والشفاء أيضاً ! .

• • •

وكثيراً ما جلس الوسطاء يسجلون قصائد لشعراء ماتوا ، هؤلاء الوسطاء لا يعرفون الشعر ولا يتذوقونه . أو أنهم وسطاء أميون ليس فى قدرتهم أن ينظموا قصائد وينسبوها إلى الآخرين .

إن وسطاء مصريين قد سجلوا مسرحيات لشوقى وقصائد لحافظ . . بل إن بعضهم سجل قصائد لمجنون ليلى . . صحيح أن هذه القصائد لا ترقى إلى مستوى قصائد هؤلاء الشعراء التى نشروها وهم أحياء . . ولكن بعض هذه القصائد قريب جداً من روح الشاعر . . وبعض النقاد يؤكدون أنها لا تختلف فى شكلها ومعناها عن قصائد الشاعر الحقيقية ! .

ومن أشهر الوسيطات فى أوربا سيدة كانت تستحضر أرواح كبار الموسيقين . وهى لا تعرف الموسيقى . . أى لا تعرف أن تعزف ولا تعرف كتابة النوتة الموسيقية .

هذه السيدة كانت تستحضر روح بتهوفن . . فإذا جاءت ذهبت إلى البيانو وراحت تدق بمنتهى العنف والسرعة المذهلة . . وتؤدى مقطوعات معروفة . . ومقطوعات جديدة أوحى بها بتهوفن نفسه .

وقد نشرت هذه السيدة كتاباً يضم مؤلفات جديدة لكبار الموسيقيين الذين ماتوا . وقد ظلت هذه الوثائق من عجائب الوساطات الروحية . فقد ضمت أعمالا موسيقية كاملة رائعة ! .

هذه السيدة يعرفها المشتغلون بالموسيقى العالمية واسمها روز مارى براون . وأهم مؤلفات هذه السيدة الجاهلة موسيقياً كتاب اسمه « سمفونيات ناقصة » . وفى هذا الكتاب صفحات كاملة بخط يشبه تماماً خط الموسيقيين العظام ، لأنها من وحيهم . أو من تأثير أرواحهم عليها .

وفى الكتاب مناقشات بين بعض النقاد وبين أرواح بتهوفن وباخ وشوبان وليست وتشايكوفسكى ومانيتوف وغيرهم .

والمناقشات حول موضوعات متخصصة جداً وشخصية جداً . . وهذه السيدة مستحيل أن تعرف أى شىء . لأنها ليست متخصصة بل جاهلة تماماً بعلوم الموسيقى والتأليف الموسيقى والغناء .

وإذا كان بعض الناس عندهم هذه الشفافية الروحية ، أى القدرة على استقبال الأرواح أو الإحساس بها أو رؤيتها أو سماعها . . فإن هناك أناسا عندهم القدرة على تجسيد الروح .

فهذا الضابط المصرى الكبير الذى تحدثت عنه فى أول هذا المقال عنده استعداد هائل لأن يكون وسيطاً بل إن الذى رآه : إما أن يكون قد رآه فعلا ، وذلك لأنه كان فى حالة شفافية . . وإما أن يكون فى حالة غيبوبة ، أى غياب عن الوعى وحلت به إحدى الأرواح فأصبح قادراً على الرؤية .

ثم إنه رأى شيئاً حدث لأخيه فى مكان بعيد عنه . . أى أنه استطاع أن يرى شيئاً أمامه . وأن يرى شيئاً بعيداً عنه .

– ولكن هناك من هم أقدر من ذلك باستخدامهم الأرواح ، فى التأليف الموسيقى والشعر ، وفى العلاج .

ولكن ما تزال هناك قدرات خفية أعظم عند بعض الناس – كما سوف نرى ! .

# كيف حالك ياولدي ؟!

– لقد انكشف عدد كبير من المشتغلين بالوساطة الروحيـــة . وكانوا نصـــابين . وقد أدى ذلك إلى أن تشكك الناس كثيراً فى الروحانيات : .

وقد لجأ الوسطاء إلى النصب ، كسباً للمـــال . عندما ضعفت قدرتهم على هذه الوساطة .

وبعض هؤلاء الناس قد اعتمـــد على إيهام الناس وإقناعهم بما يريدون . بمعنى أن يكون لدى الناس استعداد لتصـــديق أى شىء . فإذا جاء هؤلاء الوسطاء وبدأوا يعـــرضون لعبهم ، فإن الناس يصدقون ما يرون . . لأن لديهم استعداد للتصديق !

وهؤلاء الوسطاء يجـــدون أناساً يتشككون فى قدراتهم وفيما يحققون من أعمـــال خارقة . .

وكثيراً ما ادعى الوسطاء أنهم أتـــوا بأرواح ترتدى الملابس وتعـــزف على القيثارة . ولكن الناس عندما أمسكوا هذه الروح التى تعـــزف ، اكتشفوا أنها « الوسيطة » نفسها وقد غيرت ملابسها وملامحهـــا فى الظـــلام !

حدث ذلك كثيراً . .

وامتلأت الكتب التى تهاجم الروحانيـــات بمثل هذا التزوير والتزييف والاحتيـــال أيضاً !

والذى جعـــل الدراسات الروحية تتأخر أو تتعثر . أن هؤلاء الوسطاء بدأوا حياتهم صادقين . وانتهـــوا كاذبين . . وقد أدى ذلك إلى ارتياب الناس فى كل ما قاله الوسطاء قبل ذلك !

– ولذلك كان لابد أن تتطـــور « الوساطة » وأن يستعين الناس بأدوات أو أجهـــزة لا تتأثر بحالة الإنسان النفسية أو المـــادية . .

وربما كان العالم الأمريكي العظيم أديسون الذى اخترع المصباح الكهــربائى ومائتى شىء آخــر . هو الذى أعلن أن هناك موجة متوسطة . بين الموجات الطويلة والموجات القصيرة يمكن عن طريقهــا سماع أصوات العــالم الآخــر ..

وماركونى مخترع الراديــو الذى توفى سنة ١٩٣٧ عاش على أمل أن يخترع جهــازاً يسجل بــه صوت السيد المسيح مصلوباً . . أو يسجل آخــر مواعظه . ولكن ماركونى لم يحقق هذا الحلم . ولكن تركه لأجيــال قادمة بعــد ذلك !

وقد اهتدى الناس من ألوف السنين إلى وسائل أخــرى لتسجيل رغبــات الأرواح وذلك عندما استخدموا الحروف ووضعوها على المناضــد أمامهم . . وكانوا يطلبــون إلى الروح إذا أحسوا بوجودها فى الغــرف أن تدق مرة عند كل حرف تمر به أصابعهم . ومن تجميع هذه الحروف تكون الرسالة التى تريدها الروح .

وربما كان الفيلسوف اليونانى فيثاغورس هو أول من عقــد الجلسات الروحية فى التاريخ . وقد ذهب إلى مرحلــة متطورة من الوساطة أو الاتصال بالعالم الروحى عن طريق منضدة لهــا عجلات . وكانت المنضدة تتحرك فى اتجــاه الحــاضرين . .

وبعد ذلك اهتدى الإنسان إلى أن وضع مسطرتين خشبيتين واحدة مكتوباً عليها : نعم والأخرى مكتوباً عليها : لا . . وكان الجالسون يسألون الروح إذا حضرت فى شخص أو إذا حضرت على شكل دقات على الباب إن كانت الإجابة بلا أو بنعم . وذلك أن يضعوا أيديهم على المسطرة التى أمامهم . .

واهتدى الإنسان أيضاً إلى استخدام الطبــول . فكانت الروح إذا حضرت بشكل ما أو بصوت ما. وضعوا الطبلة على آذانهم فيسمعون أصواتاً واضحة أو غير واضحة وكلها تدل على أن الإنسان لم يستخدم الوسيط الآدمى إلا متأخراً . وإن كان الوسيط أوضح وأقدر على التعبير وعلى الكتابة . . وفى نفس الوقت كان الوسيلة

الضرورية لتجسيد الروح على شكل رأس أو ذراع أو وجه ناقص أو سحابة بيضاء أو جسم كامل تماماً . .

ولكن حدث شيء غريب في بريطانيا في سنة ١٩٣٠ . فقد أطلق الإنجليز منطاداً عليه ٥٤ راكباً . وسقط هذا المنطاد محترقاً في ٤ أكتوبر بالقرب من مدينة لبوفيه بفرنسا . . وتحطمت آمال الإنجليز في استخدام هذا النوع من المواصلات .

وفي إحدى جلسات الأرواح التي عقدها بعض المشتغلين بالدراسات الروحية وكانوا يطلبون روح الكاتب كونان دويل ، وكان مشتغلا بالأرواح هو أيضاً ، جاءت روح أخرى . . صاحب هذه الروح يقول : أنا الكابتن أروين قائد المنطاد الذي احترق . وعندي شيء هام أريد أن أقوله . .

– وفي هذه الجلسة أملى كابتن المنطاد كيف احترق وذكر أربعين عيباً فنياً . في مقدمتها أن المحركات ثقيلة . وأن المنطاد لا يقوى على المسافات الطويلة وأن حمولة المنطاد أثقل من أن يحملها . وأن أنابيب الوقود قد انسدت . .

ونشرت الصحف هذا التقرير . وبعد ستة أشهر تماماً ، ثبت أن كل كلمة جاءت في هذا التقرير صحيحة ١٠٠٪ وعدلت بريطانيا عن إنتاج المنطاد نهائياً .

وحضر عدد من مصممي المنطاد ومهندسيه جلسات تحضير الأرواح . وسألوا الكابتن أروين أسئلة علمية دقيقة . . وكان الرد مذهلا .

وعندما اجتمعت لجنة تقصي الحقائق كان هذا التقرير أمامها . ولم يختلف أحد على حقيقة واحدة جاءت في هذا التقرير . بل إن اللحنة طلبت أن تعقد جلسات خاصة ، يطلبون فيها إلى باقي طاقم المنطاد أن يحضروا أو أن يدلوا بمعلوماتهم . .

– وجاءت أرواحهم . وأقفل باب التحقيق تماماً . فكل ما جاء فى هذه الجلسات صحيح . وحضر وزير الطيران المدنى . وتحول إلى داعية للروحانيات واشتغل بها حتى وفاته .

وحاول بعض الوسطاء استدعاء أرواح الضحايا وتجسيدها أمامهم . ولكن الوسيطة لم تفلح . فذلك أكبر منها . وليس لديها مثل هذا الاستعداد .

وبدأ الناس يتغامزون على ذلك . .

وظهرت نظرية تقول : إن تجسيد هذه الأرواح مرتبط بقدرة الوسيط وأنه عن طريق إيهام الآخرين والتسلط على لاشعورهم يعطى للأرواح الشكل الذى يريده الحاضرون . تماماً كما يستطيع الإنسان أن يعطى للدخان الذى يخرج من فمه شكلا ما . ولكن الإنسان لا يستطيع أن يتحكم فى شكل الدخان فيجعله إنساناً ثابت المعالم يتحرك فى الغرفة .

وانتشرت نظرية التحكم فى الدخان ، ولكنها لم تقنع الذين رأوا الأرواح متجسدة ويكون لها لحم ولهذا اللحم حرارة الأحياء ونبضهم !

وأدى استخدام أجهزة التسجيل الحديثة . . التسجيل الصوتى والضوئى إلى اكتشاف عالم جديد . . أو إلى الاقتراب من عالم الروح خطوة أخرى . فبعض الكاميرات سجلت « هالات » من النور حول جسم الإنسان ، وحول رأسه بصفة خاصة . . تذكرنا بتلك الهالات التى يصنعها الرسامون حول الأولياء والقديسين . ! وكذلك وجدوا للنباتات هذه الهالات أيضاً ، وكأن لها أرواحاً هى الأخرى !

وفى يوم من الأيام ذهب عالم الحيوان السويدى فريديش برجنسون يسجل أصوات الطيور والحيوانات فى الغابة . . وعندما عاد يستمع إلى التسجيل وجد أصواتاً بشرية بلغات مختلفة . . فأعاد التسجيل فوجد أصواتاً بشرية .

– وأدهشه جداً أن يجد صوت يقـــول له : ولدى الحبيب أنت هنا .

وكان ذلك صوت أمه التى ماتت من عشرين عاماً !

وظل العالم الســويدى يسجل هذه الأصوات فى الغـــابة ١٤ عاماً وراح يفـــرزها ويترجمهـــا فقد كانت أصوات الموتى بلغات عديدة !

وفى نفس الوقت ظهـــر عالم من لتوانيـــا اسمه د . راديوفى واستخدم فى سنة ١٩٦٨ أجهـــزة أكثر دقة وحساسية . ولاحظ أنه فى أى مكان يسجل فيه الأصوات التى تسمعها الأذن العادية فإنه يجد أصواتاً أخرى بلغات عـــديدة . . وكان يعـــرف عشر لغات أوروبية . . وكان يفـــرز الكلمـــات ويركب منها الجمـــل .

بل إنه استطاع أن يجد عبارات مشهورة لهتلـــر ولينين والفيلسوف نيتشه والرئيس كينـــدى !

وظهـــر علمـــاء آخرون يشككون فى هذه النتائج ويقـــولون : ربما كانت أصوات الإذاعات الأوروبية المختلفـــة التى تملأ الهـــواء فى أى مكان . .

ولكن الرد على ذلك . . أن الإذاعات العالمية فى أى وقت لا تخلـــو من الموسيقى أو نشرات الأخبـــار الحديثة أو من أسعار البورصـــة . . أما تسجيلاته فقد خلت من هذا كله . . ثم إنه يستخدم أجهـــزة التسجيل فى أماكن نائيـــة تماماً !

وقبل وفاة هذا العـــالم اللتوانى جاءته رسالة من أحد الوسطاء تقـــول : بعد ثلاثة شهور تحت شجرة بلـــوط !

وبعد ثلاثة شهور تماماً توفى راديوفى ودفن تحت شجرة بلوط تنفيـــذاً لوصيته !

وانتقـل المشتغلون بالدراسات الروحيـة خطوة أخـرى فى التسجيل الضوئى . فقـد لاحظ أحد المصورين أنه التقط صورة لعروسين . وعندما طبع هذه الصورة وجد شبحين يقفـان وراء العـروسين . وفى هذين الشبحين شبه تام بوالدى العـروس ، وكانا قد قتلا فى حادث سيارة !

ـ وأعاد المصور التقاط صورة للعروس وحدها . فوجد فى الصورة بعد طبعهـا مجمـوعة من الأشباح للمـوتى من أقاربها . . واستطاعت العروس أن تميز بعضهم والبعض الآخـر ميزته ولم تعـرفه !

إذن فبعض المصـورين الروحيين قادرون على تصـوير الأرواح . .

ودخل هذه المهنة أيضاً عدد من النصابين . ولكن القليل من الروحيين استطاعوا أن يؤكدوا بالأمانة العلمية ، أن هناك أشباحـاً أو أرواحاً يمكن تصويرها . . وأن سبب ذلك ليس دقة العدسات ، وإنما دقة العدسات واستعداد المصورين لهذه الوساطة الروحية . .

وأن الفرق بين المصـور العادى والمصور الروحى ، كالفـرق بين ماء الحنفية والماء الذى توضع فيه الصور فتظهـر ملامحهـا تماماً . . فالماء العادى ليست فيه المـادة القادرة على إبراز معالم الصور . . وكذلك المصور العادى والمصـور الروحى . .

* * *

واستطاع رجل روسى وزوجته واسمه كريليـان أن يطـوروا أدوات التصوير فكان الرجل وزوجتـه يصوران النباتات . وعند طبـع الصور يجدان هالة حـول كل نبات . . وكان إذا قطـع وردة ثم صـور شجرة الورد . . فإنه يجد هالة من النـور حول المكان الذى قطفت منه الوردة . .

وإذا قطـع غصناً من شجرة ، ثم صوره فإنه يجد مكان الغصن ينزف نوراً . . كأنه جـريح أو كأنه ذبيح أو كأنـه يبكى !

وعرفت هذه الطـــريقة فى التصوير بطـــريقة ، كريليـــان . وأدخلت عليها تعديلات تكنولوجيـــة كثيرة . وسوف أتعرض لذلك فيما بعد عندما أتحدث عن القـــوى الخفية فى النباتات أيضاً . وفى الأحاديث النبـــوية الشريفة ما يدل على أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يدعـــو إلى الترفق بالنخيـــل . . وفى الأحاديث أيضاً أن النخيـــل تبكى . والعلم الحديث والتصوير الحديث يؤكدان هذا المعنى تماماً .

وكلمـــا تطـــورت الأجهزة العلمية للتسجيل الصوتى أو الضوئى ، سنصبح أقدر على إدراك العالم الآخـــر وتسجيله والبحث فيه . . فالمسافة التى بين منضدة الفيلسوف فيثاغورس والريكوردرات الحساسة جداً الآن ، قد نقلتنا إلى العـــالم الآخر ، أو نقلته إلينا . .

– وكما أن التلسكوبات الحديثـــة ، قد قربت لنا أبعد النجـــوم والكواكب فى هذا الكون التى بيننا وبينها ألوف السنين الضـــوئية ، فإن أجهزة التصنت الألكترونى والتصوير الرادارى سوف تجعل العالم الآخر أقرب . وسوف تجعلنا أقـــدر على الفهم . . لأن عقـــولنا بأدواتها المتواضعة ، ما تزال عاجـــزة عن معـــرفة الذى يحدث فى الجانب الآخـــر من الحياة !

# كتب للمؤلف

## ١ -- دراسات

| | |
|---|---|
| ١ – وحدى مع الآخرين | الطبعة الثانية . |
| ٢ – عذاب كل يوم | الطبعة الثانية . |
| ٣ – طريق العــذاب | الطبعة الرابعة . |
| ٤ – مع الآخرين | الطبعة الثالثة . |
| ٥ – الوجــودية | الطبعة الثانية . |
| ٦ – يسقط الحائط الرابع | الطبعة الرابعة . |
| ٧ – كرسى على الشمال | الطبعة الثانية . |
| ٨ – ساعات بلا عقارب | الطبعة الثالثة . |
| ٩ – قالوا | الطبعة السادسة |
| ١٠ – وداعاً أيها الملل | الطبعة الرابعة . |
| ١١ – ألوان من الحب | الطبعة الثالثة . |
| ١٢ – مدرسة الحب | الطبعة الثالثة . |
| ١٣ – من نفسى | الطبعة الثالثة . |
| ١٤ – شارع التنهدات | |
| ١٥ – الخبز والقبلات | الطبعة الثالثة . |
| ١٦ – الحائط والدموع | الطبعة الخامسة |
| ١٧ – الذين هبطوا من السماء | الطبعة السادسة . |
| ١٨ – يوم بيوم | الطبعة الثالثة . |
| ١٩ – يا من كنت حبيبى | الطبعة الثالثة . |

٢٠ ـ من أول نظرة — الطبعة الثالثة .

٢١ ـ وكانت الصحة هى الثمن — الطبعة الثانية .

٢٢ ـ أرواح وأشباح — الطبعة الثالثة .

٢٣ ـ الذين عادوا إلى السماء — الطبعة الثانية .

٢٤ ـ قلوب صغيرة — الطبعة الثالثة .

٢٥ ـ شيء من الفكر — الطبعة الثالثة .


## ٢ ـ قصص


٢٦ ـ بقايا كل شيء — الطبعة الثالثة .

٢٧ ـ عزيزى فلان — الطبعة الثالثة .

٢٨ ـ هى وغيرها — الطبعة الثالثة .


## ٣ ـ رحلات


٢٩ ـ حول العالم فى ٢٠٠ يوم — الطبعة الثالثة عشر

٢٠ ـ اليمن . . ذلك المجهـــول — الطبعة الثانية

٣١ ـ بلاد الله . . خلق الله — الطبعة الثالثة .

٣٢ ـ أطيب تحياتى من موسكو — الطبعة الثانية .

٣٣ ـ أعجب الرحلات فى التاريخ — الطبعة الثالثة .

٣٤ ـ غريب فى بلاد غريبة

٣٥ ـ لعنة الفراعنة — الطبعة الثانية .

٣٦ ـ أوراق على شجر

## ٤ – مسرحيات

٣٧ – الأحياء المجاورة !

٣٨ – حلمك . . يا شيخ علام !

٣٩ – مين قتل مين ؟

٤٠ – جمعية كل واشكر !

٤١ – كلام لك يا جارة

## ٥ – مترجمات

٤٢ – الإمبراطور جونز اونيل

٤٣ – رومولوس العظيم (دير نمات)

٤٤ – هبط الملاك فى بابل (دير نمات)

٤٥ – أمير الأراضى البور لماكس فريش

٤٦ – فـوق الكهف (تنسى وليامز)

٤٧ – بعد السقوط (أرثر ميللر)

٤٨ – هى . . وعشاقها (أربع مسرحيات) – لدير نمات

٤٩ – الشهاب (دير نمات)

٥٠ – سواد عينيها (جيردو)

## *  كتب السلسلة الأولى  *

| الكتاب | المولف |
|---|---|
| - عودة الوعى . | توفيق الحكيم . |
| - خريف الغضب . | محمد حسنين هيكل. |
| - سنة ثالثة سجن . | مصطفى أمين . |
| - الملك فاروق وعلاقته بألمانيا النازية . | وجيه عتيق . |
| - أعجب الرحلات فى التاريخ. | أنيس منصور . |
| - مواقف. | أنيس منصور . |
| - قوة الخفاء . | أنيس منصور . |
| - المختار من القصص العالمية . | مكتبة الاسرة بمصر . |
| - الرعاية الطبية والتأهيليلة من منظور الخدمة الاجتماعية . | عميد معهد الأسكندرية " أبراهيم عبد الهادى " . |
| - كتاب  تاريخ موجز لزمن "من الأنفجار الكبير الى الثقوب السوداء " | ستيفن هوكنج . |

مع تحيات
جدران المعرفة
Theknowledge_walls@yahoo.com